دولة ماليزيا
وزارة التعليم العالي (KPT)
جامعة المدينة العالمية
كلية العلوم الإسلامية
قسم القرآن الكريم وعلومه

الحُكْم وسياسة الأمة في القرآن الكريم

دراسة في التفسير الموضوعي

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن

اسم الباحث: عاطف إبراهيم المتولي رفاعي

الرقم المرجعي: (PTF121AT189)

تحت إشراف سعادة الدكتور / السيد سيدأحمد نجم

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد
كلية العلوم الإسلامية – قسم القرآن الكريم وعلومه

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

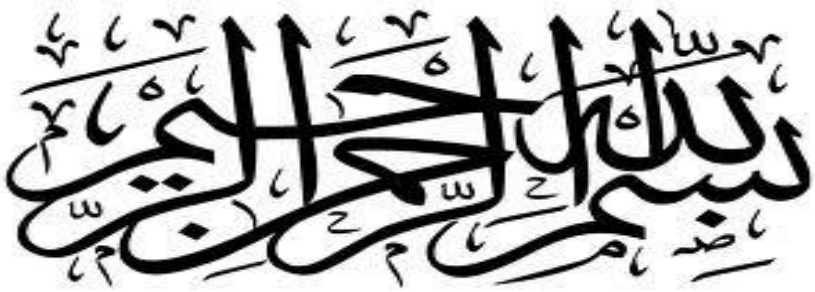

APPROVAL PAGE : صفحة الإقرار

أقرت جامعة المدينة العالمية بماليزيا بحث الطالب/ عاطف إبراهيم المتولي رفاعي

من الآتية أسماؤهم:

The dissertation has been approved by the following:

SupervisorAcademic المشرف على الرسالة

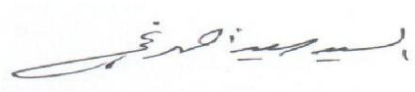

Supervisor of correction المشرف على التصحيح

Head of Department نائب رئيس القسم

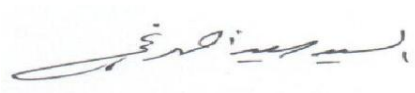

Dean, of the Faculty نائب عميد الكلية

Academic Managements & Graduation Dept قسم الإدارة العلمية والتخرج

Deanship of Postgraduate Studies عمادة الدراسات العليا

إقرار

أقررتُ بأنّ هذا البحث من عملي الخاص، قمتُ بجمعه ودراسته، والنقل والاقتباس من المصادر والمراجع المتعلقة بموضوع البحث.

اسم الطالب : عاطف إبراهيم المتولي رفاعي.

التوقيع : 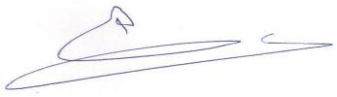

التاريخ : ٢٥ / ٣ / ١٤٣٥هـ. الموافق ٢٦ / ٠١ / ٢٠١٤ م

DECLARATION

I herby declare that this dissertation is result of my own investigation, except where otherwise stated.

Name of student**: Atef Ibrahim Almetwally Refai.**

Signature: 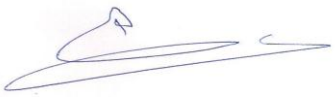

Date**:** **25 / 03 / 1435 – 26 / 1 / 2014 .**

جامعة المدينة العالمية

إقرار بحقوق الطبع وإثبات مشروعية الأبحاث العلمية غير المنشورة

حقوق الطبع ٢٠١٤ © محفوظة

عاطف إبراهيم المتولي رفاعي

الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم

لا يجوز إعادة إنتاج أو استخدام هذا البحث غير المنشور في أيّ شكل أو صورة من دون إذن المكتوب من الباحث إلاّ في الحالات الآتية:

١-يمكن الاقتباس من هذا البحث والغزو منه بشرط إشارة إليه.

٢-يحق لجامعة المدينة العالمية ماليزيا الاستفادة من هذا البحث بمختلف الطرق وذلك لأغراض تعليمية، وليس لأغراض تجارية أو تسوقية.

٣-يحق لمكتبة الجامعة العالمية بماليزيا استخراج النسخ من هذا البحث غير المنشور إذا طلبتها مكتبات الجامعات، ومراكز البحوث الأخرى.

أكدّ هذا الإقرار : عاطف إبراهيم المتولي رفاعي.

التوقيع:

التاريخ: ٢٥ / ٣ / ١٤٣٥هـ. الموافق ٢٦ / ٠١ / ٢٠١٤ م

ملخص البحث

يأتي هذا البحث في مواجهة موجات من الحملات المسعورة لتجهيل الأمة، وحملها على ما يخالف هويتها وشريعتها الربانية؛ وقد رأى الباحث أنه لابد لنا من استبيان السبيل في الحكم وإدارة شئون البلاد والعباد على النهج القرآني والدستور الرباني للقيام بهذه الفريضة الإلهية، والظفر بصراط مستقيم للحكم وسياسة الأمة، وقد حاول الباحث جلاء كثير من الحقائق حول هذا الأمر الجلل الخطير؛ فخرج هذا البحث إلى النور، من خلال دراسة في التفسير الموضوعي، استنطق فيها آيات الكتاب، فجادت – ولله الحمد – بكل ما يُسَرُّ به الإنسان من منظومة قرآنية حول الحكم وسياسة الأمة. وجاء البحث في مقدمة وتمهيد لجلاء الأسباب والدواعي لمثل هذا العمل، وبيان لارتباط الحكم والسياسة بالعقيدة، وبيان الحاجة الماسة للسياسة الشرعية وتطبيقاتها، ثم تناول البحث الحكم وسياسة الأمة خلال ثمانية فصول متتابعات عرضت لمسمى الحكم والسياسة في القرآن، ثم انتقلت بنا لبيان المقاصد الرئيسة لمنظومة الحكم والسياسة في القرآن الكريم ووفائها بحاجات الناس من حفظ للضرورات الخمس والأمن والأمان وتحقيق مقتضيات الاستخلاف في الأرض وحفظ هيبة الدولة المسلمة، ثم التعرف على الجماعة الإنسانية، وضرورة نصب الحاكم، والدخول منها على مفهوم جماعة المسلمين وصفاتها، ووجوب التزامها. ثم تعرض البحث لمرجعيات الحكم والسياسة من قرآن وسنة وإجماع واجتهاد ودلَّل على حجية كل منها. وبعد ذلك تناول الباحث مبادئ الحكم وسياسة الأمة من مساواة وعدالة وشورى وكرامة إنسانية وحرية ووحدة. ومنها انتقل البحث للخصائص المميزة للحكم في القرآن وهي الربانية والوسطية والواقعية والمرونة والموضوعية والمصداقية. ثم كان الكلام عن حقوق وواجبات الحاكم والمحكوم في القرآن، مع عرض لنماذج الحكم التي وردت في القرآن. وختام البحث كان عن كيفية إدارة السياسة الداخلية والخارجية والخطوط العريضة التي تحكمهما، وقد توصل الباحث إلى عدة نتائج وتوصيات عرضها وألح في تطبيقها رجاء أن تسعد أمتنا وأن ننال رضا ربنا في الدنيا والآخرة.

ABSTRACT

This research comes in facing waves of frenzied campaigns of the nation's ignorance and pushing it into what breaks with its identity and its divine law.

The researcher has perceived the necessity of surveying the way in governance and running the affairs of the country on the approach of of Quran and the lord's constitution in order to apply the divine ordinance and obtain a straight way to governance and natio n's policy. Furthermore,

The researcher has tried to reveal many facts concerning this crucial and critical topic ; so this research has come out into the light, through studing the objective interpretation that questions the verses of the Quran and this research lavish a Quranic system regarding governance and nation's policy.

This research has come with an introduction to reveal the reasons for such study and illustrates the attachment of governance and policy with the islamic creed and the urgent need for islamic politics and its application.

Thus, the research discusses governance and nation's policy in eight successive chapters that highlights the meaning of governance and policy in Quran, then it moves us to the statement of the main purposes of governance and policy in the Holy Quran and its fulfillment of people's needs in preserving the five essentials, Safe and safety, achieving the requirements of the succession on earth (Al-Istikhlaf) and preserving the prestige of the islamic state, then recognizing the humanitarian community, the necessity of nominating the ruler, entering to the concept of the muslim community and its features and its commitment must. The research then is subjected to the references of governance and policy in Quran, Sunnah, unanimity(Ijma') and judgement and proves the evidence of each. Afterwards, the researcher discusses governance and policy of nation's principles of equality, justice, Shura, human dignity, freedom and unity.

The researcher then moves to the distinguished characteristics of governance in quran, that is; divinity, moderation, realism, flexibility, objectivity and credibility. Then comes the rights and duties of the rulers and subjects in quran with examples of governance in quran. Eventually, the end of the research is about the administration of the internal and external politics and the outline that elaborate them.

The researcher was able to come to several results and recommendations that the researcher presents and insists on applying them in order to make our nation satisfied and to obtain the contentment of Allah in the Dunya and in the Hereafter.

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه

وأتوجه بالشكر الجزيل الوافر لجامعة المدينة العالمية لما تقوم به عمل جليل مبارك في نشر العلم، والدراسة الجادة المثمرة.

ويطيب لي أن أتوجه بموفور شكري وامتناني للأستاذين المشرفين فضيلة أ.د / السيد نجم ، وفضيلة أ.د حاتم مزروعة أثابهما الله وجعل ما قدماه من تصحيح ونصح وتوجيه في ميزان حسناتهما، ونفع بهما العلم والمتعلمين.

ويسعدني أن أتقدم بالشكر الجزيل، لصاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور / موسى عمر كيتا رئيس لجنة المناقشة (جلسة التقييم)

كما يسرني أن أشكر أصحاب الفضيلة الأجِلاء، والسادة العلماء:

سعادة الأستاذ العلامة الدكتور / المحمدي عبد الرحمن عبد الله

صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور / خالد نبوي حجاج

صاحب الفضيلة الأستاذ الدكتور / رأفت بسيوني

وقد أحاطوني بعنايتهم، وشرفوني بنصحهم، وتوجيهاتهم الرشيدة، وتصحيحاتهم السديدة التي أضافت لهذا البحث دقة، وقيمة، وألَقاً علمياً، أسأل الله تعالى أن يثيبهم خير الثواب، ويديم بعلمهم النفع والفائدة.

والشكر موصول لكل من ساندني وشجعني للوصول إلى هذه البداية الطيبة في سلم العلم والتعلم.....والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

إهداء

إلى الغالية / أم إبراهيم. التي شجعت، وساندت، وتحملت، وأبدعت

تحياتي ومحبتي لكم باقية تختلط ونبض الحياة

أبو إبراهيم

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
	ط
الإقرارات	ج
ملخص البحث	ز
ABSTRACT	ح
شكر	
إهداء	
فهرس الموضوعات	ك
المقدمة	٢
أهمية الموضوع	٥
أسباب اختيار الموضوع	٥
مشكلة البحث	٦
أهداف البحث	٦
الدراسات السابقة	٧
منهج الدراسة	٩
هيكل البحث	١٠
تمهيد	١٤
علاقة الحكم بالعقيدة الإسلامية في القرآن الكريم	١٥
الحاجة إلى السياسة الشرعية	٢١

الفصل الأول ٢٧

تعريفات ودلالات قرآنية

المبحث الأول : تعريف الحكم ٢٩

تعريف الحكم **لغة** ٢٩

تعريف الحكم اصطلاحاً ٣٠

المبحث الثاني : تعريف السياسة ٣١

تعريف السياسة لغة ٣١

تعريف السياسة اصطلاحاً ٣٣

المبحث الثالث : معاني الحكم في القرآن ٣٤

القضاء والقدر ٣٤

القضاء بالعدل والفصل بين المتنازعين ٣٥

التشريع ٣٥

الحكمة ٣٦

التوثيق والاتقان ٣٧

العلم والفهم والفقه في الدين ٣٨

النبوة ٣٨

الملك والرئاسة ٣٩

المبحث الرابع : الألفاظ ذات الصلة ٤٠

السلطان ٤٠

الملك ٤١

القضاء ٤٢

الخلافة ٤٣

الإمام ٤٤

الفصل الثاني: ٤٧

مقاصد الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم

توطئة عن أهمية معرفة مقاصد الحكم ٤٩

المبحث الأول : إقامة الحاكمية لله وحده **٥١**

المبحث الثاني : الحفاظ على الكليات الخمس. **٥٧**

المطلب الأول حفظ الدين ٥٧

المطلب الثاني حفظ النفس ٦٤

المطلب الثالث: حفظ العقل ٦٧

المطلب الرابع: حفظ النسل . ٧٣

المطلب الخامس: حفظ المال . ٧٩

المبحث الثالث : تحقيق الأمن والأمان. ٨٥

موجبات الأمن ٨٨

المبحث الرابع : القيام بمقتضيات الاستخلاف. ٩٥

معنى الاستخلاف لغة ٩٥

معنى الاستخلاف اصطلاحاً ٩٦

مقتضيات الاستخلاف ٩٧

صفات وأعمال المستخلَفين ١٠٠

المبحث الخامس : تحقيق هيبة الدولة المسلمة. ١١٩

الحِكَم والمعاني من تشريع الجهاد ١١٩

أعمدة استقرار الحكم ١٢٢

الفصل الثالث ١٢٦

الجماعة الإنسانية وضرورة الحكم

المبحث الأول : الجماعة الإنسانية. **١٢٨**

البداية ١٢٨

المجتمعات الإنسانية في القرآن الكريم ١٢٩

نماذج من المجتمعات الإنسانية في القرآن الكريم ١٣١

المبحث الثاني : الجماعة المسلمة ووجوب التزامها. ١٣٦

هداية القرآن للنور والإيمان ١٣٦

مفهوم الجماعة المسلمة ١٣٧

صفات الجماعة المسلمة في القرآن الكريم ١٤١

وجوب التزام الجماعة المسلمة في القرآن الكريم ١٥٠

المبحث الثالث : ضرورة الحكم وتنصيب الحاكم ١٥٣

الحكم وتنصيب الحاكم ضرورة إنسانية ١٥٣

الحكم وتنصيب الحاكم في القرآن الكريم ١٥٤

الفصل الرابع ١٥٩

مرجعية الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم

المبحث الأول : القرآن الكريم **١٦٢**

تعريف القرآن لغة ١٦٢

تعريف القرآن اصطلاحاً ١٦٣

صفة القرآن الكريم ١٦٤

الأغراض التي اشتمل عليها القرآن	١٦٥
حجية القرآن الكريم	١٧٨
المبحث الثاني : السنة المطهرة	**١٨٤**
تعريف السنة لغة واصطلاحاً	١٨٤
حجية السنة النبوية المطهرة في القرآن الكريم	١٨٦
أوجه السنة النبوية مع القرآن العظيم	١٩٤
المبحث الثالث : الإجماع	١٩٩
تعريف الإجماع لغة واصطلاحاً	١٩٩
أنواع الإجماع وشروطه	٢٠٠
حجية الإجماع	٢٠٢
المبحث الرابع : الاجتهاد	٢٠٧
تعريف الاجتهاد لغة	٢٠٧
تعريف الاجتهاد اصطلاحاً	٢٠٨
منزلة وأهمية الاجتهاد	٢٠٩
مشروعية الاجتهاد	٢١١
شروط الاجتهاد	٢١٤
الفصل الخامس:	٢١٨
مبادئ الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم	
المبحث الأول : المساواة	٢٢٠
المساواة قبل الإسلام	٢٢٠
المساواة بعد مجيء الإسلام	٢٢٣

دعائم مبدأ المساواة	٢٢٤
المبحث الثاني : العدالة	٢٣٢
تعريف العدل لغة واصطلاحاً	٢٣٢
العدل في القرآن الكريم	٢٣٣
المبحث الثالث : الشورى	٢٤٣
تعريف الشورى لغة واصطلاحاً	٢٤٣
الشورى في القرآن الكريم	٢٤٥
حجية الشورى في القرآن الكريم	٢٤٨
المبحث الرابع : الكرامة الإنسانية	٢٥٣
تمهيد وتعريف	٢٥٣
الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم	**٢٥٤**
المبحث الخامس : الحرية	**٢٥٩**
توطئة وتعريف	**٢٥٩**
الحرية في القرآن الكريم	٢٦٠
المبحث السادس : الوحدة	٢٦٨
دواعي وحدة المسلمين	٢٦٨
وجوب تحقيق وحدة المسلمين	٢٧٠
الفصل السادس:	٢٧٢
خصائص الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم	
المبحث الأول : الربانية	**٢٧٤**

معنى الربانية وحقيقتها	٢٧٤
الربانيون وربانية الحكم في القرآن الكريم	٢٧٥
المبحث الثاني : الوسطية	**٢٧٨**
تعريف الوسطية وحقيقتها	٢٧٨
وسطية الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم	٢٧٩
المبحث الثالث : الواقعية	٢٨٣
تعريف الواقعية وأهميتها	٢٨٣
معالم الواقعية في القرآن الكريم	٢٨٤
المبحث الرابع : المرونة	**٢٨٨**
تعريف المرونة وحقيقتها	٢٨٨
عوامل المرونة للحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم	٢٩٠
المبحث الخامس : الموضوعية	**٢٩٥**
تعريف الموضوعية وحقيقتها	٢٩٥
معالم الموضوعية في القرآن الكريم	٢٩٦
المبحث السادس المصداقية	**٢٩٩**
تعريف المصداقية وحقيقتها	٢٩٩
المصداقية في القرآن الكريم	٢٩٩
الفصل السابع	٣٠٤
الحاكم والمحكوم في القرآن الكريم	
المبحث الأول : صفات الحاكم في القرآن الكريم.	**٣٠٦**

الإسلام	٣٠٦
العدالة	٣٠٨
العلم	٣٠٩
القوة	٣١٠
الأمانة	٣١١
الرحمة	٣١١
التواضع	٣١٢
الحزم والحسم	٣١٣
المبحث الثاني : حقوق وواجبات الحاكم في القرآن الكريم .	**٣١٥**
حقوق الحاكم في القرآن الكريم	٣١٥
واجبات الحاكم في القرآن الكريم	٣١٧
المبحث الثالث : حقوق وواجبات المحكومين في القرآن الكريم	**٣٢٥**
حقوق المحكومين في القرآن الكريم	٣٢٥
واجبات المحكومين في القرآن الكريم	٣٢٧
المبحث الرابع: صور ونماذج الحكم في القرآن الكريم	**٣٣٤**
الفصل الثامن	٣٤٠
إدارة السياسة الداخلية والخارجية في القرآن الكريم	
المبحث الأول إدارة السياسة الداخلية في القرآن الكريم.	**٣٤٣**
الدستور	٣٤٤
تشكيل الحكومة واختيار الوزراء	٣٤٦
الخطوط العريضة الحاكمة للسياسة الداخلية	٣٥٠

القضاء ٣٥٥

مشاهد قضائية ٣٥٧

التشريع ٣٦٠

تشريعات الأحوال الشخصية في القرآن ٣٦٢

التشريعات المالية ٣٦٤

التشريعات السياسية ٣٧١

المبحث الثاني إدارة السياسة الخارجية في القرآن الكريم. **٢٧٢**

عالمية الرسالة المحمدية ٢٧٢

أسس العلاقات الدولية من القرآن الكريم ٣٧٤

شمولية الخطاب التشريعي في القرآن للناس أجمعين ٣٨٩

العلاقات الدولية بين الدول المسلمة ٣٨٠

سلم أم حرب ٣٨٢

التدرج القرآني في مسألة السلم والحرب ٣٨٣

دوافع القتال في القرآن ٣٨٥

الخاتمة والتوصيات ٣٩٠

الخاتمة ٣٩١

التوصيات ٣٩٣

مصادر البحث ٣٩٥

فهارس الآيات ٤٠٤

فهارس الأحاديث ٤٤٨

فهرس الموضوعات ك

مقدمة

الحمد لله، قولُه الحقُّ، وله الملكُ، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الخلق والأمر، يحكم لا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، المرسل بالفرقان للعالمين نذيراً، حكماً فصلاً، وهادياً وبشيراً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين،،، أما بعد؛

فقد أنزل الله تعالى القرآن على عبده – صلى الله عليه وسلم – وأمره أن يحكم به بين الناس، ونهاه عن اتباع الهوى، وحذره من مسلك أهل الكتابين، الذين ضلوا عن سبيله، وحرَّفوا ما أنزل الله إليهم، إيثاراً لأهوائهم، واستئساراً لشهواتهم وملذاتهم المحرمة، فقال سبحانه : ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾[1].

وأبان الله تعالى في كتابه العزيز عن شمولية أحكام القرآن لجميع مناحي الحياة فقال – عزَّ وجلَّ – ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[2].

وقال تعالى ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[3]. فاحتوى القرآن على القواعد، والتوجيهات التي من شأنها إقامة حياة كريمة مستقرة، تنتظم بها جميع العلاقات، بين الله وخلقه، وبين الخلق بعضهم بعضاً.

١- سورة المائدة، آية: ٤٨

٢- سورة الأنعام، آية: ٣٨

٣- سورة النحل، آية: ٨٩

وعلى هدي هذه التوجيهات والقواعد القرآنية أقام المصطفى – صلى الله عليه وسلم – دولة الإسلام في المدينة المنورة، وتوثقت دعائمها بتتابع نزول آي الذكر الحكيم، تصحح الأخطاء، وتعالج الأدواء، وتجيب على تساؤلات السائلين، وتضع معالم المجتمع المسلم.

ولما كان الإسلامُ ديناً، ودولةً، لا فصل، ولا انفصام بينهما، جاء كتابُه الخالد ليُشَكِّل ملامح دولة الإسلام، ونظامها الحاكم، وما يجب أن تكون عليه، فوضع الأسس، والقواعد والتوجيهات العامة، وترك المجال رحباً واسعاً للمسلمين في التفاصيل، والدقائق، يجتهدون فيها ويعملون بما فيه مصلحتهم، ويوافق زمانهم ومكانهم، وفق المبادئ الإسلامية من الكتاب العزيز والسنة المطهرة.

وتتابعت أعوام وقرون على المسلمين، تعلوهم فيها أحكام القرآن العظيم، ويهتدون بشعائر وشرائع الإسلام، وسادوا البلاد، وشادوا الممالك، وحكموا العباد، فملأوا الأرض عدلاً وعلماً، ثم دبَّ فيهم الوهن، وحب الدنيا، فانحسرت حضارتهم، وضعفت قوتهم، وغزاهم عدوهم عسكرياً، فاحتل البلاد، وانتهب الثروات، لسنين وسنين، ولكن ظلت الأمةُ متمسكةً بدينها، تعتز به، وتستميت من أجله، حتى أيقن أعداء الأمة الغزاة أنه لا نصر لهم، ولا سيادة، بدون تنحية كتاب الله عن حياتهم، وصرف الناس عن تعاليمه، وتوجيهاته، فعمدوا – خبثاً ودهاءً – للغزو الفكري، والثقافي، فنقَّبوا، وفتَّشوا، وزوَّروا، ودلَّسوا، وقدموا وأخروا، ورفعوا وخفضوا، حتى غدا أمر الأمة ملتبساً، وحالها في التيه والغواية مرتكساً.

وكان أعظم ما حلَّ بالأمة تنحية كتاب الله – تعالى – من الحكم بين الناس، واستبدال القوانين الوضعية المستوردة من أوروبا بالشريعة الربانية؛ فنشأت أجيال لا تعرف سوى اسم الإسلام، وشيء من تعاليمه قليل.

وزادت حدة البعد عن الجادة والصواب باستيلاء جيل من الحكام على مقاليد الأمة، صُنِعوا على أعين أعداء أمتهم، ونهلوا من صديد ثقافتهم، وتلوثوا بأمراض فكرهم، وإلحادهم، وفساد تصوراتهم عن الله والدين والرسول والكتاب العزيز، وتلظت الأمة بنارهم الموقدة، وعداوتهم الخفية والمعلنة، فشرَّقوا وغرَّبوا وجرُّوا أمتهم للصغار والهوان، والتخلف والتبعية وربما

العمالة لأعدى أعداء أمتهم، حتى ضجت الشعوب من ظلمهم واستبدادهم، وهانت على الناس أرواحهم، فخرجوا في العديد من بلدان أمتنا يتنادون أن امشوا وانتزعوا حريتكم واستعيدوا كرامتكم، ليبدأ عهدٌ جديدٌ يرجو له الغيورون المخلصون أن يكون عهد أمن وأمان، واستقرار، وتقدم، وازدهار، وسلام.

وأبرز ما ظهر في أيامنا هذه اختيارُ الأمة للإسلام، وإصرارها على العودة لشعائره وشرائعه من خلال اختيار الأغلبية الساحقة لنوابهم وممثليهم ممن يحملون هَمَّ الإسلام ويلتزمون تعاليمه وآدابه، وهذا – ولا شك – يرتب مسئوليات جسام، وتحديات عظام، لابد معه من الإسراع والمبادرة إلى تلمس الطريق، وإيجاد الحلول، ووصف الآليات لعهد جديد.

لهذا، وانطلاقاً من إيمان الأمة العميق بكتاب ربها الهادي لأقوم العقائد والأخلاق كما في قوله سبحانه ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾[1]. **وانطلاقاً** من كون هذا الكتاب العزيز هو دستور الأمة، ومرجعها الشافي الكافي لجميع حاجاتها على مر الأيام، تأتي هذه الدراسة لاستخراج وبيان أصول وقواعد الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم، تأتي كخطوة دعم لإخواننا الطامحين لخدمة الإسلام والمسلمين، وبمثابة بيان لمنهج قرآني تنبني عليه خطوات الأمة في عهدها الجديد، وتحدد على أساسه خططها، وهو كذلك تصويب ورعاية لهذه المسيرة السياسية الإسلامية المتجددة التي نتمنى لها التقدم والترقي حتى يعم بها النفع وينتشر بها الخير، ويندفع بها الفساد والشر.

والله من وراء القصد، لا رب سواه .....

كتبه/ عاطف إبراهيم المتولي رفاعي

١- سورة الإسراء، آية: ٩

أهمية الموضوع

حسم القرآن الكريم قضية الحكم وسياسة الأمة، وجعل تحكيم كتاب الله مَفْرَق الطرق بين الإيمان والكفر، وبين الشرع والهدى، فلا توسُّط في هذا الأمر ولا هدنة ولا صلح، فالمؤمنون هم الذين يحكمون بما أنزل الله، لا يميلون عنه، والكافرون والظالمون والفاسقون هم الذين لا يحكمون بما أنزل الله ويتبعون أهواءهم.

ويدخل في الحكم وسياسة الأمة حفظ الدين، وحراسة الملة، وتطبيق شرائع الإسلام، تطبيقا عمليا في كل مناحي الحياة، وجميع أوجه النشاط الإنساني: في العقيدة، والعبادة، والآداب، والسلوك، والأخلاق، والعادات، والتقاليد، والاقتصاد، والاجتماع والثقافة، والتربية، والتعليم، والصحافة والإعلام، والأجهزة الرسمية والشعبية، والمصالح الحكومية، والدوائر والمؤسسات والهيئات، والوزارات، والإدارات، وسائر المرافق

لهذه الأهمية العظيمة للموضوع، مع ما يضاف إليها من حملات لتجهيل الأمة، وحملها على ما يخالف هويتها وشريعتها الربانية؛ رأى الباحث أنه لابد لنا من استبيان السبيل في الحكم وإدارة شئون البلاد والعباد على النهج القرآني والدستور الرباني للقيام بهذه الفريضة الإلهية، والظفر بصراط مستقيم للحكم وسياسة الأمة.

أسباب اختيار الموضوع

١- الحاجة الماسة لبيان معالم الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم.
٢- الانحراف الكبير في أمر الحكم والسياسة بسبب البعد عن معين القرآن والسنة.
٣- ضرورة وضع الأطر الشرعية للحكم والعمل السياسي وتأصيله وربطه بإحكام بمقاصد الشريعة من الكتاب والسنة.
٤- صحوة الشعوب المسلمة واختيارها الانقياد والتسليم بحكم القرآن وتعاليمه العظام.
٥- اشتداد حملات التشويه المتعمدة لكل ما يمت للدين بصلة، ولطمس هوية الأمة الإسلامية.

٦- جهود العلمانيين والليبراليين الحثيثة لإقصاء الشريعة الربانية من الحكم، وتنظيم شئون الأمة في جميع المجالات

٧- بيان عطاء القرآن الواسع، وقيامه في كل زمان ومكان بمتطلبات الإصلاح، والنهوض بالأمة، وأنه معين لا ينضب لكل ملتمس هدى ورشاد.

مشكلة البحث

ولما كانت نظم الحكم مذاهب شتى، وأنواعاً مختلفة باختلاف الأمم والثقافات؛ كان الواجب على المسلمين العمل بدستور أمتهم القرآن الكريم، المحفوظ من التبديل والنقصان ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[١].

فتبادر إلى ذهن الباحث أسئلة منها:

- هل يمكن لنا ربط الحكم وسياسة الأمة بكتاب ربنا سبحانه؟.
- وهل نستطيع تلمس قواعد وخصائص الحكم وسياسة الأمة في القرآن؟.
- وكيف نستلهم منه أسس العلاقات والحقوق والواجبات بين الحاكم والمحكوم؟.
- وهل نتوصل من خلال دراستنا لآيات الكتاب العزيز لاستخراج صورة واضحة لسياسة الأمة داخلياً وخارجياً من القرآن الكريم؟ **ويأتي هذا البحث – إن شاء الله تعالى – إجابة على هذه الأسئلة.**

أهداف البحث

كتاب ربنا كفيل لمن تدبره وتأمله بالظفر والنوال، وقد قال تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ﴾[٢]. ومن هنا يرجو الباحث أن يحقق الأهداف التالية:

١- استخراج وبيان قواعد وخصائص الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم.

١- سورة فصلت . آية: ٤٢

٢- سورة الأنعام. آية: ٣٨

٢- العمل على تأسيس منهج قرآني في الحكم وسياسة الأمة تنبني عليه مؤسسات وسياسات الأمة.

٣- تصويب ورعاية المسيرة السياسية الإسلامية المتجددة التي نتمنى لها التقدم والترقي حتى يعم بها النفع وينتشر بها الخير.

٤- دعم المختصين بشئون الحكم والسياسة الطامحين لخدمة الإسلام والمسلمين.

٥- بيان وجه من وجوه عظمة كتاب ربنا – سبحانه – ووفائه بمتطلبات البشرية على مر الأزمنة وفي شتى الأمكنة.

٦- إضاءة جانب من جوانب البحث حول الحكم وسياسة الأمة بمنهجية التفسير الموضوعي لم يتم تناوله من قبل – فيما يرى الباحث -.

الدراسات السابقة

الدراسات في الحكم والسياسة، لا تُعَدُّ، ولا تُحصى، بحيث يجد الباحث المجال رحباً واسعاً، عند النظر إلى الدراسات السابقة، الخاصة بموضوع البحث بصفة عامة، وقد تناولت شتى الموضوعات المتعلقة بشئون السياسة، وأنظمة الحكم، والنظريات الحاكمة لهذا الأمر العام وعلى شدة تحري الباحث، فلم يجد دراسة في التفسير الموضوعي عن الحكم وسياسة الأمة من القرآن الكريم؛ ولا شك أن الموضوع تم طرقه من جهات شتى، وتحت عناوين مختلفة،ولكن بعيداً عن حصر دراسته بفن التفسير الموضوعي لآيات القرآن الكريم، والخروج برؤية قرآنية خالصة شاملة لشأن الحكم وسياسة الأمة.

ولما كان شأن الحكم والسياسة من ضروريات المجتمعات الإنسانية، فقد اندفع المؤلفون من العلماء للتصنيف فيه، وشرح مسائله، فظهرت لنا كتب السياسة الشرعية مثل:

١- **الأحكام السلطانية** للماوردي الشافعي.

٢- **والأحكام السلطانية** للقاضي أبي يعلى الحنبلي.

٣- **وسراج الملوك** للطرطوشي المالكي.

وكلها تبحث في الأحكام، والنظم التي تدار بها شئون الأمة الخاصة بالولايات وأنواعها، وعلاقة الحاكم بالمحكومين، وحقوق وواجبات كل طرف، وتحديد السلطات المختلفة في الدولة الإسلامية ، ولم يفتر اهتمام العلماء بهذا الشأن الجليل فنجد:

١- **كتاب السياسة الشرعية** لشيخ الإسلام الإمام ابن تيمية.
٢- **وكتاب الطرق الحكمية لتلميذه الإمام ابن** القيم.

وفي العصر الحديث كثرت المؤلفات، في شأن الحكم والسياسة في الإسلام، رداً على الهجمات المستعرة المخطط لها بمَكْرٍ، ودهاءٍ، لمحو أحكام الإسلام من الوجود، وتنحية شريعته من الحياة، فتتابعت تآليف العلماء، إيضاحاً وتبييناً، أن الإسلام دين ودولة، شعائر وشرائع، بلا انفصال بل تشمل أحكامه جميع مناحي الحياة البشرية وتضمن للعاملين بها الحياة الآمنة المستقرة، والرفاهية والتقدم، في ظلال من العدالة، والمساواة، والشورى. ومن هذه المؤلفات:

١- الحكومة الإسلامية للأستاذ أبي الأعلى المودودي.
٢-دولة القرآن للدكتور طه عبد الباقي سرور.
٣- الإسلام وأوضاعنا السياسية عبد القادر عودة.
٤- الدولة والسلطة في الإسلام للدكتور محمد معروف الدواليبي.
٥- المجتمع الإسلامي وأصول الحكم للدكتور محمد الصادق عفيفي.
٦- الحرية السياسية في الإسلام للدكتور أحمد شوقي الفنجري.
٧- الحاكمية في ظلال القرآن عبد الحميد عمر عبد الحميد

وهذا الكتاب الأخير – وإن كان خاصاً بتفسير الظلال – فإنه أقربها لموضوع الرسالة تناول مسائل عديدة مثل: الحاكمية وتعريفها والخلاف حولها، وارتباط الحكم بالعقيدة والتوحيد، كما بحث شبهات التكفير للمجتمع، والتي وردت خلال التفسير .

بخلاف ذلك؛ يبقى المجال بحاجة لمثل هذه الدراسة في التفسير الموضوعي، تكشف عن نظم قرآني متفرد للحكم وسياسة الأمة، وتجمع شتات ما سبق من التآليف، وأرجو أن أقوم بذلك بعون الله وتوفيقه.

منهج الدراسة

هذه دراسة في التفسير الموضوعي، تقوم على المنهج الاستقرائي الوصفي، وسوف يلتزم الباحث فيها بالخطوات الآتية:

١- جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن الموضوع أو تشير لجانب من جوانبه.
٢- ترتيب الآيات حسب زمن نزولها لما هو معروف من الفروق بين آيات العهد المكي والآيات التي نزلت بالمدينة وما يترتب على ذلك من المعاني والأحكام.
٣- التفسير الإجمالي للآيات مع الشرح والتوجيه، وذلك بالاستعانة بأمهات كتب التفسير قديماً وحديثاً.
٤- استنباط العناصر الأساسية للموضوع، ووضع العناوين الكاشفة.
٥- الاستدلال بالسنة الصحيحة والآثار الثابتة عن الصحابة والتابعين.
٦- نقل آراء العلماء المختصين وتوثيق النقول عنهم من مصادرهم الأصلية.
٧- الالتزام بتوثيق مادة البحث وشواهده.
٨- إبراز حقائق القرآن الكريم في أسلوب مشرق متسلسل – إن شاء الله تعالى – ، وبيان واضح بلا تكلف أو غموض.
٩- تدوين خلاصة ونتائج ما توصلت إليه الدراسة في الخاتمة.
١٠- وضع الفهارس العلمية المتنوعة.

هيكل البحث

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، وتمهيد، وثمانية فصول، وخاتمة، على النحو التالي:

مقدمة :

أ- أهمية الموضوع

ب- أسباب اختيار الموضوع

ت- مشكلة البحث

ث- أهداف البحث

ج-الدراسات السابقة

ح-منهج الدراسة

تمهيد

١- علاقة الحكم بالعقيدة الإسلامية في القرآن الكريم

٢- الحاجة الماسة للسياسة الشرعية، وأهم مصنفاتها قديماً وحديثاً

الفصل الأول

تعريفات ودلالات قرآنية

- المبحث الأول تعريف الحُكم
- المبحث الثاني تعريف السياسة الشرعية
- المبحث الثالث معاني الحُكم في القرآن الكريم
- المبحث الرابع الألفاظ ذات الصلة

الفصل الثاني

مقاصد الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم

- المبحث الأول إقامة الحاكمية لله وحده
- المبحث الثاني الحفاظ على الكليات الخمس.
- المبحث الثالث تحقيق الأمن والأمان.
- المبحث الرابع القيام بمقتضيات الاستخلاف.
- المبحث الخامس تحقيق هيبة الدولة المسلمة.

الفصل الثالث

الجماعة الإنسانية وضرورة الحكم

- المبحث الأول الجماعة الإنسانية.
- المبحث الثاني الجماعة المسلمة ووجوب التزامها.
- المبحث الثالث ضرورة الحكم وتنصيب الحاكم.

الفصل الرابع

مرجعية الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم

- المبحث الأول القرآن الكريم.
- المبحث الثاني السنة المطهرة.
- المبحث الثالث الإجماع
- المبحث الرابع الاجتهاد.

الفصل الخامس

مبادئ الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم

- المبحث الأول المساواة.
- المبحث الثاني العدالة.
- المبحث الثالث الشورى.
- المبحث الرابع الكرامة الإنسانية.
- المبحث الخامس الحرية.
- المبحث السادس الوحدة

الفصل السادس

خصائص الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم

- المبحث الأول الربانية.
- المبحث الثاني الوسطية.
- المبحث الثالث الواقعية.
- المبحث الرابع المرونة.
- المبحث الخامس الموضوعية.
- المبحث السادس المصداقية

الفصل السابع

الحاكم والمحكوم في القرآن الكريم

- المبحث الأول صفات الحاكم في القرآن الكريم.
- المبحث الثاني حقوق وواجبات الحاكم في القرآن الكريم .
- المبحث الثالث حقوق وواجبات المحكومين في القرآن الكريم.

- المبحث الرابع صور ونماذج الحكم في القرآن الكريم.

الفصل الثامن

إدارة السياسة الداخلية والخارجية في القرآن الكريم

- المبحث الأول إدارة السياسة الداخلية في القرآن الكريم.
- المبحث الثاني إدارة السياسة الخارجية في القرآن الكريم.

الخاتمة

استشراف وأمل في الحكم وسياسة الأمة

- النتائج .
- التوصيات.

تمهيد

علاقة الحكم بالعقيدة الإسلامية في القرآن الكريم

" لابد – لضبط شئون الخلق، ورعاية مصالحهم، واستقامة حياتهم – أن يكون هناك ميزان ثابت يفيء إليه الناس ، ميزان مِنْ صُنْعِ مصدر آخر غير الإنسان ، من صُنْعِ حاكم عدل، لا يتأثر بالهوى والقصور والجهل البشري.

وإقامة ذلك الميزان الثابت تقتضي علماً غير محدود . لا مقيداً بقيود الزمان،ولا مقيداً بقيود المكان، في حاجة إلى إله يعلم ما خلق، ويعلم من خلق، في حاجة إلى إله ، لا أرب له ، ولا هوى ، ولا لذة ، ولا ضعف في ذاته – سبحانه – ولا قصور!" [1].

ولذلك أنزل الله كتابه بالحق، حكماً بين الخلق، وقال لنبيه – صلى الله عليه وسلم –﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ﴾[2] .

وقد تكفل – سبحانه – في القرآن الكريم بوضع الضوابط والأحكام لشتى أنواع العلاقات الإنسانية، بدقة ووضوح؛كما قال – تعالى – ﴿ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ ﴾[3] .

وكما أنه – سبحانه – تفرد بخلقهم ورزقهم وتدبيرهم؛ فإنه – عز وجل – **تفرد بالحكم بينهم، وشرائعه التي سنها للناس بمقتضى ألوهيته لهم، وعبوديتهم له؛ هي التي يجب أن تحكم هذه الأرض ، وهي التي يجب أن يتحاكم إليها الناس،** وهي التي يجب أن يقضي بها الأنبياء ومن بعدهم من الحكام.

قال – سبحانه –: ﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ

١- تفسير في ظلال القرآن. ١ / ٢١٦ و٢١٧. ط ١٢. دار الشروق، القاهرة ، ١٤٠٦ هـ/١٩٨٦م. باختصار وتصرف كبير.

٢- سورة النساء. آية: ١٠٥.

٣- سورة النحل. آية: ٨٩.

﴾[1]. " أي: بالمعجزات، والحجج الباهرات، والدلائل القاطعات، { وَأَنزلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ } وهو: النقل المصدق { وَالْمِيزَانَ } وهو: العدل ... { لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ } أي: بالحق والعدل وهو: اتباع الرسل فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به، فإن الذي جاؤوا به هو الحق الذي ليس وراءه حق "[2].

وقال – تعالى – ﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[3]." والله – سبحانه – يقول : إن المسألة – في هذا كله – **مسألة إيمان أو كفر؛ أو إسلام أو جاهلية؛** وشرع أو هوى . وإنه لا وسط في هذا الأمر ولا هدنة ولا صلح! فالمؤمنون هم الذين يحكمون بما أنزل الله – لا يخرمون منه حرفاً ولا يبدلون منه شيئاً – والكافرون الظالمون الفاسقون هم الذين لا يحكمون بما أنزل الله . وأنه إما أن يكون الحكام قائمين على شريعة الله كاملة، فهم في نطاق الإيمان . وإما أن يكونوا قائمين على شريعة أخرى مما لم يإذن به الله، فهم الكافرون الظالمون الفاسقون وأن الناس إما أن يقبلوا من الحكام والقضاة حكم الله وقضاءه في أمورهم فهم مؤمنون، وإلا فما هم بالمؤمنين "[4].ويؤيد هذا الكلام هذا البيان الواضح في قوله – سبحانه –: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[5]

وقال – تبارك وتعالى –: ﴿ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[6]

١- سورة الحديد. آية: ٢٥.

٢- تفسير القرآن العظيم للإمام عماد الدين ابن كثير. ٤ / ٢٢٨٩. ط ١ . دار الفيحاء – دمشق، ودار السلام – الرياض ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، لحساب جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت

٣- سورة المائدة. آية: ٥٠.

٤- تفسير في ظلال القرآن. ٢ / ٨٨٨. مصدر سابق.

٥- سورة يوسف. آية: ٤٠.

٦- سورة يوسف. آية: ٦٧.

فلا هوادة في هذا الأمر ، ولا ترخص في شيء منه ، ولا انحراف عن جانب ولو صغير. ولا عبرة بما تواضع عليه الناس ، مما لم يأذن به الله في قليل ولا كثير! فليس للمؤمنين مع هذه الأحكام إلا الطاعة والقبول والإذعان ، مع الرضى والثقة والاطمئنان.

قال – سبحانه –: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[1] . وقال – تعالى –: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[2]

" الواجب على جميع العباد من جن وإنس أن يخصُّوا الله بالعبادة، **ويؤدُّوا حق هذا التوحيد بتحكيم شريعة الله، فإن الله – سبحانه – هو الحاكم، ومن توحيده الإيمان والتصديق بذلك، فهو الحاكم في الدنيا بشريعته، وفي الآخرة بنفسه** – تعالى – كما قال –جلّ وعلا–: ﴿ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴾[3]. وقوله – تعالى – ﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴾[4]. وقوله – تعالى – ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾[5] "[6].

فالواجب هو تحكيم شريعة الله في كل شيء، لأن الله – تعالى – هو الذي أقامها للناس، وهو أعلم بهم، قال – سبحانه –: ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[7].**وتكتسب** هذه الأحكام القرآنية مزيَّة خاصة في الشمول والإحاطة، والتسديد والإصابة، ، ولذلك يبطل التعبد بالآراء والبدع والأهواء التي ما أنزل الله بها من سلطان، كما يبطل تحكيم القوانين

١- سورة النساء. آية: ٦٥.

٢- سورة الأحزاب. آية: ٣٦.

٣- سورة الأنعام. آية: ٥٧.

٤- سورة غافر. آية: ١٢.

٥- سورة الشورى. آية: ١٠.

٦- مجموع فتاوى ابن باز ، ٢ / ٢٠.

٧- سورة الملك. آية: ١٤.

الوضعية والآراء البشرية، كما أكد ذلك – سبحانه – فقال آمراً ومحذراً نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعۡضِ ذُنُوبِهِمۡۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾[1].

وقال – تعالى –: ﴿ ثُمَّ جَعَلۡنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ فَٱتَّبِعۡهَا وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[2].

ومن أعظم الدلالات على ارتباط الحكم بالعقيدة، أن هؤلاء الطواغيت الذين يحلون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله، سماهم الحكيم الخبير **أرباباً** فقال ذي الجلال: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[3]." { ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ } وهم علماؤهم {وَرُهۡبَٰنَهُمۡ } أي: العُبَّاد المتجردين للعبادة. { أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ } **يُحِلُّون لهم** ما حرم اللّه فيحلونه، **ويحرمون لهم** ما أحل اللّه فيحرمونه، **ويشرعون لهم** من الشرائع والأقوال المنافية لدين الرسل فيتبعونهم عليها..... "[4].

ويصدق هذا التفسير، ما رواه الترمذي، وغيره (عن عدي بن حاتم – رضي الله عنه – قال : أتيت النبي – صلى الله عليه وسلم – وفي عنقي صليب من ذهب، قال فسمعته يقول { ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ } قال قلت يا رسول الله إنهم لم يكونوا يعبدونهم، قال أجل، ولكن يحلون لهم ما حرم الله فيستحلونه، ويحرمون عليهم ما أحل الله فيحرمونه، فتلك عبادتهم لهم)[5]

١- سورة المائدة. آية: ٤٩.

٢- سورة الجاثية. آية: ١٨.

٣- سورة التوبة. آية: ٣١.

٤- السعدي. العلامة عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، ص / ٤٥٠ ، طبعة جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣

٥- سنن الترمذي ٥ / ٢٥٩ / ٣٠٩٥. كتاب تفسير القرآن، سورة التوبة، ط١. دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م. وحسنه العلامة الألباني، صحيح الترمذي ، ٣ / ٢٤٧ / ٣٠٩٥. ط٢. المعارف- الرياض، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م.

هذا هو عرض القرآن وبيانه **للحكم بما أنزل الله**، فهو مسألة مفصلية، لا يقبل الله فيها أنصاف الحلول، ولا الأبعاض، لا يستقيم الإقرار بألوهية الله وربوبيته وقيوميته على البشر – وحده لا شريك له – **إلا به**؛ رضىً، وتسليماً، وإذعاناً، وتحكيماً.

ومن هنا جاءت الآيات تَصِمُ المعرضين عن القيام بهذه الفريضة بالكفر، والظلم، والفسوق والجاهلية، واتباع الأهواء، وبكل خضوع نقرأ ما يلي من الآيات: قال – تعالى –:﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[1] .

والآيات السابقة كلها، تتضمن غاية التحذير، والتنفير من الحكم بغير ما أنزل الله، وترشد إلى أن الواجب على الجميع هو الحكم بما أنزل الله، والخضوع له والرضا به، والحذر مما يخالفه، كما تدل أوضح دلالة على أن حكم الله – سبحانه – هو أحسن الأحكام وأعدلها.

١- سورة المائدة. آية: ٤٤ : ٥٠.

إن الإقرار لله – سبحانه – بالألوهية ، والملك ، والعظمة والسلطان ،يقترن – ولابد – بوجوب أن يكون هو الحاكم وحده، لا رادَّ لأمره، ولا معقب لحكمه.

قال الله – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾[1]. وقال – سبحانه –: ﴿ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَٱصۡبِرۡ حَتَّىٰ يَحۡكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴾[2] . وقال – سبحانه –: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾[3].وقال – تعالى –: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا لَبِثُواْۖ لَهُۥ غَيۡبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَبۡصِرۡ بِهِۦ وَأَسۡمِعۡۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا يُشۡرِكُ فِي حُكۡمِهِۦٓ أَحَدٗا ﴾[4]. وقال – تعالى–: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾[5]. **على هذه** المعاني تنعقد قلوب الموحدين، حكاماً ومحكومين، فلا يتحاكمون إلا إلى شريعته ، ولا يحكمون إلا بما أنزله من الحكم العادل، يلتزمون بتحقيق مقتضياته في جميع أمورهم، وشئون حياتهم الخاصة والعامة، الداخلية والخارجية، يحافظون بذلك على ثياب توحيدهم ولباس عقيدتهم طاهرة نقية من درن الجاهلية وأحكامها، ومن تلوث القوانين الوضعية وأوزارها.

وبهذا العرض الموجز ينتهي هذا المبحث، حول علاقة الحكم بالعقيدة في القرآن الكريم، ومن ثم ننتقل إلى وقفة أخرى، تدور حول الحاجة الماسة للسياسة الشرعية، وأهم مصنفاتها قديماً وحديثاً.

١- سورة المائدة. آية: ١.

٢- سورة يونس. آية: ١٠٩ .

٣- سورة الرعد. آية: ٤١.

٤- سورة الكهف. آية: ٢٦.

٥- سورة القصص. آية: ٧٠.

الحاجة إلى السياسة الشرعية

تتعلق هذه الدراسة في التفسير الموضوعي في جوانب عديدة بموضوعات السياسة الشرعية ومن هنا كانت **هذه اللمحة الخاطفة لبيان معناها وأهميتها ومجالاتها** فيما يلي :

تعريف السياسة الشرعية: وردت تعريفات الفقهاء للسياسة الشرعية بعبارات مختلفة-:

١- فقال بعضهم : السياسة الشرعية هي (فعل شئ من الحاكم لمصلحة يراها وإن لم يرد بهذا الفعل دليل جزئي) [١] .

٢- وقال آخر: (السياسة ما كان من الأفعال بحيث يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يضعه الرسول صلى الله عليه وسلم ولا نزل به الوحي) [٢].

٣- وقال بعضهم: " وقد استبان لنا أن كلمة (السياسة الشرعية) اختلف المراد بها في عبارات علماء المسلمين، **فالفقهاء** أرادوا بها التوسعة على ولاة الأمر في أن يعملوا ما تقضي به المصلحة مما لا يخالف أصول الدين وإن لم يقم عليه دليل خاص..... فالسياسة الشرعية على هذا هي العمل بالمصالح المرسلة لأن المصلحة المرسلة هي التي لم يقم من الشارع دليل على اعتبارها أو إلغائها. **وغير الفقهاء** أرادوا بها معنى أعم من هذا الذي يتبادر من اللفظ ويتصل باستعماله اللغوي وهو **تدبير مصالح العباد على وفق الشرع**..... "[٣].

خلاصة وتعليق: مما سبق يتبين لنا أن مصطلح السياسة الشرعية يتنازعه اتجاهان:

الأول خاص: يضيق مجال السياسة ويحصرها في باب الجنايات أو العقوبات المغلظة، وقد تجعل أحيانًا مرادفة للتعزير، **وهذا المعنى ليس مقصودنا في هذا البحث.**

---

[١]- الحنفي. ابن نجيم. البحر الرائق شرح كنز الدقائق. ٥ / ١٣. الطبعة ١. المطبعة العلمية . بدون تاريخ

[٢]- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن قيم الجوزية. ١ / ٢٩. بتحقيق نايف بن أحمد الحمد. دار عالم الفوائد

[٣]- خلاف. عبد الوهاب. السياسة الشرعية، ص / ٢ من المقدمة . هدية مع مجلة الأزهر عدد ذي القعدة ١٤٢٣هـ.

الثاني عام: يرى **السياسة الشرعية:** تدبير الشئون العامة للدولة الإسلامية، على وفق الشرع الكريم، بما يكفل تحقيق مصالح الأمة، ودفع المضار عنها، شريطة ألا يتعدى ذلك حدود الشريعة وأصولها الكلية . **وهذا المعنى هو مقصودنا في هذا البحث.**

أهمية السياسة الشرعية

تأتي السياسة في مقدمة الأمور، التي اهتم بها العلماء المسلمون، حتى جعلوا باب الإمامة من أبواب العقيدة، وما كنتُ محتاجاً للكلام عن أهمية هذا الباب من العلم، لولا أن المستغربين الذين ابتليت بهم الأمة في القرون الأخيرة، قد أدخلوا في فكر المسلمين الانفصال بين الدين والسياسة، وفهمت السياسة على أنها فن الخداع والمكر يُرتاب فيمن عمل بها، فأصبحت السياسة حكراً على طبقة من السياسيين الانتهازيين المحترفين.

ولو رجعنا إلى سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم لرأينا كيف أنه عليه الصلاة والسلام قد مارس جميع الأعمال السياسية، وكذلك فعل الخلفاء الراشدون. ومن بعدهم من الحكام الذين كانوا على درجة عالية من العلم بالإسلام، والفهم لعميق للسياسة.

ولهذا يمكننا القول إن السياسة الشرعية باب من أعظم أبواب العلم والفقه في الدين، جليل القدر عظيم النفع، يختص بأحكام وضوابط قيادة الأمة، وتحقيق مصالحها الدينية الدنيوية، ، وتكتسب السياسة الشرعية أهميتها مما يأتي:

١. البحث في النظام السياسي الإسلامي، وتطبيقه في الواقع، والاجتهاد في تكوين مؤسساته، ووضع النظم، واللوائح المنظمة لذلك
٢. قيامها على جلب مصالح الدارين، ودفع المفاسد عنهما.
٣. مراعاتها العرف وتغير الزمان والمكان والأحوال.
٤. النظر في مآلات الأمور واعتباراتها.
٥. مراعاة الأولويات.

فأعمال السياسة الشرعية تتلخص في: القيام على شأن الرعية، من قِبَل ولاتهم، بما يصلحهم من الأمر، والنهي، والإرشاد، والتهذيب، وما يحتاج إليه ذلك من وضع تنظيمات، أو ترتيبات إدارية، تؤدي إلى تحقيق مصالح الرعية، بجلب المنافع، ودفع المضار، ومراعاة للشرع في جميع الجوانب، تلتزم به وتتقيد، ولا تخرج عنه.

لماذا السياسة الشرعية؟

رغم أن السياسة بالأساس هي الإصلاح ، فإنه مع ضعف العلم، وعدم الفقه الجيد عند الولاة، وعند من تقلد القضاء؛ صارت السياسة تخالف الشرع، فاحتيج إلى تقييد السياسة بالشرعية لإخراج تلك السياسة الظالمة من حد القبول، وتسمى السياسة الشرعية أحيانًا بالسياسة العادلة.

يقول ابن القيم رحمه الله: " ومن له ذوق في الشريعة، وإطلاع على كمالاتها، وتضمنها لغاية مصالح العباد في المعاش والمعاد ومجيئها بغاية العدل الذي يسع الخلائق، وأنه لا عدل فوق عدلها، ولا مصلحة فوق ما تضمنته من المصالح، تبين له أن السياسة العادلة جزء من أجزائها وفرع من فروعها، وأن من له معرفة بمقاصدها ووضعها، وحسن فهمه فيها؛ لم يحتج معها إلى سياسة غيرها البتة، فإن السياسة نوعان: سياسة ظالمة فالشريعة تحرمها، وسياسة عادلة تخرج الحق من الظالم الفاجر، فهي من الشرعية، علمها من علمها وجهلها من جهلها "[1].

مباحث وموضوعات السياسة الشرعية [2]

تتعدد مباحث وموضوعات السياسة الشرعية، ويمكن لنا أن نجمعها تحت العناوين الآتية:

١- **السياسة الشرعية الدستورية**، والتي تشتمل على

[1]- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية. ١ / ٧. مصدر سابق

[2]- مستفاد باختصار وتصرف كبير من السياسة الشرعية، بداية من ص ٢٤ إلى ١٣٤ . مرجع سابق .

أ- تحديد شكل الحكومة الإسلامية ودعائمها.

ب- حقوق الأفراد والمساواة بينهم.

ت- تحديد السلطات ومصدرها ومن يتولاها.

ث- الخلافة ، وجوبها، وشروطها.

٢- السياسة الشرعية الخارجية، وتشتمل على

أ- **علاقة الدولة الإسلامية بالدول غير الإسلامية.**

ب- **أحكام الإسلام الحربية**

ت- **أحكام الإسلام السلمية**

٣- **السياسة الشرعية المالية** وتشتمل على

أ- أسس الموارد المالية الإسلامية وأنواعها

ب- **تحديد أوجه الصرف**

الأسس التي تقوم عليها السياسة الشرعية: يقوم الاجتهاد الحاصل للوصول لأحكام السياسة الشرعية، على قواعد الشريعة العامة الكلية، وهي قواعد وأسس كثيرة منها: " **رفع الحرج، ونفي الضرر، وتحقيق العدل والمساواة لأفراد المجتمع، والقضاء على الفساد، وتأمين الناس على أنفسهم، وأموالهم، وأعراضهم، ومنها أيضاً: المصالح المرسلة، وسد الذرائع، والعرف، والاستحسان في بعض أنواعه** "[1] وهي قواعد جليلية وأسس عظيمة تثري الشريعة بأحكامها التي تحقق مصالح الأمة، وتلبي طلباتها المتجددة، وتستجيب لكل ما فيه منفعة، وتدرأ كل ما فيه ضرر.

[1]- المدخل إلى السياسة الشرعية، ص / ١٤٥ . ط ١ . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – الرياض . ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

شروط النظر في السياسة الشرعية[1]:

نظرًا للأهمية العظيمة والخطورة الجسيمة لمسائل السياسة الشرعية على الوجه المتقدم بيانه، فإنه يلزم الناظر فيها أمور منها :

١- المعرفة التامة بأن الشريعة تضمن غاية مصالح العباد في المعاش والمعاد، وأنها كاملة في هذا الباب صورة ومعنى؛ بحيث لا تحتاج إلى غيرها؛ فإن الله تعالى قد أكمل الدين وقال: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}[2].

٢- الاطلاع الواسع على نصوص الشريعة مع الفهم لها ولما دلت عليه من السياسة الإلهية أو النبوية.

٣- المعرفة الواسعة الدقيقة بمقاصد الشريعة، وأن مبناها على تحصيل المصالح الأخروية والدنيوية ودرء المفاسد.

٤- التفرقة بين الشرائع الكلية التي لا تتغير بتغير الأزمنة، والسياسات الجزئية التابعة للمصالح التي تتقيد بها زمانًا ومكانًا.

٥- المعرفة بالواقع والخبرة فيه، وفهم دقائقه، والقدرة على الربط بين الواقع وبين الأدلة الشرعية.

٦- دراسة السياسة الشرعية للخلفاء الراشدين والفقه فيها.

٧- معرفة أن الاجتهاد في باب السياسة الشرعية ليس بمجرد ما يتصور أنه مصلحة وإنما يلزم التقيد في ذلك بالمصالح المعتبرة شرعًا.

٨- رحمة الناظرين في هذا الباب بعضهم بعضًا عند الاختلاف في مواطن الاجتهاد.

ولهذه الأهمية العظيمة، والمجالات الجليلة لعلم السياسة الشرعية؛ اهتم بالتصنيف فيه وبيان مسائله العلماء في كل عصر، ومن هذه المؤلفات على سبيل التمثيل:

---

[1]- مستفاد من: السياسة الشرعية، تعريف وتأصيل. مقال للأستاذ محمد بن شاكر الشريف على هذا الرابط http://www.saaid.net/Doat/alsharef/6.htm

٢- سورة المائدة. آية: ٣.

١- (الأحكام السلطانية) و(السلوك في سياسة الملوك) و(تسهيل النظر وتعجيل الظفر) كلها للإمام الماوردي ت٤٥٠هـ.

٢- (الأحكام السلطانية) لأبي يعلى الفراء ٤٥٨هـ.

٣- وغياث الأمم للجويني ت ٤٧٨هـ.

٤- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية ٧٢٨هـ. وكتاب الحسبة له أيضًا.

٥- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية لابن قيم الجوزية ٧٥١هـ.

٦- تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام لابن جماعة ٧٣٣هـ.

٧- تهذيب الرياسة وترتيب السياسة للقلعي ٦٣٠هـ.

٨- إكليل الكرامة في بيان مقاصد الإمامة لصديق حسن خان القنوجي ١٣٠٧هـ.

٩- السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها للدكتور يوسف القرضاوي.

١٠- السياسة الشرعية والفقه الإسلامي لشيخ الأزهر عبد الرحمن تاج.

١١- ونظام الحكم في الإسلام، والمدخل إلى السياسة الشرعية للشيخ عبد العال عطوة.

١٢- السياسة الشرعية للشيخ عبد الوهاب خلاف.

بهذه المصنفات في السياسة الشرعية ينتهي هذا التمهيد، وننتقل منه – بعون الله تعالى – إلى الفصل الأول حول تعريفات ودلالات قرآنية.

الفصل الأول

تعريفات ودلالات قرآنية

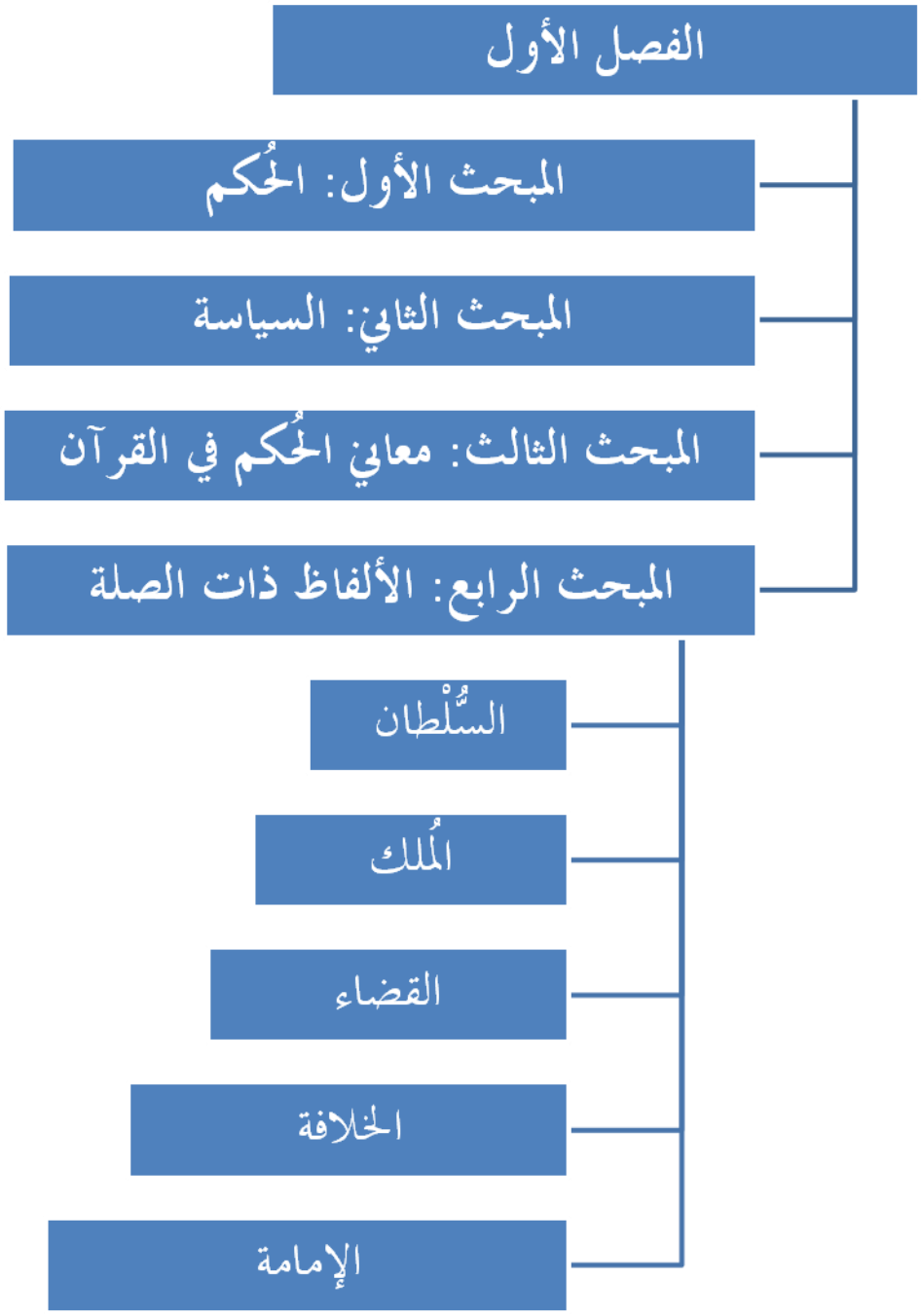
الفصل الأول
المبحث الأول: الحُكم
المبحث الثاني: السياسة
المبحث الثالث: معاني الحُكم في القرآن
المبحث الرابع: الألفاظ ذات الصلة
السُّلْطان
المُلك
القضاء
الخلافة
الإمامة

المبحث الأول

تعريف الحُكم

مطلبٌ في: تعريف الحكم لغةً.

قال الزبيدي: " ..... **وأصلُ الحُكُومَة : رَدُّ الرَّجُلِ عن الظُّلْمِ** وإِنَّما سُمِّيَ الحاكِمُ بين الناسِ **[حاكمًا] لأَنّه يَمْنَعُ الظالِمَ من الظُّلْمِ** ، ..... وحَكَّمَهُ في الأَمْرِ تَحْكِيمًا : **أَمَرَهُ أَنْ يَحْكُمَ بينهم أو أَجازَ حُكْمَه فيما بَيْنَهُم** ..... والحِكْمَةُ ، بالكَسْر : **العَدْلُ** في القَضاءِ كالحُكْمِ ..... أَحْكَمَه : **مَنَعَهُ عن الفَسادِ**..... وفي الصِّحاح : حَكَمْتُ السَّفِيه وَأَحْكَمْتُه : إذا **أَخَذْت على يَدِهِ** ، ..... و أَحْكَمَه : **مَنَعَهُ مِمّا يُرِيدُ** ..... قال الأزهريّ : ..... **وكُلّ مَنْ مَنَعْتَه من شيءٍ فقد حَكَّمْتَه** ..... "[1].

وقال الفيروز آبادي: " الحُكْمُ بالضم : **القَضاءُ** ج : أَحْكامٌ ..... والحاكِمُ : **مُنَفِّذُ الحُكْمِ** كالحَكَمِ محرَّكَةً ج : حُكَّامٌ . وحاكَمَهُ إلى الحاكِمِ : **دَعاهُ وخاصَمَهُ** . وحَكَّمَهُ في الأمْرِ تَحْكيماً : أمَرَهُ أن يَحْكُمَ فاحْتَكَمَ ..... والحِكْمَةُ بالكسر : **العَدْلُ** ..... وأحْكَمَهُ : **أتْقَنَه** فاسْتَحْكَمَ **ومَنَعه عن الفَسادِ**..... "[2]

وقالوا: " (حَكَمَ) بالأمر حُكْما **قضى**. يقال حكم له وحكم عليه وحكم بينهم.....

(حَكُمَ) حُكْما **صار حكيما**. (أحْكَمَ) ..... الشيء والأمر **أتقنه**

(حاكَمَه) إلى الله تعالى وإلى الكتاب وإلى الحاكم: **خاصمه ودعاه إلى حُكْمِه** .....

(حَكَّمه) .....فلانا في الشيء والأمر: **جعله حَكَمًا** ..... (احتكم) الشيء والأمر **توثق** وصار محكما. والخصمان إلى الحاكم: **رفعا خصومتهما إليه**، وفي الشيء والأمر: **تصرف**

---

[1] تاج العروس : فصل الحاء المهملة مع الميم. ٣١ / ٥١٠ : ٥١٤. ط١، المجلس الوطني للثاقافة والآداب. الكويت

[2] القاموس المحيط . باب الميم فصل الحاء، ص/ ١٤١٥. ط ٢. مؤسسة الرسالة. بيروت. ١٩٨٧م

فيه كما يشاء ..... (الحاكِم) **من نُصِّبَ للحُكْم بين الناس** (ج) حكام... (الحُكْم) **العلم والتفقه..... والقضاء.** (الحَكَمُ) من أسماء الله تعالى والحاكم وفي التنزيل العزيز (**أفغير الله أبتغي حكما**) [1] ومن يختار للفصل بين المتنازعين وفي التنزيل العزيز (**وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها**) [2] ..... (المِحْكَمة) هيئة تتولى الفصل في القضاء ومكان انعقاد هيئة الحكم."[3]

خلاصة: يتبين مما سبق أن معاني **الحُكْمِ** لدى العرب دائرة حول **القضاء، والعدل، والإتقان، وتنفيذ الأحكام والمنع من الظلم والفساد،** والقائم بهذا الأمر يسمونه **حاكماً، وحَكَمَاً** لأنه يمنع الظالم عن ظلمه، ويأخذ على أيدي السفهاء ويمنعهم من الفساد.

ومن هنا يمكن لي أن أستنبط تعريفاً **للحُكْم اصطلاحاً** في موضوع البحث؛ فنقول :

الحكم هو ضبط أمور الناس (الشعب – الأمة) بنظام مُتْقَن مُوَثَّق تخضع له جميع مناحي الحياة، بحيث تنصلح وتستقيم به الأمور، ويمنع به الظلم والفساد.

ومن معاني الحكم إلى المبحث الثاني والمشتمل على معنى كلمة (السياسة).

---

١ سورة الأنعام، آية: ١١٤.

٢ سورة النساء، آية: ٣٥.

٣ المعجم الوسيط . باب الحاء، ص/ ١٩٠. ط ٢. مؤسسة دار الدعوة. استانبول. ١٩٨٩م

المبحث الثاني

تعريف السياسة

من المصطلحات المطروقة بكثرة في هذا البحث مصطلح السياسة، ومن هنا كان الوقوف معه واستيضاح معناه واجباً من واجبات البحث وفيما يلي تعريفه لغةً واصطلاحاً.

مطلبٌ في: تعريف السياسة لغةً.

قال الفيروز آبادي " وسُسْتُ الرَّعِيَّةَ سِياسَةً : **أمرْتُها ونَهَيْتُها** . وفلانٌ مُجَرَّبٌ قد ساسَ وسِيسَ عليه : **أَدَّبَ وأُدّبَ** "[1] .

وقال الزبيدي: " ومن المجاز (سُسْتُ الرعية سِياسَةً)، بالكسر: **أمرتها ونهيتها**. وساسَ الأَمْرَ، سِيَاسَةً : **قامَ به** . ويقال : فُلانٌ مُجَرَّبٌ ، قد ساسَ وسِيسَ عَلَيْه ، أَي **أَدَّبَ** ، **وأُدِّبَ** وفي الصّحاحِ : أَي **أُمِّر وأُمِّرَ عَليه** .

والسِّيَاسَةُ : **القِيامُ على الشْيءِ بما يُصْلِحُه** . .... سُسْ: كالأَمْرِ منه أَي مِن سَاسَ ، يَسُوسُ : مُحَدِّثٌ ، نَقَلَه الصّاغَانِيُّ "[2].

وقال ابن منظور: " والسَّوْسُ **الرِّياسَةُ** يقال: ساسوهم سَوْساً وإذا **رَأَّسُوه** قيل: سَوَّسُوه وأَساسوه وسَاس الأَمرَ سِياسةً: **قام به** ورجل ساسٌ: من قوم ساسة وسُوَّاس.....،

وسَوَّسَه القومُ: جَعَلوه يَسُوسُهم ويقال: سُوِّسَ فلانٌ أَمرَ بني فلان أَي: **كُلِّف سِياستهم** الجوهري: سُسْتُ الرعية سِياسَة وسُوِّسَ الرجلُ أُمور الناس على ما لم يُسَمَّ فاعله إِذا **مُلِّكَ**

---

[1]- القاموس المحيط : باب السين فصل السين ، ص/ ٧١٠. مصدر سابق

[2]- تاج العروس : فصل السين مع السين المهملتين . ج/ ١٦ ص/ ١٥٧

أَمرَهم ..... وفي الحديث (كان بنو إسرائيل يَسُوسُهم أَنبياءُهم)[1]. أَي **تتولى أُمورَهم** كما يفعل الأُمَراء والوُلاة بالرَّعِيَّة **والسِّياسةُ القيامُ على الشيء بما يُصْلِحه** والسياسةُ فعل السائس يقال هو **يَسُوسُ الدوابَّ إِذا قام عليها وراضَها** .....وقال غيره سَوَّسَ له أَمراً أَي رَوَّضَه وذلَّلَه **"**[2].

قال د. يوسف القرضاوي: " السياسة في اللغة: مصدر ساس يسوس سياسة. فيقال: ساس الدابة أو الفرس: إذا قام على أمرها من العَلَف والسقي، والترويض والتنظيف وغير ذلك . **وأحسب أن هذا المعنى هو الأصل الذي أُخِذ منه سياسة البشر. فكأن الإنسان بعد أن تمرس في سياسة الدواب، ارتقى إلى سياسة الناس، وقيادتهم في تدبير أمورهم**"[3].

خلاصة: السياسة لها في اللغة معنيان: **الأول:** فعلُ السائس، وهو من يقوم على الدواب، ويروضها. **والثاني:** القيام على الشيء بما يصلحه.

ومما سبق؛ يتضح لنا أن مدار معنى كلمة السياسة لغةً، يدور حول معاني **التدبير، والإصلاح، والرعاية، والتربية، والقيادة،** وتقودنا هذه الخلاصة من معنى السياسة لغةً إلى معناها الاصطلاحي؛ والذي تأثر كثيراً بمعانيها اللغوية. فما هو تعريفها اصطلاحاً؟

---

[1] – متفق عليه. أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل رقم:٣٤٥٥. ص/ ٦٦٥ طبعة بيت الأفكار الدولية، الرياض ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م. وأخرجه مسلم ، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، رقم: ١٨٤٢. ص / ٥٢٩. الطبعة الأولى دار ابن حزم، القاهرة ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م. كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] – لسان العرب باب السين مع الواو والسين، ٦ / ٤٢٩. الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان

[3] _ مقال على موقع القرضاوي

www.qaradawi.net/site/topics/article.asp?cu_no=2&item_no=5880&version=1&template_id=119&parent_id=13

مطلبٌ في: تعريف السياسة اصطلاحاً.

وفي هذه الناحية، نجد تعريفات متعددة للسياسة، عند ذوي الاختصاص كما جاء في "موسوعة العلوم السياسية"[1] منها:

- السياسة هي " **فن إدارة المجتمعات الإنسانية** ".
- وهي " **أساليب الحكم، والإدارة في المجتمع المدني** ".
- أو هي " **أصول، أو فن إدارة الشئون العامة** ".

تعليق على التعريفات السابقة:

يتبين لنا مما سبق في التعريفات أن السياسة وإن تعددت ألفاظ التعبير عن معانيها إلا أنها لا تكاد تخرج عن السلوك المتعلق بمؤسسات وعمليات الحكم، التي تتعامل بمقتضاها الجماعة البشرية وصولاً لأهدافها، وتحقيقاً لمصالحها. ومن هذا المعنى يمكن أن نستخرج تعريفاً جامعاً للسياسة، فأقول – بعون الله وفضله –:

(**السياسة هي القيام بأمر الناس وحكمهم بما يصلحهم، وينظم حياتهم**).

وبعد هذه اللمحة الخاطفة عن تعريف السياسة ننتقل بعون الله وتوفيقه إلى بيان معاني (الحُكْم) في القرآن الكريم

١– موسوعة العلوم السياسية، مجموعة مؤلفين، إصدار جامعة الكويت بالتعاون مع مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ص١٠٢

المبحث الثالث

معاني الحكم في القرآن الكريم

لا يجد الباحث فرقاً بين معنى الحكم في القرآن الكريم، والمعنى الذي تقرر في المبحث الأول من تعريف الحكم؛ غير أن النظر هنا لا يتوقف على لفظ (الحكم) ولكن يتعدى ذلك لاستعراض مشتقات الكلمة ومعانيها المستخدمة في مواضع كثيرة بالقرآن بلغت ما يزيد عن ١٤٧ مائة وسبعة وأربعين موضعاً.

وفيما يلي نماذج من آيات الكتاب، وما احتوت عليه من لفظ الحكم ومشتقاته، ووقوف على بيان أئمة التفسير لمعانيها، والتي منها:

١) القضاء والقدر

قال تعالى: ﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾[١]

"لما بين تعالى الحجج والبراهين على بطلان أقوال المكذبين، أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا يعبأ بهم شيئا، وأن يصبر **لحكم ربه القدري والشرعي** بلزومه والاستقامة عليه، ووعده الله بالكفاية"[٢]. ومثله قوله تعالى: ﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَاۚ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾[٤]. "وأما قوله:(وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦ) ، يقول: والله هو الذي **يحكم فَيَنْفُذُ**

---

١ سورة الطور، آية: ٤٨.

٢ تفسير السعدي ، ص ١١٥٢، مصدر سابق.

٣ سورة القلم، آية: ٤٨.

٤ سورة الرعد، آية: ٤١.

حكمُه، ويَقْضي فيَمْضِي قضاؤه، وإذا جاء هؤلاء المشركين بالله من أهل مكة **حُكْم الله وقضاؤُه** لم يستطيعوا رَدَّهَ"[1].

٢) القضاء بالعدل والفصل بين المتنازعين

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾[2]."..... هو خطاب من الله لولاة"[3]" أمور المسلمين بأداء الأمانة إلى من وَلُوا أمره في فيئهم وحقوقهم، وما ائتمنوا عليه من أمورهم، **بالعدل بينهم في القضية، والقَسْم بينهم بالسوية.**"[4].

وقال سبحانه: ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ﴾[5]

"{ فَإِن جَآءُوكَ } أي: **يتحاكمون إليك** { فَٱحۡكُم بَيۡنَهُمۡ أَوۡ أَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡۖ وَإِن تُعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيۡـٔٗاۖ } أي: **فلا عليك ألا تحكم بينهم؛** لأنهم لا يقصدون بتحاكمهم إليك اتباع الحق، بل ما وافق هواهم.....، { وَإِنۡ حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۚ } أي: **بالحق والعدل** وإن كانوا ظلمة خارجين عن طريق العدل { إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ }"[6].

٣) التشريع

---

١ جامع البيان عن تأويل آي القرآن – تفسير الطبري. ٦ / ٤٧٦٥.الطبعة الثالثة، دار السلام ، القاهرة – مصر ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م

٢ سورة النساء، آية: ٥٨.

٣ في الأصل (ولاة) ولا يستقيم .

٤ تفسير الطبري ، ٣ / ٢٣٨٨. مصدر سابق.

٥ سورة المائدة، آية: ٤٢.

٦ تفسير ابن كثير ٢/ ٨٣ . مصدر سابق

قال عز وجل: ﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

"{ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ } وحده، فهو الذي يأمر وينهى، **ويشرع الشرائع**، ويسن الأحكام"[2].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[3].

" قد كانت هذه الأحكام التي في هذه الآيات من الترادّ في المهور **شرعاً** في أحوال مخصوصة اقتضاها اختلاط الأمر بين أهل الشرك والمؤمنين وما كان من عهد المهادنة بين المسلمين والمشركين في أوائل أمر الإسلام خاصّاً بذلك الزمان بإجماع أهل العلم ، قاله ابن العربي والقرطبي وأبو بكر الجصاص "[4] .

٤) الحِكْمة

قال عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَمَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴾[5].

" **والحكم : هنا بمعنى الحكمة** ..... وجُعل نفس الحكم حالاً منه مبالغة . والمراد أنه ذو حُكم ، أي حكمة ..... و{عَرَبِيًّا} حال ثانية وليس صفة لـ { حُكْمًا } ....والمقصود أنه بلغة العرب التي هي أفصح اللغات وأجملها وأسهلها ، وفي ذلك إعجازه . فحصل لهذا

---

١ سورة يوسف، آية: ٤٠.

٢ تفسير السعدي ، ص ٥٤٥، مصدر سابق .

٣ سورة الممتحنة، آية: ١٠.

٤ بن عاشور الإمام الطاهر. تفسير التحرير والتنوير ١١/ ١٦١ . دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس، أحكام القرآن لابن العربي: ٣١٢/٧، وأحكام القرآن للجصاص: ٣٣١/٥. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي: ٦٨/١٨.

٥ سورة الرعد، آية: ٣٧.

الكتاب كمالان : **كمال من جهة معانيه ومقاصده وهو كونه حُكماً** ، وكمال من جهة ألفاظه وهو المكنى عنه بكونه عربياً ، وذلك ما لم يبلغ إليه كتاب قبله لأن **الحكمة أشرف المعقولات** فيناسب شرفها أن يكون إبلاغها بأشرف لغة "[1].

"**والظاهر أن الحكم على هذا بمعنى الحكمة** وقيل : هي بمعنى العقل وقيل معرفة آداب الخدمة وقيل الفراسة الصادقة وقيل النبوة وعليه كثير"[2].

٥) التوثيق والإتقان مع الوضوح والبيان

قال عز وجل: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[3]. " يخبر تعالى أن في القرآن **آيات محكمات** هن أم الكتاب، أي: **بينات واضحات الدلالة، لا التباس فيها** على أحد من الناس"[4].

وقال تعالى ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[5] . " وأما قوله:(أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثم فصلت) ، فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله، فقال بعضهم: تأويله: **أحكمت آياته بالأمر والنهي، ثم فصلت بالثَّواب والعقاب**.... وقال آخرون: معنى ذلك:(**أحكمت آياته) من الباطل، ثم فصلت، فبين منها الحلال والحرام**.... قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب، قولُ من قال: معناه: **أحكم الله آياته من الدَّخَل والخَلَل والباطل،** ثم فصَّلها

---

١ تفسير التحرير والتنوير ٦ / ١٦٠. مصدر سابق .

٢ الألوسي محمود البغدادي تفسير روح المعاني. ١٦ / ٧٢. طبعة ٤. دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

٣ سورة آل عمران، آية: ٧.

٤ تفسير القرآن العظيم ، ١ / ٤٦٠ مصدر سابق .

٥ سورة هود، آية: ١.

بالأمر والنهي. وذلك أن "**إحكام الشيء " إصلاحه وإتقانه = و"إحكام آيات القرآن" ، إحكامها من خلل يكون فيها ، أو باطل يقدر ذو زيغ أن يطعن فيها من قِبَله** "[1].

ومثله قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴾[2] .فتأتي واضحة متقنة قاطعة حاسمة لكل شبهة.

٦) العلم والفهم والفقه في الدين

قال تعالى: ﴿ يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[3]." وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: **علم القرآن** ناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه ومقدمه ومؤخره وحلاله وحرامه وأمثاله، وقال الضحاك: **القرآن والفهم فيه**، ..... وقال مجاهد: هي **القرآن والعلم والفقه**، وروى ابن أبي نجيح عنه: **الإصابة في القول والفعل**، وقال إبراهيم النخعي: **معرفة معاني الأشياء وفهمها** "[4].

و قال عز وجل:﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾[5]. " {وَٱلۡحُكۡمَ }، يعني: الفهم بالكتاب، ومعرفة ما فيه من الأحكام "[6].

٧) النبوة

قال جل جلاله: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ

---

١ تفسير الطبري ، ٦ / ٤٢٨٣ و ٤٢٨٤. مصدر سابق.

٢ سورة الحج، آية: ٥٢.

٣ سورة البقرة، آية: ٢٦٩.

٤ تفسير البغوي ، ١ / ٢٩٢. طبعة ١ الإصدار الثاني، دار طيبة، الرياض، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٥ سورة الأنعام، آية: ٨٩.

٦ تفسير الطبري ، ٤ / ٣٢٥٤. مصدر سابق.

وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1] . قوله تعالى: "{ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ } يعني: **النبوة؛ جمع الله لداود بين الملك والنبوة** ولم يكن من قبل، بل كان الملك في سبط والنبوة في سبط"[2].

وقال تعالى: ﴿ فَفَرَرۡتُ مِنكُمۡ لَمَّا خِفۡتُكُمۡ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكۡمٗا وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴾[3].

" وقوله {حُكْمًا} يريد **النبوة وحكمتها**"[4].

٨) الملك والرئاسة

قال جل جلاله: ﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ ﴾[5] . " يذكر تعالى ما أنعم به على بني إسرائيل من إنزال الكتب عليهم وإرسال الرسل إليهم، **وجعله الملك فيهم**"[6].

وبعد هذه الإطلالة على معاني الحكم في القرآن الكريم، ننتقل للمبحث التالي حول الألفاظ القرآنية ذات الصلة بالحكم وسياسة الأمة.

---

١ سورة البقرة، آية: ٢٥١.

٢ تفسير البغوي ، ١ / ٢٦٤ مصدر سابق .

٣ سورة الشعراء، آية: ٢١.

٤ المحرر الوجيز / ١٣٩٧ مصدر سابق. و تفسير البغوي ، ٣ / ٣٥٥ مصدر سابق

٥ سورة الجاثية، آية: ١٦.

٦ تفسير القرآن العظيم ، ٤/ ١٩١. مصدر سابق .

المبحث الرابع

الألفاظ ذات الصلة

يتعلق بموضوع بحثنا هذا عديد من الألفاظ القرآنية، ذات الدلالات المتصلة بالحكم وسياسة الأمة؛ نتوقف عندها، نستجلي معانيها، تمهيداً لما يُسْتَقبل من المباحث والفصول، وفيما يلي عرض لهذه الألفاظ ذات الصلة:

١- السُّلْطان

تُجْمِع معاجم اللغة على معنى واضح للفظ (سلطان)، كما جاء في تاج العروس: " والسُّلْطانُ : **الحُجَّةُ والبُرْهانُ** ، ومِنْهُ قوله تعالى : {لاتَنْفُذونَ إلاَّ بِسُلْطانٍ}**وَقَدْ يُرادُ به المُعْجِزَةُ** ، كقوله تعالى : "إذْ أَرْسَلْناهُ إلَى فِرْعَوْنَ بسُلْطانٍ مُبين"... قالَ ابن عبّاسٍ : **وكُلُّ سُلْطانٍ في القُرْآنِ حُجَّةٌ** "[١]. وقالوا: " (السُّلْطة) **التسلط والسيطرة والتحكم**.....(السلطان) **الملك أو الوالي** (ج) سلاطين وهي سلطانة، **والقوة والقهر والحجة والبرهان** "[٢]. وجاءت الآيات القرآنية بهذه المعاني من الحجة والبرهان والتسلط والتحكم، ومن هذه المواضع قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[٣] . وقال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ﴾[٤]

" { وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٖۚ } أي: **قَهْر** لكم على اختيار الكفر "[٥].

---

١ تاج العروس : فصل السين مع الطاء. ١٩ / ٣٧٣ . مصدر سابق.

٢ المعجم الوسيط . باب السين، ص / ٤٤٣ . مصدر سابق

٣ سورة غافرة: ٥٦

٤ سورة الصافات: آية: ٣٠

٥ تفسير السعدي ، ص / ٩٨٣. مصدر سابق .

هكذا جاء اللفظ القرآني (سلطان) معبراً عن معنيين هما: الحجة والبرهان، والتسلط والقهر. ومن هذا اللفظ ننتقل للفظ التالي وهو:

٢- الملك

" (مَلَكَ): الشيءَ ملكا حازه وانفرد بالتصرف فيه فهو مالك ..... (أملكه) الشيء جعله ملكا له .... والقوم فلانا عليهم صيروه ملكا عليهم ....(تمَلَّك) الشيء امتلكه أو ملكه قهرا ..... المُلْك) ما يملك ويتصرف فيه (يذكر ويؤنث) (ج) أملاك . (المَلِك) الله تعالى، وهو المالك المطلق، ومالك الملوك، ومالك يوم الدين، وذو الملك وصاحب الأمر، والسلطة على أمة أو قبيلة أو بلاد (ج) أملاك وملوك

(المَلَكوت) عالم الغيب ... والعز والسلطان، وملكوت الله سلطانه وعظمته...

(المَلَكِيَّة) المنسوبة إلى الملك والحكومة الملكية الحكومة التي يرأسها ملك يتولى الملك بالوراثة غالبا. (المملكة) سلطان الملك في رعيته ..... والدولة يحكمها ملك .....

(المملوك) العبد (ج) مماليك "[١].

وهكذا نلاحظ أن معاني لفظ (الملك) دائر حول **حيازة الشيء والانفراد بالتصرف فيه، والتدبير، والعز والعظمة والسلطان والحكم.**

ومن مواضع مجيء لفظ (الملك) في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٢]. " أي: أنت **الملك المالك لجميع الممالك**، فصفة الملك المطلق لك، والمملكة كلها علويها وسفليها لك **والتصريف والتدبير كله لك**" [١] .

---

١ المعجم الوسيط . باب الميم ، ص / ٨٨٦. مصدر سابق

٢ سورة آل عمران: آية: ٢٦.

وقوله تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٢] . " **أي: هو مالك كُل شيء، والقادر على كل شيء فلا يعجزه شيء**، فهابوه ولا تخالفوه، واحذروا نقمته وغضبه، فإنه **العظيم الذي لا أعظم** منه، القدير الذي لا أقدر منه "[٣].

وقوله تعالى: ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾[٤]

قال في روح البيان: "يعني أنها **تملك الولاية والتصرف عليهم** ..."[٥]

ومن معاني لفظ (الملك) إلى لفظ آخر ذي صلة بموضوعنا وهو:

٣- القضاء

" القضاء: فصل الأمر قولا كان ذلك أو فعلا "[٦]. وقال في اللسان: " القَضاء **الحُكْم** ..... القاضي معناه في اللغة **القاطِع للأُمور المُحِكم** لها..... وقال الزهري: القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه **وكلُّ ما أُحْكِم عمله أَو أُتِمَّ أَو خُتِمَ أَو أُدِّيَ أَداء أَو أُوجِبَ أَو أُعْلِمَ أَو أُنْفِذَ أَو أُمْضِيَ** فقد قُضِيَ "[٧]. وبهذه المعاني جاءت آيات القرآن، ومنها قوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٨]

---

١ تفسير السعدي ،ص / ١٥٠. مصدر سابق .

٢ سورة آل عمران: آية: ١٨٩.

٣ تفسير القرآن العظيم ، ١ / ٥٧٠. مصدر سابق .

٤ سورة النمل: آية: ٢٣.

٥ الحنفي إسماعيل حقي تفسير روح البيان ، ٦ / ٢٤٧.. طبعة دار إحياء التراث العربي . بيروت – لبنان.

٦ الأصفهاني. الحسين بن محمد المعروف بالراغب مفردات ألفاظ القرآن، ، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

٧ لسان العرب ، باب القاف مع الضاد والياء، ١١ / ٢٠٩ دارإحياء العربي ، بيروت – لبنان.

٨ سورة البقرة: آية: ١١٧.

" يعني جل ثناؤه بقوله:(وإذا قضى أمرا) ، وإذا **أحكم أمرا وحتَّمه**. وأصلُ كلِّ"قضاءُ أمرٍ" **الإحكامُ ، والفراغ منه**. ومن ذلك قيل **للحاكم بين الناس**:"القاضي" بينهم ، **لفصله القضاء بين الخصوم** ، وقطعه الحكم بينهم"[1].

وقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾[2]." يقول تعالى **آمرًا** بعبادته وحده لا شريك له؛ فإن القضاء هاهنا بمعنى **الأمر**.قال مجاهد: { وَقَضَى } يعني: **وصَّى**"[3]

وقال تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[4]. " يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة: أنه لا يؤمن أحد حتى **يُحَكِّم** الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع الأمور، فما **حَكَم به** فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا؛ ..فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما **حكمت به**، وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة "[5]. ومن معاني لفظ (القضاء) الدائرة بين **الحكم، والفصل بين الخصوم، وإحكام الأمور وإتمامها**، ننتقل للفظ ذي صلة آخر وهو

٤- الخلافة

قال في المفردات: " (والخلافة) **النيابة عن الغير** إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته وإما لعجزه وإما لتشريف المستخلف. "[6].

---

١ تفسير الطبري ، ١ / ٦٦٣. مصدر سابق.

٢ سورة الإسراء: آية: ٢٣.

٣ تفسير القرآن العظيم، ٣ / ٥٠. مصدر سابق .

٤ سورة النساء: آية: ٦٥.

٥ تفسير القرآن العظيم ، ٣ / ٢١٣. مصدر سابق.

٦ مفردات ألفاظ القرآن، ١٥٥ و ١٥٦. مصدر سابق.

ومن مواضع مجيئه في القرآن قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]

" أي: **جعلكم تعمرون الأرض جيلا بعد جيل، وقَرْنا بعد قرن، وخَلَفا بعد سَلَف.** قاله ابن زيد وغيره. كما قال تعالى ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾[2]. وقوله سبحانه: ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ﴾[3] ....." [4].

وقوله تعالى ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[5] .

" هذه **وصية من الله عز وجل لولاة الأمور أن يحكموا بين الناس بالحق** المنزل من عنده تبارك وتعالى ولا يعدلوا عنه فيضلوا عن سبيله ، وقد توعد الله – تعالى – من ضل عن سبيله، وتناسى يوم الحساب، بالوعيد الأكيد والعذاب الشديد "[6].

فهذان هما المعنيان الذي جاء بهما النظم القرآني لهذا اللفظ:

فالأول: تتابع أجيال الناس سلفاً بعد خلف، وقرناً بعد قرن. **والثاني**: ولاية الأمر والحكم بين الناس.

ولا يتبقى معنا من الألفاظ ذات الصلة سوى لفظ واحد أخير وهو:

٥- الإمام

---

١ سورة الأنعام: آية: ١٦٥.

٢ سورة الزخرف: آية: ٦٠.

٣ سورة النمل: آية: ٦٢.

٤ تفسير القرآن العظيم، ٣ / ٤٨٨. مصدر سابق.

٥ سورة ص: آية: ٢٦.

٦ تفسير القرآن العظيم، ٤ / ١٩٩٢. مصدر سابق.

قال في اللسان: " والإمامُ ما ائْتُمَّ به من رئيسٍ وغيرِه، والجمع أَئِمَّة ..... وإمامُ كلِّ شيء قَيِّمُهُ، والمصْلِح له، والقرآنُ إمامُ المسلمين، وسَيدُنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام الأَئِمَّة، والخليفة إمام الرَّعِيَّةِ، وإمامُ الجُنْد قائدهم "[1].

ومن مواضع مجيئه في القرآن قوله تعالى: ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] .

" الإمام : **القدوة** ، ومنه قيل لخيط البناء : إمام ، وللطريق : إمام ، لأنه يؤم فيه للمسالك ، أي يقصد. فالمعنى : جعلناك للناس إماما يأتمون بك في هذه الخصال ، ويقتدي بك الصالحون. فجعله الله تعالى إماما لأهل طاعته "[3].

وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾[4] .

" جعلهم أئمة يهدون بأمره، وهذا من أكبر نعم الله على عبده أن يكون إماما **يهتدي به المهتدون، ويمشي خلفه السالكون** "[5].

وقوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[6]. " (وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً) أي: **ولاة وملوكا، .....**عن قتادة(وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً) أي: **ولاة الأمر** "[7].

---

١ لسان العرب، باب الهمزة مع الميم، ١ / ٢١٣ مصدر سابق.

٢ سورة البقرة: آية: ١٢٤.

٣ الجامع لأحكام القرآن، ١ / ٧٣. ط الأولى ، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ١٤٠٨هـ. ١٩٨٨م.

٤ سورة الأنبياء: آية: ٧٣.

٥ تفسير السعدي ، ص / ٧٢٨. مصدر سابق .

٦ سورة القصص: آية: ٥.

٧ تفسير الطبري ، ٨ / ٦٣٣٩. مصدر سابق .

بهذه المعاني من الاقتداء، وولاية الأمر، والملك، للألفاظ ذات الصلة بموضوع البحث، نختم الفصل الأول، ومن ثم نتوجه – بعون الله – لفصل جديد حول المقاصد المتوخاة من ترتيب وضبط أمور الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم.

الفصل الثاني

مقاصد الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم

الفصل الثاني: مقاصد الحكم وسياسة الأمة
المبحث الأول: إقامة الحاكمية لله وحده
المبحث الثاني: الحفاظ على الكليات الخمس
المبحث الثالث: تحقيق الأمن والأمان
المبحث الرابع: القيام بمقتضيات الاستخلاف
المبحث الخامس: تحقيق هيبة الدولة المسلمة

توطئة

لابد لنا قبل الشروع في ذكر مباحث هذا الفصل، من الإشارة إلى أهمية معرفة مقاصد الحكم، وسياسة الأمة في القرآن الكريم؛ وذلك أنها – بحق – عماد هذا البناء القرآني، وأساس كل توجيه وحكم يتناول الشأن السياسي للأمة المسلمة، وعلى ضوء معرفة هذه المقاصد، يمكن لنا تصور الآليات والوسائل التي تمكن العاملين بالسياسة والشأن العام للأمة من بلوغ غاياتهم، في كيفية تدبير شئون الأمة، ورعاية مصالحها، وضبط علاقات أفرادها بعضهم ببعض، ووضوح الطريق لبناء سياسات الأمة الداخلية والخارجية.

ولا نعدم في القرآن الكريم، الإشارة المتكررة لأهمية معرفة المقاصد، والتدبر في العواقب، والتفكر في المآلات، كما جاء في العديد من الآيات الدعوة للتدبر، والنظر، والتفكر، وإعمال العقل. ومن تتبع آيات القرآن، وجد كثيراً ما يرد الاستفهام الإنكاري والتعجبي ﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1] ، وقوله سبحانه..... ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾[2] ، وقوله سبحانه ..... ﴿ أَفَلَا تَنَفَكَّرُونَ ﴾[3] ، وأيضاً ..... ﴿ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴾[4] وأيضاً..... ﴿ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾[5] .

بجانب هذه الدعوة للنظر والتدبر، نجد بياناً واضحاً في آيات كثيرة للمقاصد الشرعية فيقول تعالى عن القصاص: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[6] . ويقول تعالى عن التسلح والتجهز للأعداء: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[7] .

١- سورة البقرة. آية: ٤٤.

٢- سورة النساء. آية: ٨٢.

٣- سورة الأنعام. آية: ٥٠.

٤- سورة الأنعام. آية: ٨٠.

٥- سورة القصص. آية: ٧٢.

٦- سورة البقرة. آية: ١٧٩.

٧- سورة الأنفال. آية: ٦٠.

ومما ينبغي التنبيه عليه في هذا السياق، أن القرآن الكريم لم يتناول مسائل الحكم والسياسة بصورة تفصيلية، كما في بعض مسائل العبادات، والأحوال الشخصية، بل اكتفى سبحانه بوضع القواعد، والإرشادات العامة، وذلك أن الشأن السياسي، ونظم الحكم غير محددة بشكل وظروف وملابسات معينة، بل تخضع للتغيرات الطارئة على الأمم، وتتغير بتغير المكان والزمان، ولعل هذه اللمحة هي سمة من سمات الإعجاز في القرآن الكريم، فلم يقيدهم بأحكام تفصيلية ثابتة لشأن متغير، بل تركهم وما فيه مصلحتهم، بغير مخالفة للقواعد والأسس العامة التي جاءت بها الشريعة الغراء.

وهذا كله هو سر أهمية معرفة المقاصد القرآنية في مسائل الحكم والشئون السياسية، فبمعرفتها يمكن تصور الآليات والوسائل، وكيفية تشغيلها وتفعيلها، من خلال تلك المساحة الواسعة، المتروكة للابتكار والتجديد في ممارسات الحكم والسياسية، بحيث تندفع بها المفاسد وتُجْتَلَب بها المصالح والمنافع، وحيث كانت المصلحة فثم شرع الله.

وفي الصفحات التالية بإذن الله تعالى نتناول بعضاً من مقاصد الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم.

المبحث الأول

المقصد الأول: إقامة الحاكمية لله

أراد الله – تعالى – لأمة خاتم الأنبياء والمرسلين أن تكون أمة متميزة، تحمل أمانة التبليغ بعد رسولها صلى الله عليه وسلم، فرسم لها الطريق المستقيم، وحدد لها المنهج السوي، الذي يضمن لها – إن هي التزمت به – السعادة، والسيادة على البشر أجمعين.

وكما تضمنت الكتب الإلهية قبل القرآن الهدى والنور والشرائع والمواعظ الحسان، جاء القرآن على الغاية من بيان المنهج الحق، ووضع الميزان العادل، ليقوم الناس بالقسط، وليحكم الحاكمون بالعدل.

قال الله – تعالى-: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ ﴾ [1]

" فأنزل الله تعالى التوراة، تهدي إلى الإيمان والحق، وتعصم من الضلالة، يستضاء بها في ظلم الجهل والحيرة والشكوك، والشبهات والشهوات، ليحكم بها النبيون، وأئمة الدين من الربانيين، والعلماء الكبار الذين يقتدى بأقوالهم، وترمق آثارهم، ولهم لسان الصدق بين أممهم "[2]. وكذلك الحال مع الإنجيل، قال الله – سبحانه -: ﴿ وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾ [3]

١- سورة المائدة، من الآية: ٤٤.

٢- تفسير السعدي. ص / ٢٩٧. بتصرف كبير واختصار.

٣- سورة المائدة، آية: ٤٦.

وفي الآية أن الله تعالى " بعث عيسى – عليه السلام – بالحق والصدق، مصدقا لما بين يديه من التوراة، وآتاه الكتاب العظيم المتمم للتوراة، يهدي إلى الصراط المستقيم، ويبين الحق من الباطل. للذين ينتفعون بالهدى، ويتعظون بالمواعظ، ويرتدعون عما لا يليق "[1].

وبمثل هذا الحق وأتم وأكمل أنزل الله – تعالى – القرآن على عبده المصطفى – عليه الصلاة والسلام – منهاجاً مرضياً، وطريقاً سوياً، وحكماً عدلاً إلى يوم الدين.

قال – سبحانه –: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾[2].

" لما ذكر تعالى التوراة والإنجيل ومدحهما، وأمر أهلهما بإقامتهما واتباع ما فيهما، شرع – تعالى – في ذكر القرآن العظيم، الذي أنزله على عبده ورسوله الكريم بالصدق الذي لا ريب، أميناً وشهيداً وحاكماً على الكتب المتقدمة، فما وافقه منها فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل. وجعل الله هذا الكتاب العظيم، آخر الكتب وخاتمها، وأشملها وأعظمها وأحكمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا عليها كلها، وأمره – عليه الصلاة السلام – بالحكم به، ونهاه أن يتبع أهواءهم."[3].

فاتفقت الرسالات التي جاءت من عند الله كلها على تحتيم الحكم بما أنزل الله؛ وإقامة الحياة كلها على شريعة الله. قال – تعالى –: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾[4].

وقال – سبحانه –: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾[1].

١- تفسير السعدي. ص / ٢٩٨ و ٢٩٩. بتصرف كبير واختصار.

٢- سورة المائدة، من الآية: ٤٨.

٣- تفسير ابن كثير. ٢ / ٩١ و ٩٢. بتصرف كبير واختصار.

٤- سورة المائدة، من الآية: ٤٨.

" وهنا يقرر – سبحانه – أن ما شرعه الله للمسلمين هو في عمومه ما وصى به نوحا وإبراهيم وموسى وعيسى . وهو أن يقيموا دين الله الواحد ، ولا يتفرقوا فيه ..... دون التفات إلى أهواء المختلفين . ومن هيمنة هذا الدين الواضح المستقيم ، ودحض حجة الذين يحاجون في الله "[٢].

وباتفاق الرسالات كلها على إقامة الدين الواحد، والثبات على المنهج الرباني، تعيَّن إقامة الحكم لله كحدٍّ للإيمان، وشرط للإسلام ، سواء للمحكومين أو للحكام، ويصدق هذه المعاني، ويؤكدها آيات القرآن العظيم، التي تتابعت مُقَرِّرَةً لها ومنها:

وقوله – سبحانه –: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ ﴾[٣] .

وقوله – سبحانه –: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ ﴾[٤] .

وهكذا فما أرسل الله – تعالى – رسولاً إلا ورسم له المنهج الذي يصلح عليه الخلق، وتستقيم به شئون الجماعة البشرية، وتعلو به شرائع الحق، وأحكام العدل، ومع هذا البيان الرائق لمناهج الأنبياء مع أممهم، ألزمهم ربهم – سبحانه – بما أوحى إليهم، وطلب منهم – حتماً – الحكم بما أنزل عليهم من بيِّنات الأحكام، وجليل الشرائع، وحذرهم اتباع الهوى، ومن هؤلاء نبي الله داوُد – عليه السلام – حيث يقول الله – تعالى – له: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾[٥] .

١- سورة الشورى، من الآية: ١٣.

٢- تفسير في ظلال القرآن. ٥ / ٣١٤٧.بتصرف.

٣- سورة النساء، من الآية: ١٠٥.

٤- سورة البقرة، آية: ١١٣.

٥- سورة ص، آية: ٢٦.

وقال – عزَّ من قائل –: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾[1].

" فكل الرسالات جاءت لتقر في الأرض وفي حياة الناس ميزاناً ثابتاً ترجع إليه البشرية ، لتقويم الأعمال والأحداث والرجال؛ وتقيم عليه حياتها في مأمن من اضطراب الأهواء واختلاف الأمزجة ، وتصادم المصالح والمنافع . ميزاناً لا يحابي أحداً لأنه يزن بالحق الإلهي للجميع ، ولا يحيف على أحد لأن الله رب الجميع "[2].

ودعا الله – تبارك وتعالى – أهل الكتاب لاتباع الحق الذي جاء به محمد – صلى الله عليه وسلم – إن هم أرادوا السعادتين في الدنيا والآخرة، فقال لهم: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[3].

وبمثل هذه الدعوة الكريمة، دعا الله – تعالى – الناس كلهم فقال لهم: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾[4]. فليس من طريق للسعادة والهداية، والخروج من الظلمات إلى النور، إلا الاعتصام، والعمل بالكتاب المبين، وما جاء فيه من الأحكام والشرائع، في كل شأن من شئون الحياة.

قال – سبحانه –: ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

١- سورة الحديد، آية: ٢٥.

٢- تفسير في ظلال القرآن. ٦ / ٣٤٩٤.بتصرف.

٣- سورة المائدة، آية: ١٥ و ١٦ .

٤- سورة النساء، آية: ١٧٤ و ١٧٥.

أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ ﴾[1] . فمن اتبع هدى الله فهو في أمان من الضلال والشقاء، والمعرضون ليس لهم إلا ضنك المعايش، وضيق الصدور، وتقتير الأرزاق في الدنيا، ثم النكال والخسران في الآخرة.

ولا يخفى على متأمل، أن إقامة أحكام القرآن، وتطبيقها في واقع الأمة العملي، لا يكون من غير حكم إسلامي، يحمل على عاتقه، إقامة منهج الله في الأرض، والتعبد له سبحانه بتطبيق شريعته، أداءً للأمانات وأعظمها إقامة الحكم لله، في جميع شئونهم، كما قال – تعالى –:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[2]. **وامتثالاً لأمر الله، وتحصيلاً لحقيقة الإيمان،** كما قال – سبحانه – ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[3].

وقد أنكر الله على اليهود توليهم عن حكم الله، ونفى عنهم بذلك مسمى الإيمان، فقال – تعالى –: ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[4] .

" والذين يزعمون لأنفسهم أو لغيرهم أنهم « مؤمنون » ثم هم لا يحكمون شريعة الله في حياتهم ، أو لا يرضون حكمها إذا طبق عليهم . . إنما يدعون دعوى كاذبة؛ وإنما يصطدمون بهذا النص القاطع : { وما أولئك بالمؤمنين } . فليس الأمر في هذا هو أمر عدم تحكيم شريعة الله من الحكام فحسب؛ بل إنه كذلك عدم الرضى بحكم الله من المحكومين ، يخرجهم من دائرة الإيمان ، مهما ادعوه باللسان "[5].

١- سورة طه، آية: ١٢٣ إلى ١٢٦.

٢- سورة النساء، آية: ٥٨.

٣- سورة النساء، آية: ٦٥.

٤- سورة المائدة، آية: ٤٣ .

٥- تفسير في ظلال القرآن. ٢ / ٨٩٥.بتصرف.

يتلخص لنا مما سبق؛ أن إقامة الحاكمية لله تحتل مكانة جليلة، بين واجبات دين المسلمين، كما يتضح من النقاط التالية:

- هي مظهر من أعظم مظاهر التوحيد والعبودية لرب العالمين جلَّ جلاله.
- عمل بمنهج الرسل، واعتصام بالكتاب المنزل من عند الله – تعالى -.
- تحصيل لمنافع الدنيا في مختلف مجالاتها، مع بقاء الدين موجهاً ناصحاً ورقيباً.
- إعلاء قيم العدل، والمساواة ، ومحو الحيف، والظلم في المعاملات بين الخلق.

لجميع ما سبق، وغيره، يأتي تحكيم شرع الله في خلقه، وتطبيقه بين الناس، في مقدمة المقاصد والغايات التي يتوخاها التوجيه القرآني في الحكم وسياسة الأمة. والتي ننتقل إلى مقصد آخر منها، هو موضوع مبحثنا القادم، وعلى الله اعتمادي.

المبحث الثاني

المقصد الثاني: الحفاظ على الكليات (الضروريات) الخمس

تدور أحكام الشريعة وأوامرها، حول رعاية، وحفظ كليات، وأساسيات خمس، و هي: **الدين و النفس و النسل و العقل و المال**[1].

وهذه الكليات الخمس، تمثل أساسيات الحياة الإنسانية الراشدة، التي اتفقت الرسالات السماوية، وعقلاء البشرية عبر العصور على حفظها، لما لها من تأثير عظيم في الحياة الإنسانية، يزيدها استقراراً، وتزكية، بحفظ عناصرها، وإقامة مصالحها، ودرء الفساد الواقع، أو المتوقع فيها.

لذلك وجدنا أحكام الشريعة، وجميع تفصيلاتها، تدور حول العناية بهذه العناصر الأساسية الخمسة ورعايتها وحمايتها. وفيما يلي بيان ذلك:

المطلب الأول: حفظ الدين

لم تر عين التاريخ جماعة بغير ديانة أبداً، بل كان الدين ملازماً للبشرية في جميع مراحلها إنْ بحق، أو بباطل، لأنه الفطرة التي جَبَلَ الله – تعالى – عباده عليها، وأخذ منهم الميثاق وهم في ظهر أبيهم آدم ، قال – تعالى – مشيراً إلى هذا الميثاق:

﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾[2] .

١- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الموافقات. ٢ / ٢٠. دار ابن القيم، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م .

٢- سورة الأعراف، آية: ١٧٢ .

يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم، شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم، وأنه لا إله إلا هو. كما أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه، قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1].

وفي الصحيحين عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء "[2].

ثم أرسل الله سبحانه الرسل بعد ذلك في عالم الشهادة مبشرين، ومنذرين؛ ليذكروهم بهذا الميثاق الأول في عالم الغيب، وليردوهم إلى ما فطروا عليه من الإيمان بالله والإقرار بربوبيته

وقد حافظت شريعة الإسلام، وأحكامه على الدين، سواء من حيث غرسه في النفوس ابتداء، أو من حيث تدعيم أصله و تعهده بما يحفظ بقاءه استمراراً و دواما، و شرعت لذلك الوسائل التالية:

١- **البيان والتعريف بأصول الإيمان و أركانه:** وهي الإيمان بالله ورسله و كتبه وملائكته واليوم الآخر والقدر خيره وشره، وفي هذا يقول الله - تعالى -: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[3].

في هذه الآية، يخبر الله — تعالى - عن إيمان الرسول، والمؤمنين معه، وانقيادهم وطاعتهم لربهم، وهذا يتضمن الإيمان بجميع ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبرت به عنه رسله من صفات كماله ونعوت جلاله على وجه الإجمال والتفصيل، ويتضمن الإيمان بالملائكة الذين

١- سورة الروم، آية: ٣٠ .

٢- البخاري. كتاب الجنائز. باب ما قيل في أبناء المشركين. رقم الحديث / ١٣٨٥. بيت الأفكار الدولية — الرياض. ١٤١٩هـ.

٣- سورة البقرة، آية: ٢٨٥ .

نصت عليهم الشرائع جملة وتفصيلا وعلى الإيمان بجميع الرسل والكتب، وما تضمنته الكتب من الأخبار والأوامر والنواهي، من غير تفريق بينهم.

ومثله قوله – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[1] .

٢- ترسيخ الإيمان وتثبيته بالفكر، والتدبر، و الحجة، والبرهان: و من هنا كانت دعوة القرآن إلى النظر و التدبر: وتحفيز الأذهان بأسئلة مثيرة تقودهم إجابتهم إلى الحق الذي ليس بعده إلا الضلال ومن ذلك قوله – تعالى –

﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾[2].

ويتحداهم المرة بعد المرة ﴿ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[3] ،

ومرة ﴿ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴾[4].

ونقرأ الآيات مُزَيَّلة ببيان السبب وراء إيرادها؛ فنجده إعمال الفكر، والتدبر، رجاء تحقق الهداية بذلك ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴾[5] .. ﴿ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[6] .. ﴿ لَّعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[7].

٣- الأمر بأركان الإسلام العملية؛ لإبقاء الخلق موصولين بربهم متعلقين به: وذلك القيام بأصول العبادات، وأركان الإسلام، من النطق بالشهادتين، والصلاة، والزكاة، والصوم،

١- سورة النساء، آية: ١٣٦ .

٢- سورة يونس. آية: ٣١ – ٣٢.

٣- سورة البقرة. من الآية: ١١١.

٤- سورة الأنعام. آية: ١٤٨.

٥- سورة البقرة. من الآية: ٢١٩.

٦- سورة البقرة . من الآية: ٧٣.

٧- سورة البقرة. من الآية: ١٥٠.

والحج، ومن أهم أسرار هذه العبادات و حِكَمها أنها تصل العبد بربه و توثق صلته به مما يرسخ أصل الإيمان في نفسه و يجدده ، قال الله – تعالى –:

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴾[1].

وقال — سبحانه –: ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾[2]. وقال — جل جلاله –:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[3].

وقوله: ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

و يقول صلى الله عليه و سلم: (بُنِيَ الإِسْلامُ عَلى خَمْسٍ: شَهادَةِ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءَ الزَّكاةِ وَالْحَجِّ وَصَوْمِ رَمَضانَ)[5].

مع ما جاء من نوافل الطاعات، كأداء الصلاة جماعة، ونوافل العبادات المختلفة، تأصيلاً للدين في نفس الإنسان ، وترسيخاً له في والمجتمع، وقد جاء في الحديث القدسي { مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ }[6]

١- سورة محمد، آية: ١٩ .

٢- سورة البينة، آية: ٥ .

٣- سورة البقرة، آية: ١٨٣ .

٤- سورة آل عمران ، من الآية: ١٣٦ .

٥- البخاري. كتاب الإيمان. باب {دعاؤكم} إيمانكم . رقم الحديث / ٨. رواه عن ابن عمر رضي الله عنهما.

٦- البخاري. كتاب الرقاق. باب التواضع. رقم الحديث / ٦٥٠٢. رواه عن أي هريرة رضي الله عنه.

٤- وجوب الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر: لنشر الدين، وتبيين معالمه، وتبليغ الرسالة، ودفع الشبهات، وإذاعة الخير، والمعروف، ورد الشرور، والمنكرات، ويظهر ذلك من تتابع الآيات على ذكر مهمة هذه الأمة الداعية إلى الله متأسية بنهج رسولها - صلى الله عليه وسلم — بحيث صارت خير أمة أخرجت للناس، ومن هذا قوله — تعالى -: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[١] . وقوله - عزَّ وجلَّ -: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[٢]. وقوله - سبحانه -: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[٣] .

وقوله - جلَّ وعزَّ -: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[٤] .

وهنا يمدح تعالى هذه الأمة، ويخبر أنها خير الأمم، طهروا أنفسهم بالإيمان أولاً، وتحملوا مسئولية دعوة الخلق إلى الله، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر، وجهادهم على ذلك، وبذل المستطاع في ردهم عن ضلالهم، وغيهم وعصيانهم.

٥- ضمان حرية العقيدة و التدين و حمايتها: فالإسلام لا يُكْرِه أحدا على اعتناقه، و يترك الحرية لأهل الأديان في عقائدهم وممارستهم التعبدية وتصرفاتهم المدنية، شعاره في ذلك قول ربنا — سبحانه -:

﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[١] . " أي: لا تكرهوا أحدًا على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه... "[٢].

١- سورة النحل ، آية: ١٢٥ .

٢- سورة يوسف ، آية: ١٠٨ .

٣- سورة آل عمران ، آية: ١٠٤ .

٤- سورة آل عمران ، آية: ١١٠ .

فلا إكراه، ولا جبر، يؤيد هذا قوله – تعالى – ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴾[3]. وقال – تعالى –: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾[4]. " إذا بان الحق واتضح، ولم يبق فيه شبهة؛ لم يبق للإنسان إلا سلوك أحد الطريقين، **وقد أعطاه الله القدرة على الاختيار بين الإيمان والكفر**، والخير والشر، فمن آمن فقد وفق للصواب، ومن كفر فقد قامت عليه الحجة، **وليس بمكره على الإيمان** ... وليس في قوله: ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ ﴾ الإذن في كلا الأمرين، وإنما ذلك تهديد ووعيد **لمن اختار الكفر** بعد البيان التام"[5].

٦- تشريع الجهاد دفاعاً عن الدين، وحماية للعقيدة، وإرهاباً لأعداء الملة: فأمر الله تعالى بقتال الكافرين تمكيناً للدين، ورداً للعدوان؛ فقال – تعالى –: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[6].

وقوله – سبحانه –: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[7]. وقال – تعالى –: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[8].

١- سورة البقرة ، آية: ٢٥٦ .

٢- تفسير القرآن العظيم. ١ / ٤١٦ و ٤١٧.مصدر سابق.

٣- سورة يونس ، آية: ٩٩ .

٤- سورة الكهف ، من الآية: ٢٩ .

٥- تفسير السعدي. ص / ٦٥٣.مصدر سابق .

٦- سورة الحج ، آية: ٣٩ و٤٠ .

٧- سورة البقرة ، آية: ١٩٠ .

٨- سورة الأنفال ، آية: ٣٩ .

وقال – سبحانه –: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[1] . وهذه الآيات تدل على الحكمة من تشريع الجهاد، وأن المقصود منه إقامة دين الله، وذب الكفار المؤذين للمؤمنين، البادئين لهم بالاعتداء، عن ظلمهم واعتدائهم، والتمكن من عبادة الله، وإقامة الشرائع الظاهرة.

٧– بيان عقوبة وعاقبة المرتدين: صيانة للدين عن تلاعب المتلاعبين، وحفظاً له من مكر وكيد أعداء الدين، يقول الله – جل جلاله –: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[2] .

ويقول – سبحانه – يكشف مخططات الكفار ومكرهم: ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[3] .

يخبر – تعالى – بما همت به هذه الطائفة الخبيثة، من المكر بالمؤمنين، فتواصوا فيما بينهم بالدخول في الدين على وجه المكر والكيد أول النهار، فإذا كان آخر النهار خرجوا منه ليتشكك المسلمون في دينهم، فيقولون لو كان صحيحا لما خرج منه أهل العلم والكتاب. ولذلك شرعت عقوبة الردة، حماية للاعتقاد،و صيانة لحرمة الدين، يقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوه)[4]، وقال – عليه الصلاة والسلام –: (لاَ يَحِلُّ دَمُ

١– سورة الأنفال ، آية: ٦٠ .

٢– سورة البقرة ، من الآية: ٢١٧ .

٣– سورة آل عمران ، آية: ٧٢ .

٤– أخرجه البخاري. كتاب الجهاد والسير. باب لا يعذب بعذاب الله. رقم الحديث / ٣٠١٧ . رواه عن ابن عباس رضي الله عنهما.

امْرِىءٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ الْجَمَاعَةَ)[1].

ومن أحكام وتشريعات القرآن الخاصة بحفظ الدين أعظم الضرويات الخمس ننتقل إلى المقصد التالي، وهو: حفظ النفس

المطلب الثاني: حفظ النفس

فمن ضروريات الحياة الإنسانية، عصمة النفس، و صون حق الحياة، وقد شرع الإسلام عدة وسائل للمحافظة على النفس؛ منها:-

١- تحريم قتل النفس وإيجاب القصاص في القتل العمد والدية والكفارة في القتل الخطأ. فجاءت آيات القرآن، صريحة في النهي عن قتل النفس إلا بالحق، فقال - تبارك وتعالى -: ﴿ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2]. والنهي عن الانتحار فقال – تعالى -: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[3]. والنهي عن قتل الأولاد فقال – سبحانه -: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾[4].

وجعل الله – تعالى - هذه الجريمة من كبائر الذنوب، وعاقب عليها متعمدي القتل بالغضب ونار جهنم، بل حتى القتل الخطأ، أوجب فيه الدية والكفارة مع التوبة الصادقة.

قال – تعالى -: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ

١- أخرجه البخاري. كتاب الديات. باب {أن النفس بالنفس}. رقم الحديث / ٦٨٧٨ . رواه عن ابن مسعود رضي الله عنه.

٢- سورة الأنعام ، من الآية: ١٥١ .

٣- سورة النساء ، من الآية: ٢٩ .

٤- سورة الإسراء ، آية: ٣١ .

رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[1].

وأنزل الله تعالى آيات القصاص، واضحات، بينات، فقال – عزَّ وجلَّ –: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[2].

٢- الأمر بالسعي على الرزق لتحصيل الطعام والشراب وتوفير اللباس والمسكن، فيجب على المسلم أن يعمل لتحصيل الضروريات التي تحفظ بقاء حياته. وفي هذا المعني ، يأتي التوجيه القرآني في قوله – تعالى –: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ ﴾[3].

وبقوله – تعالى –: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾[4].

أي: هو الذي سخر لكم الأرض، وذللها لكم، لتدركوا منها حاجتكم، ولطلب الرزق، والمكاسب، والمعايش؛ ليستغني العبد، ويحصل له القوت الضروري لبقاء حياته، أكلاً ، وشرباً، وملبساً، بعيداً عن إسراف المسرفين، وتبذير المبذرين قال – تعالى –: ﴿ يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[5]. فأمر – سبحانه – بتناول

١- سورة النساء ، آية: ٩٢و٩٣ .

٢- سورة البقرة ، آية: ١٧٨و١٧٩ .

٣- سورة البقرة ، آية: ١٧٢ .

٤- سورة الملك ، آية: ١٥ .

٥- سورة الأعراف ، آية: ٣١ .

الأكل والشرب، ونهي عن الإسراف فيهما؛ لما يترتب عليه من ضرر بالغ في البدن والمعيشة، وقد يترتب عليه إتلاف النفس، أو إتلاف عضو من أعضائه.

٣- تشريع الرخص، بسبب الأعذار، وحالات الاضطرار، التي تهدد النفس بالتلف، أو الأذى، ومن ذلك: رخصة الفطر في رمضان، بسبب المرض، أو السفر، قال – سبحانه -: ﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[١].

ورخصة قصر الصلاة في السفر، قال – تعالى -: ﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾[٢].

ورخصة أكل الميتة للمضطر، الموشك على الهلاك، قال – سبحانه -: ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣].

٤- تشريع الجهاد حفظا للنفوس و حماية للمستضعفين: فأمر الله – تعالى – بنصرة المستضعفين، حقناً لدمائهم، واستبقاءً لنفوسهم فقال: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[٤]. وقال – جل جلاله -: ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾[٥]. " وهذا تحريض، وتهييج على القتال، وفي الآيات، أن جهادكم على هذا الوجه، من باب القتال، والذب عن أنفسكم، وأولادكم ومحارمكم، لا من باب الجهاد الذي

١- سورة البقرة ، آية: ١٨٤ .

٢- سورة النساء ، آية: ١٠١ .

٣- سورة البقرة ، آية: ١٧٣ .

٤- سورة الأنفال ، آية: ٧٢.

٥- سورة النساء ، آية: ٧٥.

هو الطمع في الكفار، فإنه وإن كان فيه فضل عظيم، ويلام المتخلف عنه أعظم اللوم، **فالجهاد الذي فيه استنقاذ المستضعفين منكم أعظم أجرًا وأكبر فائدة** "[1].

بهذه الوسائل الجليلة، تكفلت أحكام القرآن، وشريعته بحفظ النفوس، إيجاداً، ورعايتها، ووقايتها من مواطن التلف، ومواضع إزهاقها بغير حق.

ومن أحكام وتشريعات القرآن الخاصة بحفظ النفس ننتقل إلى المقصد التالي، وهو: حفظ العقل.

المطلب الثالث: حفظ العقل

للعقل في الإسلام أهمية كبرى، فهو مناط التكليف والمسؤولية، ولقد حافظ الإسلام على العقل، وأبقى على حيويته، وسَنَّ من التشريعات ما يضمن سلامته، ويقظته، ومن ذلك:

١- **تحريم كل ما يؤثر على العقل سلباً، أو يعطل طاقته**. كالخمر والحشيش وغيرها قال – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾[2].

كما جاء في السنة العقوبة الرادعة على تناول المسكرات و ذلك لخطورتها و أثرها البالغ الضرر على الفرد و المجتمع، ففي صحيح مسلم (أن علياً رضي الله عنه أمر عبد الله بن جعفر أن يجلد الوليد بن عقبة فجلده وعلي يعد حتى بلغ أربعين فقال أمسك ثم قال جلد، النبي صلى الله عليه وسلم أربعين، وجلد أبو بكر أربعين، وعمر ثمانين، وكلٌ سُنَّة وهذا أحب إلي)[3].

١- تفسير السعدي. ص / ٢٣٢ و ٢٣٣.مصدر سابق بتصرف كبير.

٢- سورة المائدة ، آية: ٩٠و٩١.

٣- صحيح مسلم. كتاب الحدود. باب حد الخمر. رقم الحديث / ١٧٠٧. عن حضين بن المنذر أبو ساسان.

واتفق الفقهاء على وجوب حد شارب الخمر، وعلى أن حده الجلد، ولكنهم مختلفون في مقداره، فذهب الأحناف، ومالك إلى أنه ثمانون، وذهب الشافعي إلى أنه أربعون، وعند الحنابلة ثمانون للحر وأربعون للرقيق [1].

٢- **الحث على طلب العلم،وإدمان النظر والتدبر لفهم آيات الكتاب الكريم.**

فنجد الذكرَ الحكيم، قد اسْتُفْتِحَتْ آياته بذكر القراءة والعلم بقول ذي الجلال – سبحانه – : ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ * ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ * ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ * عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾[2] .

ونجد أن النبي – صلى الله عليه وسلم – لم يؤمر بطلب الزيادة من شيء إلا العلم قال الله – تعـــالى –: ﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾[3] .

وبين – سبحانه – رفعة مكانة أهل العلم بين المؤمنين فقال: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَـٰلِسِ فَٱفْسَحُوا۟ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُوا۟ فَٱنشُزُوا۟ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[4] .

وينبه – سبحانه – إلى الغاية من تنزيل القرآن بلسان عربي مبين، وهي التدبر وإعمال لعقل ﴿ كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[5] . ويقـول – عـزَّ وجـلَّ – ﴿ أَفَلَا

١- بدائع الصنائع للكاساني الحنفي، ٥ / ١١٥. ط٢. دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، والفقه المالكي الميسر للزحيلي، ٢ / ٤٦٤. ط٢. دار الكلم الطيب، دمشق – بيروت، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، أسنى المطالب في شرح روض الطالب لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري. ٤ / ١٦٠. دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٠ تحقيق : د . محمد محمد تامر، منار السبيل في شرح الدليل. ابن ضويان. إبراهيم بن محمد. ٢ / ٣٤٠ و ٣٤١.ط٢. جمعية إحياء التراث الإسلامي. ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٢- سورة العلق، آية: ١ : ٥.

٣- سورة طه، آية: ١١٤.

٤- سورة المجادلة، آية: ١١.

٥- سورة ص، آية: ٢٩.

يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[1]. ويقول – تعالى- ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[2]." أي: لتعقلوا حدوده وأصوله وفروعه، وأوامره ونواهيه. وتزداد عقولكم بتكرار المعاني الشريفة العالية، على أذهانكم،فتنتقلون من حال إلى أحوال أعلى منها وأكمل "[3].

٣- **مدح ذوي العقول، والنُّهَى، والحث على إعمال العقل، لفهم أصول وأحكام الشريعة.** وهذا واضح في كثير من آيات القرآن الكريم، قال الله – تعالى -: ﴿ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[4].

ويقول – جل جلاله -: ﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾[5].

وقال – سبحانه -: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[6]. فالآيات والمعجزات المبثوثة في الكون، الدالة على العليم الخبير، لا يستفيد منها، ولا يعتبر بما فيها إلا ذوو العقول والنُّهَى.

ويقول – تعالى -: ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[7].

" أي { لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } عنه فتفهموها، وتعقلوها بقلوبكم، ولتكونوا من أهل العقول والألباب الرزينة، فإن معرفة أحكامه الشرعية على وجهها، يزيد في العقل، وينمو به اللب، لكون معانيها أجل المعاني، وآدابها أجل الآداب"[8].

١- سورة محمد، آية: ٢٤.

٢- سورة يوسف، آية: ٢.

٣- تفسير السعدي. ص / ٥٣٧. بتصرف.

٤- سورة الزمر، آية: ١٨.

٥- سورة طه، آية: ٥٣و٥٤.

٦- سورة آل عمران، آية: ١٩٠.

٧- سورة النور، من الآية: ٦١.

٨- تفسير السعدي. ص / ٨٠٠. مصدر سابق بتصرف كبير.

٤- **تربية العقول على الحجة والبرهان وتحريرها من سلطان الخرافة، والأوهام .**

وفي هذا المعنى ورد التأكيد عليه في الآيات كما في قوله – تعالى –: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[١]

ويقول – جل جلاله –: ﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٢].

ويقول – سبحانه –: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾[٣].

ومن هذا أيضاً ما ورد في الآيات من حجج واضحات، وأدلة عقلية، تنير سبيل الحق، وتهدي الحائرين. يقول الله – تعالى –: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٤].

ويقول – عزَّ وجلَّ –: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٥]. وفي هاتين الآيتين دليل عقلي على وحدانية الحق – تعالى – وذلك أنه " لو قُدِّر تعدد الآلهة، لانفرد كل منهم بما يخلق، فما كان ينتظم الوجود. والمشاهد أن الوجود منتظم متسق،مرتبط بعضه ببعض، في غاية الكمال..ثم لكان كل منهم يطلب قهر الآخر وخلافه، فيعلو بعضهم على بعض. وهذا المعنى عبروا عنه **بدليل التمانع**، وهو أنه لو فرض صانعان فصاعدا، فأراد واحد تحريك جسم، وأراد الآخر سكونه، فإن لم يحصل مراد كل واحد منهما، كانا عاجزين..ويمتنع اجتماع مراديهما للتضاد. فيكون تعدد

١- سورة البقرة، الآية: ١١١.

٢- سورة النمل، الآية: ٦٤.

٣- سورة الأنعام، الآية: ١٤٨.

٤- سورة الأنبياء، الآية: ٢١و٢٢.

٥- سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

الآلهة محالا، فأما إن حصل مراد أحدهما دون الآخر، كان الغالب هو الواجب، والآخر المغلوب ممكنًا؛ لأنه لا يليق بصفة الواجب أن يكون مقهورا"[1]

وكما أمدنا – سبحانه – بهذه القواعد الذهبية في التفكير العقلي، فقد حرر العقول من الأوهام، والخرافات، وأعمال السحرة، والكهان.

قال – تعالى –: ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴾[2].

وقوله – تعالى – على لسان مؤمني الجن في القرآن: ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝٣ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴾[3].

وقال – سبحانه –: ﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾[4].

٥- الدعوة للسير في الأرض، والاعتبار، وكسب الخبرات، والمعارف.

قال – تعالى –: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[5].

١- تفسير ابن كثير. ٣ / ٣٤٠ و ٣٤١. مصدر سابق بتصرف كبير.

٢- سورة النمل، الآية: ٦٥.

٣- سورة الجن، الآية: ٣ إلى ٧.

٤- سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

٥- سورة الحج، الآية: ٤٦.

وقال – جلَّ جلاله –: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

وقال – سبحانه –: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾[2].

وفي الآيات إرشاد للعباد بتقليب النظر، والسير في الأرض، والاعتبار، وما يستلزمه ذلك كله من إعمال العقل، وشغله بالنافع من الفكر ، والتأملات، وما يترتب عليه من تزكيته بزيادة المعارف، وفهم نواميس الكون، والسنن الربانية في الخلق.

٦- وضع سياج حكيم لما ينبغي للعقل أن يتوقف عنده، وألا يتجاوزه. فإن للعقل حدوداً يقف عندها، لا يتخطاها، وليست مسرحاً لفكره، ولا تأملاته وفي هذا الباب حَرُم على العقل الخوض في الغيبيات من غير سلطان أو علم يأتيه من الوحي المنزل على الأنبياء، قال الله – تعالى –:

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾[3].

وقال – سبحانه –: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[4].

ومن هذا أيضاً النهي عن السؤال فيما لم يقع، ولا ينبني عليه فعل شرعي. كما جاء في قوله – تعالى –: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ

١- سورة العنكبوت، الآية: ١٩و ٢٠.

٢- سورة يس، الآية: ٧١ إلى ٧٣.

٣- سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

٤- سورة الأعراف، الآية: ٣٣.

ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا۟ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴾[1].

كما قطع الله – تعالى – تطلع كل متأمل ومفكر في كُنْهِ وحقيقة ذاته، وصفاته فقال: ﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾[2].

ومن هذا المعنى كذلك؛ الإجابة عن سؤالهم عن الروح فقال – تعالى –: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3].

وتجلو الآيات السابقة عن وجه الحقيقة، في قدرات العقل ومجالاته الممكنة، فرغم الاحتفاء الشديد بالعقل، وحفظه، وتنمية مواهبه، إلا أنه يبقى داخل حدود هذه التوجيهات الربانية، والتعاليم الرسالية، التي تحفظ طاقته، وقوته من الهدر والضياع، وتوجهه ليكون أداة نفع للأمة، في التخطيط، والاستنباط، والاجتهاد المنضبط، والتطوير، والإبداع، في شتى المجالات.

ومن أحكام وتشريعات القرآن الخاصة بحفظ العقل ننتقل إلى المقصد التالي، وهو: حفظ النسل .

المطلب الرابع: حفظ النسل .

ويراد به حفظ النوع الإنساني على الأرض، بواسطة التناسل، ذلك أن الإسلام يسعى إلى استمرار المسيرة الإنسانية على الأرض، حتى يأذن الله بفناء العالم، ويرث الأرض، ومن عليها . و من أجل تحقيق هذا المقصد شرع الإسلام المبادئ و التشريعات التالية:

١- تشريع الزواج كوسيلة وحيدة من أجل التناسل والتكاثر، وحفظ النوع الإنساني

و قد نوه القرآن بالعلاقة المقدسة بين الزوجين و اعتبرها في مواضع عديدة، آية من آيات

١- سورة المائدة، الآية: ١٠١و١٠٢.

٢- سورة طه، الآية: ١١٠.

٣- سورة الإسراء، الآية: ٨٥.

الله، ونعمة من نعمه، فقال – جل جلاله –: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[1].

ويقول – سبحانه –: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾[2].

ويقول – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[3].

فالزواج هو الطريق الفطري الطاهر الذي يلتقي فيه الرجل بالمرأة لا بدوافع غريزية محضة ولكن ابتغاء الذرية الصالحة التي تعمر العالم وتبني الحياة الإنسانية والحضارة البشرية في ظل المبادئ النبيلة و القيم الفاضلة.

ومن هذا التشريع؛ بيان النساء المحرمات في النكاح، والنساء اللاتي يحل الزواج بهن، قال – تعالى –: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُمْ ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ

١- سورة الروم ، آية: ٢١ .

٢- سورة النحل ، آية: ٧٢ .

٣- سورة النساء ، آية: ١ .

وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]. وكانوا قبل الإسلام يتزوجون ما يشاءون من النساء من دون قيد، فجاء الإسلام بضبط تعدد الزوجات بأربع نساء للرجل، فقال – تعالى –: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟ ﴾[2].

٢– تحريم الزنى، وتحريم دواعيه، وسد الطرق المفضية إليه. حمايةً للأعراض، وحفظاً للأنساب، وإعلاءً للعفة، والطهارة في المجتمع. قال الله – تعالى –: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾[3].

" فالزنا وباء قاتل للجماعة التي يفشو فيها ، فتضيع الأنساب وتختلط الدماء ، وتذهب الثقة في العرض والولد ، وتتحلل الجماعة وتتفكك روابطها ، كما أن سهولة قضاء الشهوة عن طريقه يجعل الحياة الزوجية نافلة لا ضرورة لها ، ويجعل الأسرة تبعة لا داعي إليها ، والأسرة هي المحضن الصالح للفراخ الناشئة ، لا تصح فطرتها ولا تسلم تربيتها إلا فيه "[4].

ولم يقتصر الأمر على تحريم الزنا نفسه، ولكن امتد ليشمل الأمر بكل ما ينأى بالإنسان عنه، والنهي عن دواعيه، وما يفضي إليه، من قول وعمل. وهنا نجد الأمر للرجال، والنساء بغض البصر، وحفظ الفروج عن الحرام، فيقول – تعالى –: ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ ﴾[5]. ويأتي في هذا السياق، الأمر بالحجاب للمرأة

١– سورة النساء ، آية: ٢٢ إلى ٢٥ .

٢– سورة النساء ، آية: ٣ .

٣– سورة الإسراء ، آية: ٣٢ .

٤– في ظلال القرآن. ٤ / ٢٢٢٣ و٢٢٢٤.بتصرف كبير .

٥– سورة النور ، آية: ٣٠و٣١ .

المسلمة. قال – سبحانه –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[1].

والنهي عن خضوع النساء بالقول ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِۚ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴾[2].

والنهي في الآية وإن كان موجهاً لأزواج النبي – صلى الله عليه وسلم – فسائر المؤمنات أولى بهذا التوجيه، من عدم الخضوع، واللين الذي يثير شهوات الرجال، ويحرك غرائزهم، ويطمع مرضى القلوب، ويهيج رغائبهم.

كما تحاط البيوت بسياج من الاحترام، فلا يدخلها أحد إلا بإذن أهلها، حفظاً للأعراض ، وصيانة للحرمات كما جاء في آيات الاستئذان، قال – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴾[3].

٣- تشريع العقوبة على الزنى.

إلى جانب هذه التوجيهات والإرشادات، يبقى أن طائفة من الناس لا يصلح معهم مجرد التوجيه والنصح، بل يحتاجون للتوبيخ والعقاب، من أجل ذلك جعل الله لكل متعدٍ منهم نصيباً محدداً من العذاب. قال الله – تعالى –: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[4].

١- سورة الأحزاب ، آية: ٥٩ .

٢- سورة الأحزاب ، آية: ٣٢ .

٣- سورة النور ، آية: ٢٧ إلى ٢٩ .

٤- سورة النور، آية: ٢.

فالجلد مائة جلدة للبكر، وأما الزاني المحصن، والزانية المحصنة فعقابهم الرجم حتى الموت، كما جاء في حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ (إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ اللهُ آيَةُ الرَّجْمِ، فَقَرَأْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا رَجَمَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ فَأَخْشى، إِنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ، أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: وَاللهِ مَا نَجِدُ آيَةَ الرَّجْمِ فِي كِتَابِ اللهِ؛ فَيَضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللهُ وَالرَّجْمُ فِي كِتَابِ اللهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى، إِذَا أُحْصِنَ، مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، إِذَا قَامَتِ الْبَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ الْحَبَلُ أَوِ الاعْتِرَافُ)[1].

ومع الحد، يبقى سلوك عام، واجب على المؤمنين، بعدم نكاح الزناة، والزواني، حفاظاً على طهارة الأنساب، ونقائها، ومنعاً لاختلاطها، يقول – تعالى –: ﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

٤– تشريع حد القذف، قطعاً لمقالة السوء، وحسماً لإشاعات المغرضين عن المحصنات. فلا يمكن تخيل حياة طيبة في مجتمع تستباح فيه الأعراض، وتخوض الألسنة في شرف العفيفات الغافلات الطاهرات المؤمنات. ولهذه الغاية الكريمة تأتي الآيات واضحات شافيات يقول – جل جلاله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3]. ويقول – تعالى – مهدداً مروجي الإشاعات، الملتمسين لأهل البراءة العيب: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[4].

١– أخرجه البخاري، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنى إذا أحصنت. رقم الحديث / ٦٨٣٠. عن عمر رضي الله عنه.

٢– سورة النور، آية: ٣.

٣– سورة النور، آية: ٤.

٤– سورة النور، آية: ١٩.

ويقـول – سـبحانه – متوعـداً هـؤلاء القـاذفين والقاذفـات: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾[1].

ومن أحكام وتشريعات القرآن الخاصة بحفظ النسل ننتقل إلى المقصد الأخير، وهو: حفظ المال.

١- سورة النور، آية: ٢٣ إلى ٢٥.

المطلب الخامس: حفظ المال .

القرآن الكريم كتاب هداية، ورحمة للعالمين، لكنه لا يقتصر على تنظيم علاقة الإنسان بربه، بل يمتد لينظم جميع جوانب الحياة، بالشكل الذي يكفل للمؤمنين به حياة طيبة في الدنيا، وسعادة وفوزاً في الآخرة، وقد وصفه الله – تعالى – بقوله: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[1] والنصوص المرتبطة بهذا المقصد في القرآن الكريم، تشكل مجموعة من القواعد، التي تحقق رفاهة الإنسان ومجتمعه. ويمكن لنا أن نُجْمِل قواعد حفظ المال، وكيفية تداوله بين الناس في القرآن الكريم في النقاط التالية:

١. إباحة السعي لطلب الرزق، والحث على كسب المعايش.

ومع كون هذا الأمر فطرياً، جبلت عليه الخليقة،إلا أن التوجيه القرآني قد أبرزه، وحث عليه، تشريفاً للساعين على أرزاقهم، وتعظيماً لقيمة السعي والعمل.

وفي هذا المعنى يأتي قوله – تعالى –: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2].

وقوله – تعالى –: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[3].

وقد جاء في الحديث عن المِقدامِ بن معدي كرب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكُل من عمل يديه، وإن نبي الله داود صلى الله عليه وسلم كان يأكل من عمل يده**))[4]. فهذه دعوة للتكسب والاجتهاد في العمل، والانتشار والضرب في الأرض، والابتغاء من فضله سبحانه، والتماس الأرزاق، في جنبات الأرض، وما وضع الله سبحانه فيها من السبل المذللة، والعطاء الواسع.

١- سورة الإسراء. آية: ٩

٢- سورة الجمعة. آية: ١٠

٣- سورة الملك. آية: ١٥

٤- رواه البخاري. كتاب البيوع. باب كسب الرجل من عمل يده. برقم / ٢٠٧٢. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢. بيان مصادر كسب المال ومجالات الإنتاج.

اشْتمل القرآن الكريم على عرض مفصل لقطاعات الإنتاج المختلفة وللموارد الطبيعية المتنوعة، وما فيها من منافع عظيمة لمن يحسن استثمارها ومن ذلك قوله – تعالى –: ﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1].

وقوله – تعالى –: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾[2].

وقوله – تعالى –: ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾[3].

١- سورة النحل. آية: ٥- ١٤

٢- سورة إبراهيم. آية: ٣٢ – ٣٣

٣- سورة الحجر. آية: ١٩- ٢٢

فهذه الآيات دلالة وإرشاد من رب العالمين سبحانه لعباده بما أنزل عليهم من السماء، وأخرج لهم من الأرض، وأجرى لهم في البحار والأنهار، وسخر لهم من البهائم والأنعام، نِعَمٌ، ومِنَنٌ، لا تعد ولا تحصى، بها قوام الحياة، وتمثل منابع الإنتاج، ومصادر تحصيل الثروات.

٣. التأكيد على الجانب المعنوي لحفظ المال وأن تنميته بالصدقة.

لم يأت شيء من تشريعات الإسلام مخالفاً للفطرة، التي فطر الله تعالى الناسَ عليها، من حب المال، والتعلق به، كما أخبر بذلك - سبحانه -: ﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾(١). وقال – تعالى -: ﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾(٢).

غير أن هذا المال ليس غاية في نفسه بل هو أداة ووسيلة يتوصل بها المؤمن الصادق لمرضاة خالقه، ومولى نعمته، ولا يتأتى ذلك للمؤمن حتى يعوِّد نفسه البذل، والإحسان، ويداويها من الشح قال - تعالى - مادحاً للكرام المنفقين: ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾(٣). وقال – سبحانه -: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٤).

وإذا كان الإمساك والشح مَهْلكة للممسكين، فالبركة، والنماء، نعم الجزاء للمنفقين الكرام. قال – سبحانه -: ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾(٥).

وقال – تعالى -: ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾(١).

١- سورة الفجر. آية: ٢٠

٢- سورة العاديات. آية: ٨

٣- سورة الإنسان. آية: ٨

٤- سورة الحشر. آية: ٩

٥- سورة البقرة. آية: ٢٧٦

وهكذا ينمي القرآن الكريم الإحسان، وحب البذل، في نفوس المؤمنين، **فالإنفاق وإن كان في ظاهره نقصان مال المُنْفِق، إلا أنه على الحقيقة تزكية، ونماء لهذا المال**، مما يغري المؤمنين ويشجعهم على نبذ الأثرة والبخل، والتحلي بالجود والكرم، طلباً لحسن العاقبة في الدنيا والآخرة. قال الله تعالى ﴿ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢] .

٤. تحريم الربا، ومحاربة الجشع، والرغبة الجامحة في الربح السريع.

فقد أراد الله تعالى المجتمعات البشرية، مجتمعات تراحم، وتعاطف، وتكافل، بلا أَثَرَة، ولا أنانية، مع كفالة الحرية التامة في المعاملات المالية، وإطلاقها فيما أحله الله، ومباركة أرباح المتعاملين، إلا أنه سبحانه أمر باجتناب تلك المعاملات المحرمة، والتي يسودها الجشع، والسعي للربح الفاحش، فقال – تعالى–: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[٣].

وقال – سبحانه –: ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ [٤].

وقال – سبحانه –: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾[٥].

فلم يتوعد الرب جل جلاله هذا الوعيد الشديد إلا لهؤلاء المرابين، الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، ويثيرون الأحقاد، وينشرون روح الأنانية بين المجتمع، خلافا لما يحبه الله، ويرضاه للمسلمين حيث قال – سبحانه –: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[١].

١- سورة الروم. آية: ٣٩

٢- سورة المزمل. آية: ٢٠

٣- سورة البقرة. آية: ١٨٨

٤- سورة البقرة. آية: ٢٧٥

٥- سورة البقرة. آية: ٢٧٨- ٢٧٩

وقال – تعالى – مرشداً وموجهاً أصحاب الأموال الموثرين في تعاملهم مع إخوانهم المدينين: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(٢).

فلا ربا، ولا جشع، بل إنظار لميسرة وسعة، أو تفضل، وإحسان، وعفو، ومسامحة.

٥. تقويم السلوك الإنساني في المعاملات المالية.

ومن ذلك الأمر بأداء الحقوق لأصحابها، ومستحقيها، قال – تبارك وتعالى –: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾٣. والنهي عن التبذير والإسراف، والتنفير من البخل، والشح، والتطفيف في الميزان، ووجوب الزكاة في موعدها.

قال – سبحانه – ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾٤

وقال – تعالى –: ﴿ وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾٥

وقال – سبحانه –: ﴿ وَءَاتُوا حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾٦

وقال – تعالى –: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾٧

وبهذا كله يستقيم سلوك الإنسان في تحصيل وإشباع حاجاته المختلفة، وتسود الاستقامة والتكافل، والوفاء، والعدالة، مع إشباع النزعات الفطرية للإنسان، ويلبي مطالبها ضمن الحدود المشروعة.

١- سورة الحجرات. آية: ١٠
٢- سورة البقرة. آية: ٢٨٠
٣- سورة الإسراء . آية: ٢٦
٤- سورة الإسراء . آية: ٢٩
٥- سورة الإسراء . آية: ٣٥
٦- سورة الأنعام . آية: ١٤١
٧- سورة الفرقان . آية: ٦٧

٦. تحريم الاعتداء على الأموال بالسرقة، أو السطو، أو التحايل، وتشريع العقوبة على ذلك.

قال– تعالى –: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١].

وقد عاب الله – تعالى – على اليهود تحايلهم وأكلهم – بلا حق – أموال الناس، فقال: ﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ ﴾[٢]

كما حرم – سبحانه – القمار، وهو ضرب من أكل أموال الناس بالباطل؛ فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[٣].

وقد قال صلى الله عليه وسلم: (**كل المسلم على المسلم حرام دمه و ماله وعرضه**)[٤]. بهذه التشريعات كلها حفظ الإسلام المال، وصانه عن الفساد، حتى يؤدي دوره كقيمة لا غنى عنها في حفظ نظام الحياة الإنسانية ، شأنه في ذلك شأن كل المصالح السابقة، التي تمثل أساس الوجود الإنساني، وقوام الحياة الإنسانية، والتي بدون مراعاتها وحفظ نظامها يخرب العالم، وتستحيل الحياة الإنسانية، ويقف عطاؤها، واستثمارها في هذا الوجود. بهذا الكلام عن حفظ المال، يتم لنا بيان الأحكام، والتشريعات، التي جاءت بها الآيات لحفظ الضرويات الخمس، وهي إحدى المقاصد الجليلة للحكم، وسياسة الأمة في القرآن الكريم. ومن هنا ننتقل للمبحث الثالث وهو: **تحقيق الأمن والأمان**

١- سورة المائدة. آية: ٣٨

٢- سورة النساء آية: ١٦١

٣- سورة المائدة. آية: ٩٠و٩١

٤- رواه مسلم. كتاب البر والصلة والآداب. رقم الحديث / ٢٥٦٤. عن أبي هريرة رضي الله عنه

المبحث الثالث:

تحقيق الأمن والأمان

اعتنت آيات القرآن الكريم عناية خاصة ببث معاني الأمن، والاطمئنان؛ لكونهما حاجة فطرية للنفوس البشرية، وذلك من خلال لفت الأنظار إلى كون الأمن نعمة من أعظم النعم، والإرشاد إلى أقوم الطرق، وأيسر السبل في تحصيل هذه المِنَّة، وتحصينها، والدفاع عنها، وتجريم كل ما من شأنه تعكيرها، والعدوان عليها، بل وسَنُّ الحدود الرادعة، وتشريع العقوبات الزاجرة، لكل عمل يُخِلُّ بالأمن، ويُرَوِّعُ الآمنين. ويمكن لنا أن نشير إلى هذا النهج في النقاط التالية:

- **الأمن إنعام إلهي، وعطاء رباني.** قال الباري العليّ – سبحانه –: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلۡهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفۡ مِنۡ أَرۡضِنَآۚ أَوَلَمۡ نُمَكِّن لَّهُمۡ حَرَمًا ءَامِنٗا يُجۡبَىٰٓ إِلَيۡهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَيۡءٖ رِّزۡقٗا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[1]. ومثله قوله – تعالى –: ﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ ﴾[2].

وقال – سبحانه –: ﴿ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ۝٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۢ ﴾[3].

فما سبق من الآيات تذكير لقريش بإنعام الله عليهم، وذلك أن كل ما حولهم من الأماكن، قد حف بها الخوف من كل جانب، وأهلها غير آمنين ولا مطمئنين، فَلْيَحْمَدُوا ربهم على هذا الأمن التام، الذي ليس فيه غيرهم، وعلى الرزق الكثير، الذي يجيء إليهم من كل مكان، يرتزقون به ويتوسعون. ولْيَتَّبِعُوا هذا الرسول الكريم، ليتم لهم الأمن والرغد، وإياهم وتكذيبه، والبطر بنعمة الله، فيبدلوا من بعد أمنهم خوفا، وبعد عزهم ذلا وبعد غناهم فقرا.

---

[1] – سورة القصص، آية: ٥٧.

[2] – سورة العنكبوت، آية: ٦٧.

[3] – سورة قريش، آية: ٣ و ٤.

وقال – تعالى – لأوليائه المؤمنين: ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1].

قال العلامة السعدي – رحمه الله – " **يقول تعالى ممتنا على عباده** في نصرهم بعد الذلة، وتكثيرهم بعد القلة، وإغنائهم بعد العيلة. ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ أي: مقهورون تحت حكم غيركم ﴿ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ ﴾ أي: يأخذونكم. ﴿ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ فجعل لكم بلدا تأوون إليه، وانتصر من أعدائكم على أيديكم، وغنمتم من أموالهم ما كنتم به أغنياء. ﴿ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ **الله على منته العظيمة وإحسانه التام**، بأن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا"[2].

- **الأمن والأمان أمل الصالحين، ورجاء المصلحين.** قال الله – سبحانه –: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[3].

ومثله قوله – تعالى –: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[4].

فلإدراك أبي الأنبياء إبراهيم – عليه السلام – ضرورة تحقق الأمن لاستقرار العيش، تضرع لربه – تعالى – ليَمُنَّ على أهله، ومكة بالأمن، وقدمه في الدعاء على غيره لكون الناس لا يستقيم أمرهم ومعايشهم بدون تحقق الأمن، وشعورهم بالأمان والاطمئنان.

وحين دعا يوسف – عليه السلام – أباه وإخوته لدخول مصر، تمنى لهم السلامة والأمن من جميع المكاره والمخاوف، فدخلوا في هذه الحال السارة، وزال عنهم النصب ونكد المعيشة،

---

[1] – سورة الأنفال، آية: ٢٦.

[2] – تفسير السعدي. ص / ٤٢٧. بتصرف.

[3] – سورة آل عمران، آية: ٩٧.

[4] – سورة إبراهيم، آية: ٣٥.

وحصل لهم السرور والبهجة. قال – تعالى –: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴾[1].

- **تسلط الخوف، وذهاب الأمن، عقوبة ربانية لسائر المعرضين الجاحدين.** حين تتنكر البشرية لخالقها، فتكفره ولا تعبده، وتجحده ولا تشكره، يحل بها غضب الله – جلَّ جلاله – وتتحول من أمم آمنة مطمئنة، إلى أمم يمزقها الخوف، والرعب. ومن أمثلة ذلك:

قوله – تعالى –: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَاقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[2].

" وهذه القرية هي مكة المشرفة، كانت آمنة مطمئنة، وتحترمها الجاهلية الجهلاء، وحصل لها من الأمن التام ما لم يحصل لسواها، وكذلك الرزق الواسع، فكذبوالرسول، وكفروا بنعمة الله عليهم، فأذاقهم الله ضد ما كانوا فيه، وألبسهم لباس الجوع، الذي هو ضد الرغد، والخوف الذي هو ضد الأمن، وذلك بسبب كفرهم وعدم شكرهم "[3].

وقوله – سبحانه –: ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[4].

" هذه الآيات وأخواتها في قوم سبأ، وقد أنعم الله عليهم، ووسَّع، وبارك لهم، فلما أعرضوا جعلهم حديثا للناس، وَسَمَرًا يتحدثون عن خبرهم، وكيف مكر الله بهم، وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنيء تفرقوا في البلاد، ومزقهم كل ممزق "[5].

---

[1] – سورة يوسف، آية: ٩٩.

[2] – سورة النحل، آية: ١١٢.

[3] – تفسير السعدي. ص / ٦٢٠. بتصرف.

[4] – سورة سبأ، آية: ١٨ – ١٩.

[5] – تفسير ابن كثير. ٣ / ٧٠٤ . بتصرف.

ونقرأ تهديد نبي الله صالح – عليه السلام – لقومه: ﴿ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾[1].

والمعنى أنه لا يمكن لكم أن تظلوا على هذه الحال، من الأمن، والنعيم، والرفاه، وقد عصيتم ربكم، وتنكرتم له، وجحدتم نعمه، واتبعتم المسرفين، وأطعتم المفسدين، بل سينقلب كل ذلك عليكم وبالاً، وفزعاً، وعذاباً في الدنيا، مع ما يُدَّخَر لكم بالآخرة.

وعلى وجه الحقيقة، فلا يستشعر الأمن والأمان إلا من قويت بالله صلته، واعتصم بحبل الله المتين، واهتدى بالوحي المنزل، وهو النور المبين، وأما هؤلاء الغافلون، المعرضون، المكذبون، فحياتهم نكد وقلق واضطراب، ونهايتهم خراب، وخسران، وعذاب. قال الله – جلَّ جلاله –: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[2].

- **أول موجبات الأمن : الإيمان الصادق والبعد عن الشرك بالله** في ربوبيته، أو ألوهيته، أو حكمه، أو الكفر بدينه، أو تنحية شرعه عن واقع الحياة، أو مزاحمة شرع غير شرعه معه بالغة ما بلغت المبررات المغلوطة. قال – تعالى –: ﴿ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۚ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[3].

وهنا ينبع الأمن من عقيدة المجتمع، وارتباطه الوثيق بربه، فلا أمن على وجه الحقيقة بلا إيمان، فمَن حقَّق الإيمانَ ظفر بالأمن، وبقدر ما يتحقَّق من الإيمان يتحقَّق مثله من الأمن، ومَن استكمل شُعَبَ الإيمان وخصاله استكمل صور الأمن وأشكاله.

---

[1]- سورة الشعراء، آية: ١٤٦ – ١٥٢.

٢- سورة الأعراف، آية: ٩٦ – ٩٩.

٣- سورة الأنعام، آية:٨١- ٨٢.

- **ثاني موجبات الأمن : العمل الصالح** ، وهو الذي تتوثق به الصلة بالله جل وعلا، والتي بسببها يعم الأمن أرجاء المجتمعات، ويتحقق وعد الله لعباده المؤمنين بقوله – جلَّ جلاله –: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1] .وهذه هي الحياة الطيبة التي وعد الله عباده الصالحين فقال: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[2] .

والعمل الصالح سبب لنشر الاطمئنان والسكينة في المجتمعات، وقد فطنت لذلك بنتُ العبد الصالح في مدين فقالت لأبيها ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴾[3] . فالقوي الأمين، قادر على بذل المساعدة، مأمون على الأعراض، والأموال.

ولذلك ما أرسل الله – تعالى – رسولاً إلا موصوفاً بذلك، فكان كل منهم – عليهم أتم الصلوات والتسليم – يقول لقومه: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾[4] .

أي: مأمون، يطمئن الخلق للتعامل معه، ويأمنه الناس على أعظم الأمانات، وهي التبليغ عن الله – تعالى –، وينشر بتعاليمه، ورسالته، الأمن، والأمان.

وأمر الله – تعالى – بمحاسن الأخلاق، وصالح الأعمال؛ ليعم الأمن جميع أفراد المجتمع فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[5] .

١- سورة النور، آية: ٥٥.

٢- سورة النحل، آية: ٩٧.

[3]- سورة القصص، آية: ٢٦.

[4]- سورة الشعراء، آية: ١٠٧- ١٠٨.

[5]- سورة النحل، آية: ٩٠.

وقال – تعالى –: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾[1].

وقال – جلَّ وعزَّ –: ﴿ وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ﴾[2].

فأمر سبحانه بما ينشر الأمن وتطمئن به النفوس من أداء الأمانات، والعدل، والإحسان إلى الخلق، والوفاء، ونهى عن البغي والعدوان، وسائر الأمور المنكرة.

وفي باب الجهاد – وهو ذروة سنام الإسلام – بشَّرَ الله تعالى المجاهدين المؤمنين، بدخول مكة آمنين، مطمئنين، بلا خوف، ولا رهبة، تشجيعاً لهم، وتحريضاً على الثبات مع رسوله – عليه الصلاة والسلام – فقال – سبحانه –: ﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ ﴾[3].

بل كانت تغفو أعينهم في المعارك، فضلاً ورحمة وأمْناً من ربهم، وسكينة ينزلها ربهم على قلوبهم، تثبيتاً لهم. قال – تعالى –: ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡۚ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴾[4].

وإذا كانت الدنيا لا تطيب إلا بالأمن، والأمان؛ فكذلك الآخرة، فلا يقر للمؤمنين قرار، ولا يلذ لهم نعيم، حتى يؤمنهم ربهم، ويدعوهم لدار كرامته قائلاً – سبحانه –: ﴿ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾[5].

---

[1] – سورة النساء، آية: ٥٨.

[2] – سورة الإسراء، آية: ٣٤.

[3] – سورة الفتح، من الآية: ٢٧.

[4] – سورة الأنفال، آية: ١٠-١١.

[5] – سورة الحجر، آية: ٤٦.

وينعم عليهم – سبحانه – بالخلود حيث الأمن من كل منغص ومكدر ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾[1].

- **وثالث موجبات الأمن، تشريع حاسم، وعقوبات رادعة**، لكل من يخل بوجه من وجوه الأمن، ويتضح هذا في تأمين الشرع للضرورات الخمس، وما شرع من الحدود حفاظاً عليها ومن هذه العقوبات المقررة:

أ– حد الحرابة: لقُطَّاع الطريق، الذين يعرضون للناس في القرى والبوادي، فيغصبونهم أموالهم، ويقتلونهم، ويخيفونهم، فيمتنع الناس من سلوك الطريق التي هم بها، فتنقطع بذلك. أنزل الله – عزَّ وجلَّ – فيهم: ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوْ يُصَلَّبُوٓاْ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْاْ مِنَ ٱلْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2].

" فجعل الله لكل جريمة لها قسط يقابلها، كما تدل عليه الآية بحكمتها وموافقتها لحكمة الله تعالى. وأنهم إن قَتَلوا وأَخَذوا مالا تحتم قتلُهم وصلبهم، حتى يشتهروا ويَخْتَزُوا – من الخِزْي – ويرتدع غيرهم. وإن قَتَلوا ولم يأخذوا مالا تحتم قتلهم فقط. وإن أخذوا مالا ولم يَقْتِلوا تحتم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، اليد اليمنى والرجل اليسرى. وإن أخافوا الناس ولم يقتلوا، ولا أخذوا مالا نُفُوا من الأرض، فلا يُتْرَكون يأوون في بلد حتى تظهر توبتهم. ويدل هذا على أن قطع الطريق من أعظم الذنوب، موجب لفضيحة الدنيا وعذاب الآخرة، وأن فاعله محارب لله ولرسوله.وإذا كان هذا شأن عظم هذه الجريمة، علم أن **تطهير الأرض من المفسدين، وتأمين السبل والطرق، عن القتل، وأخذ الأموال، وإخافة الناس، من أعظم الحسنات وأجل الطاعات**، وأنه إصلاح في الأرض، كما أن ضده إفساد في الأرض"[3].

---

[1]– سورة الدخان، آية: ٥١ – ٥٥.

[2]– سورة المائدة، آية: ٣٣.

[3]– تفسير السعدي. ص / ٢٩٣ و ٢٩٤. بتصرف كبير.

ب– حد القصاص: نهى الله – تعالى – عن قتل النفس إلا بالحق، فقال – تبارك وتعالى – : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1].

وجعل ذلك من كبائر الذنوب، فقال – تعالى –: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾[2].

بل واعتبر العدوان بقتل نفس واحدة كقتل الناس جميعاً فقال – جلَّ جلاله –: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾[3].

وأنزل – سبحانه – آيات القصاص، قاطعات، حاسمات، فقال – عزَّ وجلَّ –: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى ۖ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[4].

ففرض – سبحانه – القصاص في القتلى، وبيَّن – جلَّ وعلا – الحكمة فقال: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ وكانت العرب تقول: القتل أنفى للقتل، فجاء التشريع الرباني ليقول للبشرية: إن إقامة حد القصاص إنما هو حياة، وليس قتلاً، نعم! حياة تُصان عن القتل، حياة تصان عن التفزيع والترويع، حياة آمنة مطمئنة.

ج– حد السرقة: وحتى يأمن الناس على أموالهم، ومدخراتهم، جاء الكتاب العزيز بتحريم كل صور الاعتداء على الأموال بالسرقة، أو السطو، أو التحايل، وجعل العقوبة على السرقة

١– سورة الأنعام ، من الآية: ١٥١ .

٢– سورة النساء ، آية: ٩٣ .

٣– سورة المائدة ، آية: ٣٢ .

٤– سورة البقرة ، آية: ١٧٨و١٧٩ .

حداً مقدراً، يقيمه ولي الأمر المسلم. قال – تعالى –: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(١) .

فقطع اليد في السرقة، جزاء للسارق بما سرقه من أموال الناس ، ويأتي هذا العقاب المغلظ حفظاً للأموال، واحتياطاً لها، وتنكيلا وترهيبا للسارق ولغيره، ليرتدعوا إذا علموا أنهم سيقطعون إذا سرقوا.

د– حد الزنا والقذف: لما كان الخوف والقلق أعظم ما يكون على الأعراض، وانتهاكها، ويسبب أكبر ما يحدث من المشكلات والعداوات، وحتى يطمئن الناس على أعراضهم، وذرياتهم، جاء الكتاب العزيز بحدي الزنا، وقذف المحصنات. قال – تعالى –: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(٢)

فعاقب – سبحانه – بالجلد مائة جلدة، كلاً من الزاني والزانية البِكْرَيْن، فإن كانا محصنين، رجما بالحجارة حتى الموت، كما جلد القاذف الواقع في أعراض المحصنات بلا بينة ولا شهود، وعاقبه الشرع بجلده ثمانين جلدة، وإسقاط وضعه الاجتماعي برد شهادته، وتفسيقه، بسبب ما أتاه من فعل شنيع وجناية على أعراض المؤمنات الطاهرات العفيفات.

ونجد القرآن الكريم حين يَنْهَى المؤمنين عن هذا الفعل المذموم وهو الزنا نجده يقول ﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾(٣) . فنهى عن الاقتراب منه وحرم دواعيه، وسد الذرائع الموصلة إليه، من نظر محرم، واختلاط بين الرجال والنساء الأجانب، وأمر بالحجاب للمرأة، والاستئذان لدخول البيوت، والاستئذان داخل البيت بين المحارم أنفسهم صيانةً

١– سورة المائدة. آية: ٣٨

٢– سورة النور. آية: ٢ – ٤

٣– سورة الإسراء. آية: ٣٢

للأعراض وحماية للعفة، ومن شأن ذلك أن يوفر أكبر قدر من الأمن المنشود على الأعراض والحرمات.

بهذه المنظومة من التشريعات الحاسمة والعقوبات الرادعة، وقبلها التوجيه الإلهي لعباده المؤمنين، لتحصيل أسباب الأمن في جميع المجالات، بالإيمان الصادق، والعلم النافع، والعمل الصالح، وتجنب كل صور الجحود والنكران، بهذه التشريع الشامل – وحده – يتحقق غاية الأمن، وكامل الأمان للناس في حياتهم.

وبعد هذه الرؤية القرآنية للأمن، ووسائل تحقيقه في حياة الناس، ننتقل إلى مبحثنا التالي، عن مقصد آخر من مقاصد الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم، وهو: **القيام بمقتضيات الاستخلاف**

المبحث الرابع:

القيام بمقتضيات الاستخلاف

يدور هذا المبحث حول مطلبين أساسيين وهما:

المطلب الأول في معنى الاستخلاف

أولاً في اللغةً : "الاستخلاف مصدر للفعل استخلف يستخلف استخلافاً، وحروفه الأصلية (خَلَفَ) تأتي على عدة معاني :

المعنى الأول : أن يجيء شيء بعد شيء فيقوم مقامه، فالخَلَف: ما جاء بعد الشيء ، يُقال: هو **خَلَفٌ** من أبيه – بالفتح – للجيد، ويقال للرديء – **خَلْف** – بالتسكين – ومن ذلك قوله – تعالى – : ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ ﴾[1] . **وخَلَف** فلانٌ فلاناً : إذا كان خليفته، **واستخلف** فلاناً : جعله مكانه ، **واسْتَخْلَفه** : جعله خليفة. قال – تعالى –: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي ﴾[2]

المعنى الثاني: ضد أمام ، وتكون الكلمة بتسكين الوسط " خَلْف " يقال : هذا خَلْفي، وهذا أمامي ، ومنه قوله – تعالى – ﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ ﴾[3] .

المعنى الثالث : التَغيُّر – يقال : خَلَف فوه ، إذا تغيَّر – ومنه قوله – صلى الله عليه وسلم –: (لَخَلُوف فَمِ الصائم أطيب عند الله من ريح المسك)[4] ..." [1]

---

١ سورة مريم. من الآية: ٥٩

٢ سورة الأعراف. من الآية: ١٤٢

٣ سورة البقرة. من الآية: ٢٥٥

٤– متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب فضل الصوم برقم ١٧٦١ ، دار القلم بيروت ١٩٨٧م، وأخرجه مسلم في كتاب الصيام برقم ١٩٤٢ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ١٩٥٤م.

والمعنى المراد في بحثنا هذا هو المعنى الأول وهو مجيء شيء بعد شيء وحلوله مكانه. أو بمعنى أن تحلَّ أمة محل أخرى ، أو فرد محل آخر في ملكية الأراضي والأموال. وهذا المفهوم يبحثه العلماء عند تفسيرهم لآيات الاستخلاف في القرآن الكريم.

ثانياً معنى الاستخلاف اصطلاحاً:

(**تمكين الله للبشر عامةً ولبعضهم خاصةً في إحلالهم محل من كان قبلهم في ملكية الأرض والمال)** [٢]. وعلى هذا التعريف **فالاستخلاف في الأرض** هو التمكين فيها والملك لها والقيادة والسيادة لمن عليها .

والخليفة: هو الذي يعمّر الأرض، ممكّنٌ فيها، ويقوم بشأنها، وينتفع بها، وله سلطان عليها. وعلى هذا المعنى جاء قوله – تعالى –: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٣]. " إذن فهي المشيئة العليا تريد أن تسلم لهذا الكائن الجديد في الوجود ، زمام هذه الأرض ، وتطلق فيها يده ، وتكل إليه إبراز مشيئة الخالق في الإبداع والتكوين، والتحليل والتركيب ، والتحوير والتبديل؛ وكشف ما في هذه الأرض من قوى وطاقات ، وكنوز وخامات ، وتسخير هذا كله – بإذن الله – في المهمة الضخمة التي وكلها الله إليه .وإذن فقد وُهِبَ هذا الكائن الجديد من الطاقات الكامنة ، والاستعدادات المذخورة كفاء ما في هذه الأرض من قوى وطاقات ، وكنوز وخامات؛ ووهب من القوى الخفية ما يحقق المشيئة الإلهية "[٤] .

---

١ – ابن فارس. أبو الحسين أحمد بن زكريا. معجم مقاييس اللغة صـ٣٠٩_٣١٠ دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ . ولسان العرب لابن منظور ١٨١/٤– ١٨٤ طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ، والقاموس المحيط للفيروز أبادي صـ١٠٤٢–١٠٤٤ مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ. بتصرف كبير

٢– الناصر عبد الله بن إبراهيم مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي.. ص: ٨ . بحث منشور على شبكة الإنترنت ورابطه www.kantakji.com/fiqh/Files/Economics/7807.doc

٣– سورة البقرة. جزء الآية: ٣٠

٤– في ظلال القرآن. ١ / ٥٦. بتصرف.

وقوله – جل ذكره –: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[1].

فاستخلفه ربه – تعالى – في الأرض، لينفذ فيها قضايا الدين والدنيا، وليقضي بين الناس بالعدل، وحذره سبحانه من اتباع الهوى والميل عن ذلك لأي سبب كان، لأن عاقبة ذلك هي الضلال في الدنيا، والعذاب الشديد في الآخرة.

ومن هذا المعنى قوله – جل جلاله –: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴾[2].

فذكر – سبحانه – للمخاطبين من كفار مكة، ومن حولهم، قروناً من الظالمين الجاحدين الذين لم يقوموا بواجبات الخلافة في الأرض، وتمادوا في غيهم بتكذيب الرسل، فأهلكهم – سبحانه – بعذاب عاجل في الدنيا، وجعلهم –كفار مكة – خلفاء لهؤلاء الظالمين، فإن أحسنوا السيرة، ووفوا بالأمانة ومقتضيات الاستخلاف من الإيمان والإصلاح في الأرض كان خيراً لهم، وإلا فإن مصيرهم سيكون كمصير أسلافهم، وما هم بمعجزين.

واستخلاف الله – تعالى – للبشر في الأرض له مقتضيات ويترتب به عليهم واجبات وهي محور المطلب التالي وهو:

المطلب الثاني مقتضيات الاستخلاف

كان نزول القرآن الكريم بلسان عربي مبين، واضح، تظهر فيه – بلا لبس أو غموض – المسائل الرئيسة، لقيام حياة بشرية مستقرة، وحين استخلف الله البشر في الأرض، أبان لهم عن المهمة الرئيسة الجليلة للمستخلَفين، وما يتفرع عنها من نقاط هي أهم وأعظم مقتضيات الاستخلاف في الأرض، فالمهمة الرئيسة الجليلة هي:

١- سورة ص. من الآية: ٢٦

٢- سورة يونس. الآية: ١٣-١٤

إقامة العبودية لله، وتعبيد الناس لربهم وحده لا شريك له.

قال – تعالى – ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[1] .

" إن هذه الآية لتحتوي حقيقة ضخمة هائلة ، هي حجر الأساس الذي تقوم عليه الحياة وأول جانب من جوانب هذه الحقيقة أن هنالك غاية معينة لوجود الجن والإنس . تتمثل في إقامة العبودية لله .... ومدلول العبادة أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر . فالجن والإنس لا يقضون حياتهم في إقامة الشعائر؛ والله لا يكلفهم هذا . بل يكلفهم ألواناً أخرى من النشاط تستغرق معظم حياتهم . وإذا كنا لا نعرف ألوان النشاط التي يكلفها الجن؛ لكننا نعرف حدود النشاط المطلوب من الإنسان . نعرفها من القرآن من قول الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[2] . فهي الخلافة في الأرض إذن عمل هذا الكائن الإنساني . وهي **تقتضي ألواناً من النشاط الحيوي في عمارة الأرض ، والتعرف إلى قواها وطاقاتها ، وذخائرها ومكنوناتها ، وتحقق إرادة الله في استخدامها وتنميتها وترقية الحياة فيها . كما تقتضي الخلافة القيام على شريعة الله في الأرض لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني العام** "[3].

فأعظم مقتضيات الاستخلاف في الأرض القيام بواجب العبودية لله وحده لا شريك له. قال – سبحانه – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[4] .

وكلما ابتعد الخلق عن الغاية التي خلقهم الله – تعالى – من أجلها، يجدد الله بفضله ورحمته تذكيره، وإرشاده لهم، بإرسال الرسل، وإنزال الكتب، قال الله – عز وجل –﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ

---

١ سورة الذاريات. الآية: ٥٦

٢- سورة البقرة. من الآية: ٣٠

٣- في ظلال القرآن. ١ / ٦٥ و ٥٧ بتصرف كبير

٤- سورة البقرة. الآية: ٢١

فِيهِ ﴾[1] . وقال – تعالى –﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[2]

بل كان كل رسول يبدأ رسالته بدعوة الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له. هذا نبي الله نوح – عليه السلام – يقول لقومه: ﴿ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾[3]. وهذا هود – عليه السلام – يقول لقومه: ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴾[4]. وهكذا تتابع جميع الأنبياء على دعوة الناس لعبادة خالقهم، فهي أعظم مقتضيات استخلافهم في هذه الأرض، وهي تشمل: جميع الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة التي يحبها ويرضى عنها الرب – جل جلاله – في الدين أو الدنيا.

فمقتضيات الاستخلاف: تشمل ألواناً من النشاط الحيوي في عمارة الأرض ، والتعرف إلى قواها وطاقاتها ، وذخائرها ومكنوناتها ، وتحقق إرادة الله في استخدامها وتنميتها وترقية الحياة فيها . كما تقتضي الخلافة القيام على شريعة الله في الأرض لتحقيق المنهج الإلهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني العام.

وهذا كله يدخل ضمن مقاصد أي حكم بشري على وجه الأرض، فكيف إذا كان هذا الحكم يستمد مشروعيته من الدستور الباقي، والمنهج الرباني، ويؤسس أعماله وتوجهاته على بينة من تعاليمه وإشراقاته، لا شك أنه حين يفعل ذلك يحقق النموذج والمثال، الذي يرضى عنه رب العالمين للمستخلَفين في الأرض.

١- سورة البقرة. من الآية: ٢١٣

٢- سورة النحل. الآية: ٣٦

٣- سورة نوح. من الآية: ٣

٤- سورة هود. جزء الآية: ٥٠

فرع في صفات وأعمال المستخلَفين

لا يمكن الكتابة عن مقتضيات الاستخلاف في الأرض، بمعزل عن آيتين اثنتين، لما اشتملتا عليه من وصف دقيق لصفات المستخلَفين المرضيين، عند رب العالمين – سبحانه –، وما يقومون به من عمل صالح، نافع، بمقتضى هذا الاستخلاف في الأرض.

ونقف مع الآيتين نتلمس مسوغات الاستخلاف وما يترتب عليه من العمل فيما يلي:

الأولى قوله – تعالى –: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[1].

يذْكُر الله – تعالى – في هذه الآية أن عباده المستخلَفين الذين تحقق لهم التمكين والنصر ، وثبت لهم الأمر، أنهم يرفعون معاني العبودية فوق كل معنى، ويقدمون علاقتهم بربهم على أي علاقة أخرى، وها هم قد أقبلوا على ربهم – وقد مكَّنهم واستخلفهم – يوثقون صلتهم به ، طائعين خاضعين، فأقاموا الصلاة، وأدوا حق المال، طيبة به نفوسهم، وسدوا حاجة الضعاف وأعانوا المحاويج ، وحرصوا على طهارة وصلاح مجتمعاتهم، فدعوا إلى المعروف وأرشدوا الخلق لسبل الخير والصلاح ، وقاوموا المنكر وحاربوا الشرور والفساد.

وقد ختم الله – تعالى – هذه الآية بأن جميع الأمور ترجع إليه، وقد أخبر – عز وجل – أن العاقبة للمتقين، **فمن مكَّنه الله في الأرض، وقام بأمر الله، كانت له العاقبة الحميدة، والعيش الرشيد، ومن تسلط على الخلق بالجبروت، وحكَّم فيهم هوى نفسه، فإنه وإن حصل له ملك موقت، فإن عاقبته غير محمودة، وولايته مذمومة.**

والثانية هي قوله – جل ذكره – ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[1].

١- سورة الحج. آية: ٤١

وفي الآية: وعد الله – سبحانه – لمن قام **بالإيمان والعمل الصالح** من هذه الأمة، أن يستخلفهم في الأرض، يتصرفون في شئونها، ويقومون على تدبيرها، مع التمكين لدينهم الذي ارتضاه لهذه الأمة، يتمكنون من إقامته، وإقامة شرائعه الظاهرة والباطنة، في أنفسهم وفي غيرهم، في أتم الأحوال من الأمن والاطمئنان بلا خوف من أذى الكفار وبطشهم وظلمهم، وهذا كله شرط أن **يوحدوه فيعبدوه وحده لا شريك له**.

فرتب الحق – تعالى – وعده لأناس موصوفين بصفتين، وشرط عليهم شرطاً:

فالصفتان هما: **الإيمان، والعمل الصالح**. وأما الشرط فهو: **أن يعبدوه وحده لا شريك له**.

فمهما بلغ المستخلَفون من الرقي والتقدم دنيوياً في شتى المجالات، ثم لم يتحققوا بهاتين الصفتين ولم يأتوا بالشرط في الآية، لم يكونوا أهلاً للاستخلاف في الأرض، وسرعان ما تذهب دولتهم، وتأفل حضارتهم، كما حصل للأمم السابقة، وقد قال الله – تبارك وتعالى – مُعدِّداً مصارع الأمم الغابرة الظالمة، التي لم تقم بمقتضيات استخلافها في الأرض فقال يصف نهاياتهم المأساوية: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمۡۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسۡتَبۡصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبًا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾[2]

وبخلاف مصارع الظالمين، فإن صدر هذه الأمة لما اتصف بالإيمان الصادق، والتوحيد الخالص، والعمل الصالح، مكنهم ربهم من البلاد والعباد، وفتحت مشارق الأرض ومغاربها،

١- سورة النور. آية: ٥٥

٢- سورة العنكبوت. آية: ٣٨- ٤٠

وحصل الأمن التام والتمكين التام، تصديقاً لقول الله – تعالى –: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾١ .

وقال – سبحانه – ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾٢ .

وهذا الوعد من آيات الله العجيبة الباهرة، وهو وعد باقٍ إلى قيام الساعة، مهما قام الناس بالإيمان والعمل الصالح، فلا بد أن يفوزوا بما وعدهم الله به، وإنما يتسلط الكفار والمنافقون في بعض الفترات، بسبب إخلال عصبة الحق، وتفريط أهل الإسلام بالإيمان والعمل الصالح.

وتفريعاً على هذه المعاني المؤسِّسَة لقضية الاستخلاف في الأرض يمكن لنا أن نتلمس الآيات الكريمات التي تدعم قيام الناس كلهم والمؤمنين خاصة بتلك المقتضيات السامية للاستخلاف في الأرض ومن ذلك:

أولاً: بيان أسس بناء الجماعة البشرية في أي مكان وزمان في التصور القرآني

أ– **العقيدة والإيمان.** وهي أساس الأسس، التي تُبنى عليها الجماعة البشرية، الذي أراده القرآن الكريم للمستخلَفين في الأرض. قال الله – تعالى –: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾٣.

ومعنى قيام المجتمع على العقيدة، احترامها وتقديسها، والالتزام بها، والمعرفة الصحيحة للإله الواحد الأحد. كما قال – سبحانه –: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ

١– سورة الصافات. آية: ٧١– ٧٣

٢– سورة المجادلة. آية: ٢١

٣– سورة البقرة. آية: ٢٨٥

مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾١.

إن العقيدة القرآنية بأركانها، وخصائصها، أساس مكين لأي مجتمع يقوم عليها، فهي مصدر التصورات، **وأساس الحكم والتشريعات**، وينبوع الفضائل والأخلاق.

ب- **الشعائر والعبادات**: وهي المقوم الثاني في التصور القرآني للجماعة البشرية – بعد العقيدة – وتمثل هذه الشعائر، علامات فارقة، وظاهرة ، بين خلفاء الأرض الصالحين، وغيرهم من الجاحدين المعرضين، وإقامة هذه الشعائر وتعظيمها دليل على قوة العقيدة في القلوب، واستقرارها في حنايا الصدور.

قال – تعالى –: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ ﴾٢.

وقال – تعالى –: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾٣. فالمستخلَفون المرضيون عند الله مقيمون على طاعة ربهم ملازمون لإقامة شعائر دينهم، صلاةً، وزكاةً، وغير ذلك من أوجه الطاعات، والعبادات. وهذا هو طريق فلاح الأفراد والمجتمعات. قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾٤. فتميز المجتمع بخصائص وأعمال فريدة، وغير ذلك من العبادات والشعائر التي تعزز روح الوحدة والجماعة بين أفراده.

ت- **الأخلاق والفضائل** : وهذا هو الأساس الثالث الذي تبنى عليه المجتمعات البشرية، وقد تتابعت آيُ الكتاب العزيز على ذكر جُمَلٍ من الأخلاق والفضائل، التي يسعد من تحلى بها، وتزين بمعانيها في حياته، وأذكر موضعين فقط إشارةً وتنبيهاً على مثل هذه المعاني.

١- سورة الحديد. آية: ٦:١

٢- سورة الحج. آية: ٣٢

٣- سورة البقرة. آية: ٢٧٧

٤- سورة الحج. آية: ٧٧

قال – سبحانه – يصف أخلاق أولي الألباب ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[1]. هؤلاء هم أولو الألباب، أهل الوفاء، والصلة، والخشية، والمراقبة،الصابرون، المصَلُّون، المنفقون لله، حسناتهم تغلب سيئاتهم، فاستحقوا حسن العاقبة والمآل.

وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2].

هذه الآية جامعة لجميع المأمورات والمنهيات، وأصل من أصول مقتضيات الاستخلاف في الأرض، لم يبق شيء من قضايا الدين والدنيا إلا دخل فيها، فكل مسألة مشتملة على عدل أو إحسان أو إيتاء ذي القربى فهي مما أمر الله به، وكل مسألة مشتملة على فحشاء أو منكر أو بغي فهي مما نهى الله عنه، وهكذا – أبداً – توجيه القرآن فيه الهدى والشفاء والنور والفرقان بين جميع الأشياء، يأمر بما فيه غاية الصلاح للعالمين، وينهى عما فيه مضرتهم وفسادهم.

كما نبَّه القرآن الكريم وحذَّر من مساوئ الأخلاق، ومنها المواضع التالية:

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾[3]

١- سورة الرعد. آية: ١٩- ٢٢

٢- سورة النحل. آية: ٩٠

٣- سورة الحجرات. آية: ١١- ١٢

وقال جلَّ جلاله ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾[1].

وهذه خصال مرذولة، قد نهى عنها ربنا تبارك وتعالى. منها الكذب، والسخرية، والاستهزاء بالآخرين، والسب والشتم، وعيب الآخرين باللسان والإشارة، والظن السيىء، والتجسس وتتبع عورات الناس، والغيبة، والكبر، والبطر، والخيلاء. وهي صفات سيئة، تقطع أوصال المجتمع، وتنشر الكراهية، والبغضاء بين الأفراد، والجماعات، ويستحيل معها التواصل بين الأفراد، وويعدم التعاطف والتواد الذي يحتاج إليه أي مجتمع بشري.

بهذه **الثلاثية القرآنية** العظيمة لمنظومة الأسس (**العقيدة – الشعائر – الأخلاق**)، التي تقوم عليها المجتمعات البشرية، تخطو مسيرة الاستخلاف في الأرض أولى خطواتها للوفاء بمقتضياته.

ولما كان أمر الاستخلاف في الأرض ليس مقصوراً على الجانب الديني العقدي الشعائري وجدنا القرآن الكريم يفتح الآفاق للمستخلَفين، ويحثهم على مكابدة الصعاب، والضرب في الأرض، بلا كلل ولا تعب، تحصيلاً للمنافع في شتى المجالات، كما يرد معنا في النقطة التالية:

ثانياً: الاجتهاد في العمل، والاكتساب، والسعي في طلب الرزق

وقد حرص القرآن الكريم على هذه المعاني، ودعا إليها العباد، حتى يحققوا الكفاية لمجتمعاتهم في سائر المجالات، فينتجون، ويبادلون، ويبيعون، ويشترون، وفي هذا المعنى يأتي ما ذكر في قصص القرآن من عمل بعض الأنبياء- وهم قدوة الخلق – مثل كليم الرحمن موسى – عليه السلام – فقد عمل أجيراً عند الرجل الصالح بمدين قال الله – تعالى –: ﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ

١- سورة لقمان. آية: ١٨- ١٩

عَلَيَّ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾١.

وكما جاء من عمل داوود – عليه السلام – حداداً يصنع الدروع، في قوله – تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾٢.

وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**كان زكريا عليه السلام نجاراً**)٣.

وفي هذا، تنشيط الهمم للعمل، والتكسب الحلال، وعدم التقليل من أي مهنة أو حرفة، خاصة وهؤلاء الرسل الكرام، قد عملوا، واحترفوا بأيديهم، تعففاً وكسباً للرزق.

ولم يخل القرآن من الدعوة للضرب في الأرض، والابتغاء من فضل الله، واكتساب الأرزاق، في قوله – تعالى –: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾٤. وقوله – عز وجل –: ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾٥.

مع الوعد بالكفاية، والعطاء الواسع، ترغيباً في النهوض للكسب، والسعي لطلب الرزق، كما قال – تعالى –: ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾٦.

١- سورة القصص. آية: ٢٧-٢٨

٢- سورة سبأ. آية: ١٠-١١

٣- رواه مسلم. كتاب الفضائل. باب فضائل زكريا عليه السلام. برقم / ٢٣٧٩. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٤- سورة الجمعة. آية: ١٠

٥- سورة الملك. آية: ١٥

٦- سورة هود. آية: ٦

وقال – سبحانه –: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾[1]. فالأرزاق كلها من عند الله تبارك وتعالى، لا يرزق العبادَ أحد سواه، فلا تُطلب الأرزاق من عند غيره. فليس على الإنسان سوى بذل الأسباب، والسعي الجاد، ليستعفف عن الاعتماد على الآخرين، أو سؤالهم؛ أعطوه أم منعوه.

ونختم بهذه الدعوة العامة بالعمل في قوله تعالى ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾[2]

وإذا كان العلماء يقولون : **"العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب"**[3]. فإن هذه الآية الكريمة أعظم محفز على العمل – كل العمل النافع –، للدين والدنيا، بلا محدودية، بحيث يكون سبباً للرخاء والرفاه في الدنيا، وللفوز عند وقوفه بين يدي الله تعالى ليجازيه عليه.

وبجوار هذه الدعوة للسعي والكدح والعمل يأتي الدليل القرآني، والبيان الرباني بمُعين آخر على القيام بمقتضيات الاستخلاف في الأرض، وهو موضوع النقطة التالية:

ثالثاً: استثمار الموارد المتاحة من فيض إنعام الرب في بناء الحضارة، وخدمة البشرية.

من بديع عطاء الرب – سبحانه – أن القرآن الكريم مُشْتمِل على عرض مفصل فيَّاض لما سخره الله لخلقه، من الموارد الطبيعية المتنوعة، وما فيها من منافع عظيمة لمن يحسن استثمارها ومن ذلك:

قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[4].

١- سورة الذاريات. آية: ٢٢- ٢٣

٢- سورة التوبة. آية: ١٠٥

٣- السلمي. عياض بن نامي. أصول الفقه الذي لا يسع الفقيهَ جهلُه. ص /٢٤٧.

٤- سورة الجاثية. آية: ١٢ – ١٣

وقوله تعالى ﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴾[1].

وقوله عزَّ وجلَّ ﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2]. تُعَدِّد الآيات نعم الله على الخلق، بما أنزل عليهم من السماء، وأخرج لهم من الأرض، وأجرى لهم في البحار والأنهار، وسخر لهم من البهائم والأنعام، بها قوام الحياة، وتمثل منابع الإنتاج، ومصادر تحصيل الثروات، التي تسهم بالضرورة في تقدم ورقي الأمم، وبناء الحضارات. ومع استثمار الموارد المتاحة، من فيض إنعام الرب، في بناء الحضارة، وخدمة البشرية، يأتي أمر آخر يُذَكِر الخلق أنهم عبيد لله، لابد لهم من التقيد بقانونه الموضوع لصلاح البشرية .

رابعاً: تعظيم الكسب الحلال، والتحذير من الحرام.

مع تمكين الله – تعالى – لعباده من ثروات الأرض، ومقدراتها، فإنه سبحانه حدَّ لهم حدوداً فارقة بين الكسب الحلال الطيب، وبين المكاسب المحرمة الخبيثة. قال الله – تعالى – ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾[3].

وقد حدد الله – تعالى – من ضمن مهمات الرسول، وضرورات رسالته، عليه الصلاة والسلام، أنه يحل الطيبات، ويحرم الخبائث. قال سبحانه ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾[1].

١- سورة الحجر. آية: ١٩- ٢٢

٢- سورة النحل. آية: ٦٥- ٦٩

٣- سورة المائدة. من الآية: ١٠٠

وقد جاء في القرآن بيان أصناف من المطاعم المحرمة، والمكاسب الخبيثة، ومن هذا قوله – تبارك وتعالى–: ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾[٢]. ومنه قوله – سبحانه –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[٣]. ومنه قوله – تعالى –:﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[٤].

وفي الوقت نفسه يأمر سبحانه بالأكل من الطيبات، والإنفاق من أطيب المكاسب، يستوي في ذلك المرسلون والمؤمنون. قال – سبحانه –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[٥].

وقال – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾[٦]. وقال – سبحانه –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾[٧].

ويؤسس القرآن الكريم أن المحَرِّمَ والمحَلِّلَ هو الله رب العالمين وحده، ويأبى على أصحاب الأهواء، والمفتئتين أن يحرموا الحلال، أو يحلوا الحرام وينكر عليهم، فيقول – تعالى –: ﴿ وَلَا

١- سورة الأعراف. آية: ١٥٧

٢- سورة المائدة. آية: ٣

٣- سورة المائدة. آية: ٩٠

٤- سورة البقرة. آية: ٢٧٥

٥- سورة المؤمنون. آية: ٥١

٦- سورة البقرة. آية: ١٧٢

٧- سورة البقرة. آية: ٢٦٧

تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾١.

ويقول – سبحانه –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾٢.

وفي الآيتين تحذير شديد للمجترئين على منازعة الله – تعالى – ملكه وسلطانه فيحلون ويحرمون على ما يشتهون من تلقاء أنفسهم، كذبا وافتراء على الله وتقولا عليه.

ومن مقتضيات الاستخلاف في الأرض:

خامساً: ترك الترف والتباهي، والبعد عن الإسراف والاستطالة على الخلق.

فنجد واضحاً في التوجيه القرآني مدح التوسط والاقتصاد، والتواضع، ومدح العدول الوسط من الناس. قال – عز وجل –:﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾٣. وقال – جل ذكره – في مدح عباد الرحمن: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾٤.

كما نجد واضحاً ذم الإسراف والمسرفين، والتبذير والمبذرين، قال الله – تعالى –: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾٥. وقال – سبحانه –: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا

١- سورة النحل. آية: ١١٦

٢- سورة المائدة. آية: ٨٧

٣- سورة الإسراء . آية: ٢٩

٤- سورة الفرقان . آية: ٦٣-٦٧

٥- سورة الأنعام . آية: ١٤١

﴿ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾١ . وقال – جل جلاله –: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾٢

ولما كانت هذه آفات، وخطايا سلوكية تُعَجِّل بهلاك الأمم، وضياع الثروات؛ جاء قصص القرآن الكريم يبين سوء العاقبة للبُغاة المترفين والمسرفين المستكبرين.

ومن هذا **قصة عاد** في سورة الشعراء حين ينهاهم نبيهم هود عليه السلام، وينكر عليهم أعمالهم قائلاً ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾٣.

فها هو هود عليه السلام "ينكر عليهم الترف في البنيان، لمجرد التباهي بالمقدرة، والإعلان عن الثراء، والتكاثر والاستطالة في البناء، كما ينكر عليهم غرورهم بما يقدرون عليه من أمر هذه الدنيا، وما يسخرونه فيها من القُوَى ، وغفلتهم عن تقوى الله ورقابته..... وكان الأجدر بهم أن يتذكروا فيشكروا، ويخشوا أن يسلبهم ما أعطاهم، وأن يعاقبهم على ما أسرفوا في العبث والبطش والبطر الذميم"٤.

وفي هذا المعنى تجيء **قصة قارون** لتعرض كيف ينتهي البغي، والبطر، والاستكبار على الخلق، وجحود نعمة الخالق، بالبوار والخسران،. يقول الله – تعالى –: ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُوْلِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ

١- سورة الأعراف . آية: ٣١

٢- سورة الإسراء . آية: ٢٦-٢٧

٣- سورة الشعراء . آية: ١٢٨- ١٣١

٤- في ظلال القرآن. الأستاذ سيد قطب ٥ / ٢٦٠٩- ٢٦١٠. ط / ١٠ دار الشروق. القاهرة – بيروت ١٩٨٢

ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٖ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصۡبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوۡاْ مَكَانَهُۥ بِٱلۡأَمۡسِ يَقُولُونَ وَيۡكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُۖ لَوۡلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا لَخَسَفَ بِنَاۖ وَيۡكَأَنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗاۚ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾[1].

فلو تأمل متأمل؛ لوجد أن السبب المشترك في جميع الكوارث ، التي تَحُلُّ بالأمم، هم هؤلاء المْتْرَفُون، الذين يجعلون جل همهم الاستمتاع بالتباهي، والاستطالة بالثراء على الخلق، والاستزادة من كل ما هو غير ضروري، ولا مفيد لأمتهم ومجتمعاتهم، فتراهم يعيشون لأنفسهم، لا يشاركون في نهضة، ولا يعاونون في عمل، وضررهم على مجتمعاتهم خطير جداً، مادياً ومعنوياً.

ولما كان التباهي، والإسراف، والاستكبار، واتباع الهوى، من مساوئ المستخلَفين، ومن جناياتهم الكبرى، التي عجلت بعقاب كثير منهم في الدنيا قبل الآخرة، **وجب على من عرف عِظَم المهمة، والأمانة التي تتحملها البشرية بالاستخلاف في الأرض، وجب أن يتقيد بأوامر الحق تعالى في تدبير شئون حياته، كمقتضى أساسي من مقتضيات الاستخلاف في الأرض وهو موضوع النقطة التالية:**

سادساً: تأسيس الحياة البشرية على هدي من الأحكام الربانية والتشريعات السماوية

فالله – عز وجل – هو خالق الخلق، وهو أعلم بهم ﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾[2] . وقد قال – سبحانه – لآدم حين هبوطه للأرض: ﴿ قَالَ ٱهۡبِطَا مِنۡهَا جَمِيعَۢاۖ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ فَإِمَّا يَأۡتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدٗى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ

١- سورة القصص . آية: ٧٦- ٨٣

٢- سورة الملك . آية: ١٤

ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَـٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾[1] .

وهكذا ترسم الآيات سبيل المستخلَفين منذ بدء الخليقة، فهؤلاء الذين يهتدون بهدي الله المنزل عليهم، لا يضلون عن الحق، ولا يشقون في الأرض، حتى يلقوا ربهم، ويعودوا لمنزلهم الأول في جنات عدن.

وأما المعرضون عن الله، المنقطعون عن نوره الذي أنزله هدىً ورحمةً للعالمين، فهؤلاء هم أشقى الناس، وأضل الخلق، يعانون في حياتهم انقطاع صلتهم بالله، ويتعذبون بالضنك وإن غرقوا في ملذات الدنيا وشهواتها، فإن الضنك على وجه الحقيقة، متمثل في انقطاع الصلة، بينهم وبين رحمة أرحم الراحمين، حين أعرضوا، وكفروا بتعاليم الرسالات، والكتب المنزلة، مقدمين أهواءهم، وأطماعهم العاجلة، وشهواتهم الفانية، على النهج الرباني، وشريعة أحكم الحاكمين.

ولذلك حين أرسل الله – تعالى – رسوله محمداً – صلى الله عليه وسلم – نادى أهل الكتاب اليهود والنصارى بقوله لهم: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[2] .

فوحي الله نور، وشرع الله واضح، يهتدي به المتمسك، لسبل الخير والسلامة من الفساد والشرور، ويتحرر به من شك وريب وتخبط الظلمات، ليحيى في النور على النهج السوي.

واللافت جداً – كالشمس في رابعة النهار ليس دونها سحاب – أن الله – تعالى – لم يرض من المستخلَفين في الأرض على مر العصور أن يعيشوا هملاً، أو يُتْرَكوا سدى، يحكمون

١- سورة طه . آية: ١٢٣-١٢٦

٢- سورة المائدة . آية: ١٥-١٦

ويحيون وفق أهوائهم، بل أمرهم باتباع ما شرعه لهم، وحذرهم من مخالفته على لسان جميع المرسلين، وفي الكتب المنزلة عليهم. قال الله – تعالى – يخاطب خاتم الأنبياء والمرسلين – عليه الصلاة والسلام –: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[1].

وبهذا البيان الناصع لم تُبقِ الآيات مجالاً للأخذ والرد، بل حسم يعقبه حسم، بلا تردد، ولا جدال، إن اتباع الدستور الإلهي حتم لازم، للمستخلَفين الصادقين من أهل الإيمان، وهذ الأمر مسألة مفصلية، وهو بحق فرقان بين الكفر والإيمان، والجحود والإسلام. فاستحق أن يكون عَلَمَاً على صلاح واستقامة المستخلَفين في الأرض، وقيامهم بمقتضيات استخلافهم كما يحبها الله ويرضاها. **ومن مقتضيات الاستخلاف في الأرض:**

سابعاً: نشر الخير والتعاون على البر والتقوى، ومحاربة البغي، والعدوان، والفساد.

لم يرض الله – تعالى – لعباده العيش هملاً بلا نفع، بل جعل من ضروريات الاستخلاف في الأرض، الدعوة إلى الخير، ونشر البر، وإرشاد الخلق للمعروف، ليعم السلام والاستقرار بين البشر، وهذا كله لا يتحقق للمستخلفين في الأرض حتى يتعاونوا على البر والتقوى، وهذا كتاب الله – تعالى – وهو الحجة، والدليل، يحث على هذه المعاني الجليلة؛ فيقول – سبحانه –: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2].

١- سورة المائدة . آية: ٤٨-٥٠

٢- سورة آل عمران . آية: ١٠٤

وقال الله – تعالى –: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾١.

وقال– سبحانه –: ﴿ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَـٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَـٰمَىٰ وَٱلۡمَسَـٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَـٰهَدُواْۖ وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴾٢.

وقال– تعالى –: ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾٣.

إنها دعوة ربانية، لكل المستخلَفين على مر العصور، بفعل الخيرات، ونشر المكرمات، ونفع البشرية بغض النظر عن جنس، أو لون، أو لسان، أو دين، فقد خلق الله الخلق جميعاً واستخلفهم في هذه الدنيا ليتقاربوا، ويتعاونوا، ويتعارفوا، ويتآلفوا، لا ليتقاتلوا، ولا ليتنافروا، ولا ليتعادوا. قال ذو الجلال والإكرام: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَـٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَـٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾٤.

كما أوحى لأنبيائه بأن يكونوا قدوة الخلق ومعلمي البشرية في الحرص على القربات، والطاعات، وفعل الخيرات؛ فقال – جل وعز –: ﴿ وَجَعَلۡنَـٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِمۡ فِعۡلَ ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِۖ وَكَانُواْ لَنَا عَـٰبِدِينَ ﴾٥.

وإلى جوار هذه الدعوة والتوجيه الإلهي بنشر الخير، وبث المعروف، ونفع البشرية، جاءت الآيات الكريمات بتقبيح كل ما من شأنه الإضرار بالحياة البشرية، وتشويه صورتها، بالظلم

١- سورة الحج . آية: ٧٧

٢- سورة البقرة . آية: ١٧٧

٣- سورة المائدة . من الآية: ٢

٤- سورة الحجرات . الآية: ١٣

٥- سورة الأنبياء . الآية: ٧٣

والبغـي والفسـاد. قـال الله – سـبحانه –: ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾١.

" ينهى تعالى عن الإفساد في الأرض، وما أضره بعد الإصلاح! فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد، ثم وقع الإفساد بعد ذلك، كان أضر ما يكون على العباد. فنهى تعالى عن ذلك، وأمر بعبادته ودعائه والتضرع إليه والتذلل لديه، فقال: { وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا } أي: خوفا مما عنده من وبيل العقاب، وطمعًا فيما عنده من جزيل الثواب." ٢.

وحذر الله – عز وجل – من الإعراض عن تعاليمه وأوامره المنزلة على رسوله – صلى الله عليه وسلم – وبين أن عاقبة هذا هي الإفساد في الأرض، وقطع صلات الأرحام.

قال الله – تعالى –: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾٣.

" فلعلكم إن توليتم عن تنزيل الله جلّ ثناؤه، وفارقتم أحكام كتابه، وأدبرتم عن محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم وعما جاءكم به(أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ) يقول: أن تعصوا الله في الأرض، فتكفروا به، وتسفكوا فيها الدماء(وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) وتعودوا لما كنتم عليه في جاهليتكم من التشتت والتفرّق بعد ما قد جمعكم الله بالإسلام، وألَّف به بين قلوبكم." ٤.

وجاء في سياق الذم في القرآن، هذا الصنف الظلوم، المفسد من البشر، الذي يسعى حياته في الإثم والإفساد. قال الله – تعالى –: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾٥.

١- سورة الأعراف . الآية: ٥٦

٢- تفسير القرآن العظيم. ٢ / ٢٩٧

٣- سورة محمد. الآية: ٢٢

٤- جامع البيان. ٩ / ٧٤٥٢

٥- سورة البقرة. الآية: ٢٠٤-٢٠٦

وقد لُعِنَ اليهود في القرآن، لمخازيهم المتعددة، ومنها: أنهم كانوا سعاة في الفساد، يقول الله – تعـــــــالى –: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾١.

كما نهى – تعالى – عن سيئات سلوكية، وجرائم، وذلك حفظاً للنفوس، والأموال، والحقوق، فقال – جل جلاله –: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً ۖ وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾٢.

وحذر الله – جل وعلا – من الظلم والعدوان والبغي وبين العواقب الوخيمة للظالمين في الدنيا قبل الآخرة.

ومن هذا ما جاء في القرآن الكريم عن الرهط المفسدين من ثمود ﴿ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾٣. وعن بعض اليهود ﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾٤.

وتتابعت آيات الكتاب العزيز، تبين سوء العاقبة للمفسدين الظالمين، ومن هذا قوله – جل ذكره – على لسان شعيب – عليه السلام –: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ

١- سورة المائدة. الآية: ٦٤

٢- سورة الإسراء. الآية: ٣١- ٣٤

٣- سورة النمل. الآية: ٤٨ – ٥٢

٤- سورة البقرة. الآية: ٥٩

عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾١. وقوله – تعالى- عن جزاء فرعون وقومه: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾٢. وقوله – تعالى-: ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾٣. وقوله – سبحانه-: ﴿ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾٤. ومن صلاح واستقامة المستخلفين في الأرض، ووفائهم بمقتضيات استخلاف الله لهم، ننتقل إلى مبحثنا الأخير في هذا الفصل، حول أحد مقاصد الحكم، وسياسة الأمة في القرآن الكريم، وهو تحقيق هيبة الدولة المسلمة .

١- سورة الأعراف. الآية: ٨٦

٢- سورة الأعراف. الآية: ١٠٣

٣- سورة يونس. الآية: ٣٩

٤- سورة القصص. الآية: ٤٠

المبحث الخامس

تحقيق هيبة الدولة المسلمة

لا يمكن الكلام عن حكم، وسياسة لأمة من الأمم، بدون أن نتعرض لهذه المسألة الحيوية، وذلك أن الصراع بين الخلق قائم، ومستعر، منذ بدء تكون المجتمعات البشرية، طمعاً في بسط النفوذ، والتحكم في الآخرين، والسيطرة على مقدراتهم.

ودِيننا الإسلامي، وكتابه العزيز، فيهما الكثير، والجليل من التوجيه، لتحصيل أسباب القوة، والمَنِعَة، التي تقي المسلمين من عدوان غيرهم،وتجعل لهم هيبة لا تهتز، ومكانة مصانة لا تختل، وتفسح لهم المجال لنشر دينهم من دون معوقات، وقد شرع لهم جهاد أعدائهم، وقتال، وتأديب مناوئيهم، تحقيقاً لحِكَمٍ ومعاني عظيمة تلبس دولة الإسلام لباس الهيبة بين غيرها من الشعوب والبلدان، ومن هذه الحكم والمعاني:

أ- **الدفاع عن الدين ضد الكفار والمشركين**: ومن هذا قوله تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾[1]، فأَذِن الله تعالى لعباده بقتال من عادوهم وأخرجوهم لا لشيء إلا أنهم مؤمنون برب العالمين، والحفاظ على الدين هو إحدى الضروريات الخمس للشريعة الإسلامية[2].

ب- **دفع المفسدين، ودرء مخططاتهم**: ومن هذا قوله سبحانه ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[3]، فهذه سنة ربانية، يشْرُف أهل الإيمان بالقيام بها ، فيدفعون الفساد والمفسدين، محافظين على صلاح الأرض للعيش فيها، وعبادة رب العالمين.

١- سورة الحج. آية: ٣٩- ٤٠

٢- الموافقات. ٢ / ٢٠

٣- سورة البقرة. آية: ٢٥١

ت- **التمكين للعقيدة من الانتشار:** قال الله تعالى ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾[1]، فالقتال لهؤلاء الذين يحولون بين الناس ودعوة الحق، من دون عدوان على المسالمين.

ث- **رد العدوان وتجنب الفتنة في الدين:** ومن هذا قوله تعالى ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ **وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ** ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ **وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ** وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ **فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ** ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2]

وهذه الآيات تبين أن الواجب على المسلمين، مدافعة ومحاربة كل من يكون سبباً لفتنة الناس عن دين ربهم، فإن كانوا يدفعون عن أنفسهم القتل؛ فدفع الفتنة في الدين أولى، لأنها أشد أثراً وأعظم في الأمة.

ح- **عقاب الناكثين للعهود والخائنين لله ورسوله** ﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[3]، وقال سبحانه﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾[4] وهذا أمر لابد منه، فالتهاون مع المجترئين على دولة الإسلام، يزيدهم بغياً عدواناً، وحين يعلمون أن مصير الناكثين، أو الخائنين، أن يذوق البأس الشديد، وأن يعود بمرارة الهزيمة والخيبة، حين يتحقق ذلك يكون رادعاً لهم عن نكث العهود، وخيانة الله تعالى والرسول عليه الصلاة والسلام.

ط- **حشد وإعداد أفراد الأمة دفاعاً عن الدين والمقدسات، وإرهاباً لأعدائهم:**

١- سورة التوبة. آية: ٣٦

٢- سورة البقرة. آية: ١٩١- ١٩٤

٣- سورة التوبة. آية: ١٣

٤- سورة الأنفال. آية: ٥٨

ويُراد من ذلك إبقاء المسلمين في حالة من اليقظة، والاستعداد الدائم لمواجهة الأخطار المحدقة، والمخططات السيئة، التي يدبرها أعداء الأمة، وتشمل هذه اليقظةُ، وهذا الاستعدادُ، كلَّ ما مِنْ شأنه أن يُقَوِّي جانب المسلمين، ويُخَوِّف أعداءهم .

ومن هذا قوله جل وعز ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[1]،

" أي ﴿ وَأَعِدُّواْ ﴾ لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم. ﴿ مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأْي: والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعَلُّم الرَّمْيِ، والشجاعة والتدبير" [2].

يجب على الدولة الإسلامية إعداد العدة دائماً واستكمال القوة بأقصى الحدود الممكنة؛ لتكون قوة الحق، وأهل الحق، هي القوة العليا في الأرض؛ التي ترهبها جميع قوى الباطل؛ في أرجاء الأرض ، فتهاب أولاً أن تهاجم دار الإسلام؛ وتستسلم كذلك لسلطان الله فلا تمنع داعية إلى الإسلام في أرضها من الدعوة ، ولا تصد أحداً من أهلها عن الاستجابة ، ولا تدعي حق الحاكمية وتعبيد الناس ، حتى يكون الدين كله لله .

ومن هذا أيضاً قوله جل شأنه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا ﴾[3].

---

[1]- سورة الأنفال. آية: ٦٠

[2]- تفسير السعدي. ص / ٤٣٦

[3]- سورة النساء. آية: ٧١

قال الإمام ابن كثير رحمه الله " يأمر الله عباده المؤمنين بأخذ الحذر من عدوهم، وهذا يستلزم التأهب لهم بإعداد الأسلحة والعدد وتكثير العدد بالنفير في سبيله"[1].

وبغير هذا الحزم، تُنْتَقَص هيبة الأمة، وتُغْتَصَب أرضها، وتُمْتَهَن كرامتها، فلابد للأمة من تأهب دائم، وحيطة، وترقب، واستعداد متواصل، كي تظل مرهوبةَ الجانب، مصانةَ المقدسات.

وتقصر بعض الأنظار فلا ترى من وسائل تحقيق الهيبة إلا إعداد ما سبق من السلاح والعتاد – وهي من أعظم الوسائل بلا ريب – لكنها ليست الوحيدة في هذا المجال، فإنه لو تحقق للدولة الهيبة المرجوة فيما بينها وبين الدول الأخرى (هيبة خارجية)، **فيبقى أن تحقق الهيبة الداخلية ليستتب للحكم الأمر، وينقاد الناس لسلطة الحكم القائم، ولا يحدث هذا في أي دولة، حتى تتحقق عدة أمور، تكفل القرآن الكريم في آية واحدة وبوضوح، وجلاء فأبان عنها:**

قال – سبحانه –: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ٥٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[2]

ومن هذا البيان القرآني تظهر لنا **أعمدة ثلاث رئيسة يستقر بها الحكم** :

الأول: أداء الأمانات. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ قال العلامة السعدي – رحمه الله – " الأمانات كل ما ائتمن عليه الإنسان وأمر بالقيام به. فأمر الله عباده بأدائها أي: كاملة موفرة، لا منقوصة ولا مبخوسة، ... **ويدخل في ذلك أمانات الولايات**

[1]– تفسير ابن كثير ١ / ٦٩٧

٢– سورة النساء. آية: ٥٨– ٥٩

والأموال والأسرار؛ .... "[1] وقد أمر – سبحانه – بأداء الأمانة، وشدد على ذلك، كما قوله سبحانه ﴿ فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ ﴾[2].

وجاء في الحديث الشريف الأمر بأداء الأمانة، النهي عن مقابلة الخيانة بمثلها، فقال النبي عليه الصلاة والسلام (**أدِّ الأمانة لمن ائتمنك، ولا تخن من خانك**)[3] ، بل نفى عليه الصلاة والسلام مسمى الإيمان عن فاقد أمانته فقال (**لا إيمان لمن لا أمانة له**)[4].

من أجل ذلك جاء هذا النداء الإلهي، خطاباً لجميع المؤمنين إلى يوم القيامة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَـٰنَـٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[5]، وهو نهي يجمع أنواع الخيانات كلها قليلها وكثيرها.

وبحفظ الأمانات، يرعى الحاكم أمر رعيته، ويقوم بواجباته، ويؤدي الحقوق لأهلها، فيطمئن الناس على حقوقهم، ويسَلِّمون لهؤلاء القائمين على شئونهم، وتجتمع القلوب عليهم، ويحافظون على وحدتهم وجماعتهم.

الثاني: الحكم بالعدل ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾

والحكم بالعدل، يستتب به الأمن والنظام، وتصل الحقوق لأهلها، ويُهاب به جانب الحكم، الذي لا يحابي، ولا يظلم. "وهذا يشمل الحكم بينهم في الدماء والأموال والأعراض، القليل من ذلك والكثير، على القريب والبعيد، والبَرِّ والفاجر، والولي والعدو"[6].

١- تفسير السعدي / ٢٢٧- ٢٢٨.

٢- سورة البقرة. من آية: ٢٨٣ .

٣- رواه أبو داود عن أبي هريرة. كتاب البيوع. باب الرجل يأخذ حقه من تحت يده. رقم الحديث ٣٥٣٤.

٤- رواه أحمد.عن أنس بن مالك ص / ٣٧٨ رقم الحديث / ١٢٤١٠.ط/ بيت الأفكار الدولية. ١٩٩٨م

٥- سورة الأنفال. آية: ٢٧ .

٦- تفسير السعدي / ٢٢٧- ٢٢٨.

وقد أمر الله به نبيه داود عليه السلام فقال له ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[1].

وقال لنبيه – عليه الصلاة والسلام –: ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[2].

وقد أمر الله المؤمنين بما أمر المرسلين فقال – سبحانه –: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[3].

" يأمر تعالى عباده المؤمنين أن يكونوا قوامين بالقسط، أي بالعدل... ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يصرفهم عنه صارف، وأن يكونوا متعاونين متساعدين متعاضدين متناصرين فيه"(٤). فالعدل يُشْعِر الإنسان بالأمن على ماله، وعرضه، وسائر حقوقه، فينصرف كل إنسان إلى عمله، ويسهم في بناء مجتمعه وأمته، مع تحققه بالتسليم، والإذعان، والقبول للحكم العادل، وتنفيذه، ورعايته.

الثالث: طاعة ولاة الأمر. ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾وأيما حكم تحلى بهاتين الخصلتين (أداء الأمانات والحقوق إلى أصحابها مع العدل والقسط بين الناس) فإنه ولابد محقق لنفسه هيبة حكم لا تهتز، ولا يرقى لها شك، ويكتسب طاعة الرعية والأتباع عن حب، واحترام، وتعظيم، لا عن قهر، وإرهاب. بل إن المحكومين حين يلتزمون بقرارات الحاكم فإنهم يفعلون ذلك تديناً وتعبداً لله، الذي أمرهم بطاعة ولاة الأمور.

١- سورة ص. آية: ٢٢

٢- سورة المائدة. آية: ٤٢

٣- سورة النساء. آية: ١٣٥.

٤- تفسير ابن كثير ١/ ٧٥٢.

يضاف لما سبق، قيام الحكم برعاية تطبيق الحدود الشرعية المقررة على جرائم بعينها، وإيقاع العقوبات المقدرة على المستحقين(١)، يشكل أعظم أسباب ووسائل تحصيل الهيبة الداخلية.

١- سبق لنا الحديث عنه في المبحث الثالث " تحقيق الأمن والأمان ".

الفصل الثالث

الجماعة الإنسانية وضرورة الحكم في القرآن الكريم

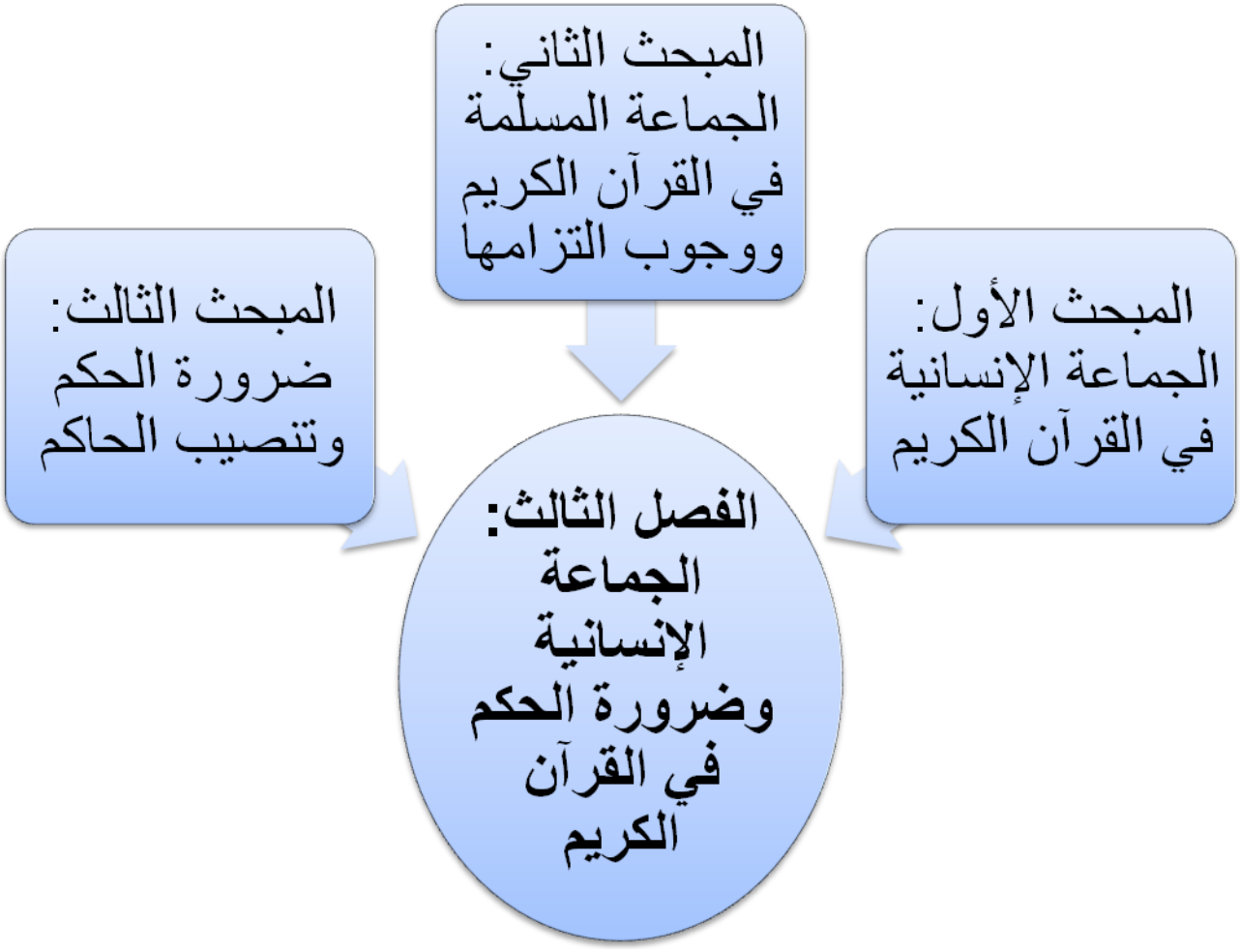
المبحث الثاني:
الجماعة المسلمة
في القرآن الكريم
ووجوب التزامها
المبحث الأول:
الجماعة الإنسانية
في القرآن الكريم
المبحث الثالث:
ضرورة الحكم
وتنصيب الحاكم
الفصل الثالث:
الجماعة
الإنسانية
وضرورة الحكم
في القرآن
الكريم

المبحث الأول

الجماعة الإنسانية في القرآن الكريم

المطلب الأول: البداية

تبدأ مسيرة الجماعة الإنسانية في القرآن الكريم بقصة خلق أبي البشر آدم – عليه السلام –، والتي وردت في القرآن في عدة مواضع منها:

قـــول الله – تعـــالى – ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾[1].

ثم منَّ الله على آدم – عليه السلام – فخلق له زوجاً من جنسه، يأنس بها، ويسكن إليها، وألقى في قلبيهما مودة ورحمة وحناناً، تعايشا وتناسلا، وفي القرآن قوله – جل وعلا –: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾[2].

ثم كانت محنة آدم – عليه السلام – ، حين أُدخل وزوجه الجنة، فكاد لهما إبليس، واستمعا لوساوسه، فأكلا من الشجرة، التي نهاهما الله عنها، فأخرجا من الجنة، كما جاء في غير موضع من القرآن العظيم، منها قوله – تعالى –: ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾

١- سورة الحجر. آية: ٢٦ – ٣١.

٢- سورة الأعراف. آية: ١٨٩.

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾[1].

فنزل آدم وزوجه من الجنة، ليعيشا في الأرض، ومنهما انتشرت البشرية رجالاً ونساء، قال – سبحانه – ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[2].

وقال – تعالى – ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴾[3]. فتشكلت من الزوجين وأولادهما وأحفادهما النواة الأولى للمجتمعات الإنسانية، ونمت وتكاثرت، وتفرقت في الأرض، يكابد أفرادها متاعب الحياة، ويواجهون مصاعبها، ويحصلون معايشهم، يترقون في وسائلهم يوماً بعد يوم، وجيلاً بعد جيل.

المطلب الثاني: المجتمعات الإنسانية في القرآن الكريم

تأتي الآية الافتتاحية، في صدر سورة النساء، تشير إلى وحدة الأصل الإنساني، في خطاب إلهي جليل، للإنسانية عامة، للتأكيد على وجوب مراعاة تلك الحدود الإنسانية، فالإنسان أخٌ للإنسان، أحب أم كره، يسالمه، ويعاونه، ينبذ المحاربة، والخصومة، والتقاطع، قال – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[4].

١- سورة طه. آية: ١١٥ – ١٢٥.

٢- سورة الروم. آية: ٢١ – ٢٢.

٣- سورة النحل. آية: ٧٢.

٤- سورة النساء. آية: ١.

وأُمُّ الآيات المجتمعية – إن جاز لي التعبير – في القرآن الكريم هي قول الحق – عزَّ وجلَّ – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[1].

هذه الآية العظيمة هي أجمع الآيات فيما نتكلم فيه، وهي هتاف بالإنسانية كلها على اختلاف الأجناس والألوان ، ليردها إلى أصل واحد ، وإلى ميزان واحد ، " يا أيها الناس . يا أيها المختلفون أجناساً وألواناً ، المتفرقون شعوباً وقبائل . إنكم من أصل واحد . فلا تختلفوا ولا تتفرقوا ولا تتخاصموا ولا تذهبوا بدداً . يا أيها الناس . والذي يناديكم هذا النداء هو الذي خلقكم . . من ذكر وأنثى . . وهو يطلعكم على **الغاية من جعلكم شعوباً وقبائل** . إنها **ليست التناحر والخصام** . **إنما هي التعارف والوئام** . فأما اختلاف الألسنة والألوان ، واختلاف الطباع والأخلاق ، واختلاف المواهب والاستعدادات ، فتنوع لا يقتضي النزاع والشقاق ، بل يقتضي التعاون للنهوض بجميع التكاليف والوفاء بجميع الحاجات "[2].

من هنا كان الإنسان (**مدني الطبع**) لا يستطيع أن يعيش منعزلاً عن الآخرين، ولا يمكنه الانفراد بتحصيل حاجاته بمختلف درجاتها منفرداً عن غيره، ممن يشاركونه الحياة والمصالح البشرية، بل فطره خالقه – سبحانه – محباً للتعاون، مستعداً للتفاعل، والمشاركة.

" وبيانه أن الله سبحانه خلق الإنسان وركبه على صورة لا يصح حياتها وبقاؤها إلا بالغذاء، وهداه إلى التماسه بفطرته، وبما ركب فيه من القدرة على تحصيله. إلا أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن تحصيل حاجته من ذلك الغذاء، غير موفية له بمادة حياته منه. ولو فرضنا منه أقل ما يمكن فرضه وهو قوت يوم من الحنطة مثلاً، فلا يحصل إلا بعلاج كثير من الطحن والعجن والطبخ. وكل واحد من هذه الأعمال الثلاثة يحتاج إلى مواعين وآلات لا تتم إلا بصناعات متعددة من حداد ونجار وفاخوري. هب أنه يأكله حباً من غير علاج، فهو أيضاً يحتاج في تحصيله حباً إلى أعمال أخرى أكثر من هذه، من الزراعة والحصاد والدراس

١- سورة الحجرات. آية: ١٣.

٢- في ظلال القرآن ٦ / ٣٣٤٨.

الذي يخرج الحب من غلاف السنبل. ويحتاج كل واحد من هذه إلى آلات متعددة وصنائع كثيرة أكثر من الأولى بكثير. ويستحيل أن توفي بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد. فلا بد من اجتماع القُدَر الكثيرة من أبناء جنسه ليحصل القوت له ولهم، فيحصل بالتعاون قدر الكفاية من الحاجة لأكثر منهم بأضعاف. وكذلك يحتاج كل واحد منهم أيضاً في الدفاع عن نفسه إلى الاستعانة بأبناء جنسه "[1].

وبهذه الروح المدنية تشكلت المجتمعات البشرية، أسرٌ صغيرة، فمجتمعٌ، فشعوبٌ، فأُمَمٌ. ويمثل كل مجتمع من هذه المجتمعات الإنسانية، " مجموعة من الأفراد والجماعات تعيش في موقع جغرافي واحد وتربط بينها علاقات اجتماعية، وثقافية، ودينية، بحيث يكوّنون وحدة واحدة. تسكن نطاقاً جغرافياً واحداً ، ويتمكّن المجتمع من إشباع الاحتياجات الأساسية لأفراده إلى حد ما، مع وجود سلوكيات اجتماعية داخله مثل التعاون، التكافل والصراع. بناء اجتماعي خاص به "[2].

المطلب الثالث: نماذج من المجتمعات الإنسانية في القرآن الكريم

حفل القرآن الكريم بذكر نماذج عديدة من المجتمعات البشرية، تختلف في سلوكياتها، ووسائلها في العيش، هناك أقوياء وضعفاء ، وأغنياء وفقراء، ومهديون وضالون، ومؤمنون وكافرون ومنافقون، وقد ذكر القرآن الكريم كلَّ ذلك، ببيان واضح، وبلفظ بليغ وتصوير دقيق. ومن هذا البيان قوله – جل ذكره – ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ ۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا

١- ابن خلدون العلامة عبد الرحمن المغربي. المقدمة. . ص / ٦٩ – ٧١. ط٢. دار الكتاب اللبناني – بيروت ١٩٧٩م .

٢- مفاهيم تنظيم المجتمع http://www.fao.org/wairdocs/af199a/af199a02.htm. موقع منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة. بتصرف كبير.

وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴾[1].

فهذا مجتمع نوح – عليه السلام – انقسم إلى فئة كافرة مستكبرة، وأخرى مستضعفة مؤمنة، يراها المستكبرون بلا عقل ولا رأي ولا قيمة، فيسخرون ويستهزئون بهم.

ومثله مجتمع صالح – عليه السلام – كما في قوله تعالى ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا ۖ فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾[2].

ومجتمع مدين قوم شعيب – عليه السلام – والإشارة لفسادهم المالي واستكبارهم في الأرض ، قال الله – تعالى – فيهم: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾[3].

وقبلهم مجتمع قوم لوط وفسادهم الأخلاقي، وانتكاس فطرهم، يقول الله – سبحانه – فيهم: ﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾

١- سورة هود. آية: ٢٥ – ٢٩.

٢- سورة الأعراف. آية: ٧٥ – ٧٦.

٣- سورة هود. آية: ٨٤ – ٨٦.

أَيِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1].

وأقوام جمعوا إلى قوتهم وبأسهم الشديد، الكفر، والاستكبار في الأرض، وأبرزهم في آيات القرآن عاد، قوم هود – عليه السلام – قال الله – تعالى –: ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ ﴾[2].

وبلغ من استكبارهم أن قالوا ﴿ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾[3]. اغتراراً بما كانوا عليه من البأس الشديد، والقدرات الباهرة التي متعهم الله بها، وهو القائل – سبحانه – يصفهم وهو أعلم بخلقه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾[4].

كما صور لنا القرآن الكريم جانباً من مجتمعات المترفين، المنَعَّمين، المعرضين الجاحدين، وممن ذكرهم الكتاب الحكيم قوم سبأ حيث يقول – تبارك وتعالى –: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾[5].

١- سورة العنكبوت. آية: ٢٨ – ٢٩.

٢- سورة الشعراء. آية: ١٢٣ – ١٣٥.

٣- سورة فصلت. من الآية: ٩.

٤- سورة الفجر. الآية: ٦ – ٨.

٥- سورة سبأ. الآية: ١٥ – ١٧.

ومنهم فرعون وقومه الغاوون يصف ربنا – سبحانه – ما كانوا فيه من النعيم بقوله : ﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴾[1].

وقارون الباغي المفسد في الأرض وحاشيته تذكر الآيات أحوالهم وتمردهم على ربهم ﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾[2]. إلى آخر الآيات والتي تنتهي بقول ربنا – تعالى –: ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾[3].

ولم يغفل القرآن الكريم ذكر وجوهٍ من المجتمعات المؤمنة، في مقابل هذه الصورة السيئة، للمجتمعات الإنسانية الضالة الغاوية، فيذكر الله – تعالى – كريم خصالهم، وحرصهم على الخير فيقول: ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ ﴾[4].

ويمدحهم ويثني عليهم ويبرز أخلاقهم الحسنة وأفعالهم الجميلة فيقول – تعالى – ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ

١- سورة الدخان. الآية: ٢٥ – ٢٩.

٢- سورة القصص. الآية: ٧٦ – ٧٨.

٣- سورة القصص. الآية: ٨١.

٤- سورة الرعد. الآية: ١٩ – ٢٤.

سُجَّدًا وَقِيَـٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ ﴾[1]. إلى قوله – جل شأنه –: ﴿ أُو۟لَـٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَـٰمًا ﴿٧٥﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾[2].

وكان القرآن شاهداً، وحكماً على أحوال الذين عاصروا نزوله، فوصفهم وأحوالهم ، وصورهم على حقيقتهم، فمنهم المؤمنون المتقون، ومنهم الكافرون الجاحدون، ومنهم المنافقون المخادعون، كما جاء ذلك في قوله – تعالى –: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾[3].

فوصفت الآيات طوائف الناس على اختلافهم ، وصفاً لا مزيد عليه، بين مؤمن ظاهر الإيمان، والصلاح، والفلاح، ويقابله كافر مستعلن بالكفر والعداء للفئة المؤمنة، والطائفة الثالثة هي فئة المخادعين، وعصابة المنافقين، الذين يظهرون للناس خلاف ما يبطنون، ويعلنون من العقائد، والأقوال، والأفعال الصالحة المرضية، خلاف ما يسرون، من الزيغ، والضلال البعيد.

هذه هي طوائف الجماعات الإنسانية عامة، وأصنافهم، وفيما يلي إفراد الكلام عن الجماعة المسلمة في القرآن الكريم.

١- سورة الفرقان. الآية: ٦٣ – ٦٧.

٢- سورة الفرقان. الآية: ٧٥ – ٧٦.

٣- سورة البقرة. الآية: ١ – ١٠.

المبحث الثاني:

الجماعة المسلمة في القرآن الكريم، ووجوب التزامها

• المطلب الأول: هداية القرآن الكريم للنور، والإيمان، والسلام العام

ما أنزل الله – تعالى – القرآن العظيم إلا ليقيم به أمة، تدين لربها مخلصة، ويخرجها بآياته البينات من ظلمات الجهل والضلال إلى نور العلم والإيمان، ويقيمها على صراطه المستقيم، بما احتواه من توجيه وإرشاد، وحِكَمٍ وأحْكام.

قال الله – ذو الجلال والإكرام –: ﴿ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴾[1].

" يقول تعالى ذكره: قد أنزل الله إليكم يا أولي الألباب ذكرًا من الله لكم يذكركم به، وينبهكم على حظكم من الإيمان بالله، والعمل بطاعته، رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات، كي يخرج الذين صدّقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به وأطاعوه ﴿ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ يعني من الكفر وهي الظلمات، إلى النور يعني إلى الإيمان.

وقوله: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا ﴾ يقول: ومن يصدّق بالله ويعمل بطاعته ﴿ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ يقول: يُدخله بساتين تجري من تحت أشجارها الأنهار ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ يقول: ماكثين مقيمين في البساتين التي تجري من تحتها الأنهار أبدًا، لا يموتون، ولا يخرجون منها أبدًا "[2].

وقال – سبحانه –: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ

١- سورة الطلاق. آية: ١١.

٢- جامع البيان. تفسير ابن جرير الطبري. ١٠ / ٨٠٩٢- ٨٠٩٣. بتصرف .

مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ ﴾[1].

" أخبر تعالى عن القرآن العظيم الذي أنزله على نبيه الكريم فقال: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ﴾أي: طرق النجاة والسلامة ومناهج الاستقامة ﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ } أي: ينجيهم من المهالك، ويوضح لهم أبين المسالك فيصرف عنهم المحذور، ويحصل لهم أنجب الأمور، وينفي عنهم الضلالة، ويرشدهم إلى أقوم حالة "[2].

" فالقرآن نور تشرق به النفوس، فتشف، وتخف، وترف . ويشرق به كل شيء أمامها فيتضح، ويتكشف، ويستقيم، وتهتدي بأنواره الشعائرية والتشريعية إلى سبل السلام، سلام الفرد، وسلام الجماعة، سلام المجتمع والأمة، وسلام البشر والإنسانية، السلام الذي لا تجده البشرية – ولم تجده يوماً – إلا في هذا الدين؛ وإلا في منهجه ونظامه وشريعته ، ومجتمعه الذي يقوم على عقيدته وشريعته "[3].

ومن هذا النور، والهدى، تفتق مفهوم وملامح وصفات الجماعة المسلمة، التي نتناولها فيما يلي من المطالب والنقاط:

المطلب الثاني: مفهوم الجماعة المسلمة

لابد لنا من التعرف على توصيف دقيق، لهذا المصطلح، وهو ما نتناوله في النقاط التالية:

- **أولاً الجماعة في اللغة:**

١- سورة المائدة. آية: ١٥- ١٦.

٢- تفسير القرآن العظيم. ٢ / ٤٨ .

٣- في ظلال القرآن. ٢ / ٨٦٢. بتصرف كبير.

أصلها الأحرف "ج م ع : جَمَع الشيء المتفرق فاجْتَمعَ، وبابه: قطع، وتَجَمَّعَ القوم: اجتمعوا من هنا وهنا، والجَمْعُ: أيضا اسم لجماعة الناس، والجماعة: العدد الكثير من الناس، وطائفة من الناس يجمعها غرض واحد "[1].

- **ثانياً الجماعة في الاصطلاح:**

لا نجد لفظ الجماعة في القرآن العظيم، وإن جاءت بألفاظ أخرى، مثل قوله – تعالى – ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾[2].جاء في التفسير " عن عبد الله بن مسعود قال: **حبلُ الله، الجماعة** "[3].

وفي الحديث عن عرفجة بن شريح الأشجعي ((ستكون بعدي هنات و هنات فمن رأيتموه فارق **الجماعة** أو يريد أن يفرق أمر أمة محمد كائنا من كان فاقتلوه فإن يد الله مع **الجماعة** و إن الشيطان مع من فارق **الجماعة** يركض))[4].

وقد تعددت تعريفات الجماعة، وذكر منها الشاطبي – رحمه الله – خمسة تعريفات "

أحدها : إنها السواد الأعظم من أهل الإسلام. وممن قال بهذا أبو مسعود الأنصاري، وابن مسعود، فعلى هذا القول، يدخل في الجماعة مجتهدو الأمة، وعلماؤها، وأهل الشريعة العاملون بها ، ومن سواهم داخلون في حكمهم ، لأنهم تابعون لهم، ومقتدون بهم

١– لسان العرب. مادة: جمع. ٢ / ٣٥٥. ط٣ . مؤسسة إحياء التراث الإسلامي ومؤسسة التاريخ العربي. بدون تاريخ، المعجم الوسيط. مادة: جمع ص / ١٣٤

٢– سورة آل عمران. جزء الآية: ١٠٣.

٣– تفسير ابن جرير الطبري. ٤ / ١٠٢ .

٤– سنن النسائي (المجتبى). باب قتل من فارق الجماعة ٧ / ٩٢. رقم الحديث / ٤٠٢٠. ط ٢. مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب – ١٤٠٦/ ١٩٨٦. عن عرفجة بن شريح الأشجعي ، بسند صحيح. (الطبعة من ترقيم أبي غدة وأحكام الألباني على الحديث)

والثاني : إنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين، جعلهم الله حجة على العالمين ، وذلك أن العامة عنها تأخذ دينها ، وإليها تفزع من النوازل ، وهي تبع لها. وممن قال بهذا عبد الله بن المبارك ، وإسحاق بن راهوية ، وجماعة من السلف.

الثالث : إن الجماعة هي الصحابة – رضي الله عنهم – على الخصوص فإنهم الذين أقاموا عماد الدين وأرسوا أوتاده ، وهم الذين لا يجتمعون على ضلالة أصلاً، ولأنهم المتقلدون لكلام النبوة مشافهةً ، المهتدون للشريعة ، على علم وبصيرة بمواطن التشريع وقرائن الأحوال. وممن قال بهذا عمر بن عبد العزيز، ومالك بن أنس.

الرابع : إن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام إذا أجمعوا على أمر فواجب على غيرهم من أهل الملل اتباعهم ، وهم الذين ضمن الله – تعالى – لنبيه عليه الصلاة والسلام أن لا يجمعهم على ضلالة، وكأن هذا القول يرجع إلى الثاني وهو يقتضي أيضاً ما يقتضيه ، أو يرجع إلى القول الأول وهو الأظهر.

الخامس: إن الجماعة هي جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير يكون المفارق لها ميتاً ميتة جاهلية ، وهم معظم الناس وكافتهم من أهل العلم والدين وغيرهم ، وهم السواد الأعظم "[1].

خلاصة:

- لا يكاد يرى الناظر في الأقوال، الأول، والرابع، والخامس، أي تعارض بينها، بل هي بمعنى واحد.
- والقول الثاني، بأنها جماعة الأئمة المجتهدين، داخل أيضاً ولابد، ضمن التعريفات السابقة، وذلك أنه لا يمكن وجود جماعة مسلمة بدون العلماء المجتهدين، فهم أحد أركان هذه الجماعة، وساعدها القوي الأمين.

١- الاعتصام. ٢ / ١٢٢ – ١٢٦

- والقول الثالث، بأن الجماعة هي الصحابة – رضي الله عنهم – يراد منه التأكيد على أن ما قالوه، وما سنُّوه ، وما اجتهدوا فيه، حجة على الإطلاق، ينبغي التمسك به، في أي جماعة مسلمة، في أي زمان ومكان، فلا يتصور للمسلمين جماعة منبتة الصلة بنهج ونقل الأصحاب، وإلا فإنها لن تقيم شعيرة، ولن تُحَكِّم شريعة.
- حاصل هذا الكلام؛ أنني أقول – بحول الله وقوته – أن الجماعة المقصودة من نصوص الشرع يمكن تعريفها **التعريف التالي**:

هي جماعة المسلمين، التي اجتمعت على أمير لها، تسمع له، وتطيع، وفق الكتاب والسنة وفهم وعمل سلف الأمة.

وفي هذا المعنى نجد أحاديث النبي – صلى الله عليه وسلم –كثيرة، منها:

- حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول : (من نزع يدا من طاعة لم تكن له حجة يوم القيامة ومن مات مفارق **الجماعة** فإنه يموت موتة الجاهلية)[1].
- حديث ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم – (من رأى من أميره شيئا فكرهه فليصبر فإنه ليس أحد يفارق **الجماعة** شبرا فيموت إلا مات ميتة جاهلية)[2].
- حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (من خرج من الطاعة وفارق **الجماعة** فمات مات ميتة جاهلية ..... الحديث)[3]. ومن هذا العرض لمفهوم الجماعة المسلمة ننتقل – بعون الله – لبيان صفاتها وملامحها في المطلب التالي:

١- صحيح ابن حبان. باب إثبات موت الجاهلية للمفارق لجماعة المسلمين ١٠ / ٤٣٩. رقم الحديث / ٤٥٧٨. ط ٢. مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م

٢- صحيح البخاري. باب إثبات موت الجاهلية للمفارق لجماعة المسلمين رقم الحديث / ٧١٤٣.

٣- صحيح مسلم. باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال. رقم الحديث / ١٨٤٨.

المطلب الثالث: صفات الجماعة المسلمة في القرآن الكريم

شكَّل القرآن الكريم – هذا النورُ المبارك –، المعينَ الصافي، والوردَ المورود، لتكوين صفات وملامح الجماعة المسلمة، من خلال توجيهاته ابتداءً إلى كل ما من شأنه تقوية الجماعة الوليدة، أو من خلال معالجته الربانية الحكيمة لكل ما يعن ويواجهه المجتمع المسلم، أو من خلال الإجابات الإلهية على أسئلة واستفسارات الخلق في النوازل والمسائل المختلفة.

فلما أتم الله نعمته على عبده – صلى الله عليه وسلم –، وأكمل دينه، كانت آيات القرآن العظيم تشكل الدستور الموجه لحياة الجماعة المسلمة، والسياج المنيع لها عن التفتت والذوبان، أو الفرقة والاختلاف. **وفيما يلي نماذج من الآيات التي تبرز ملامح الجماعة المسلمة وتجلي صفاتها:** فمن ذلك قول الله – تعالى –: ﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيۡءٖ فَمَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1]. ونقرأ قول الله – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٠٣ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾[2].

ويؤكد القرآن الكريم هذه المعاني، المرة بعد المرة، فيقول – سبحانه – ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾[3].

١- سورة الشورى. آية: ٣٦- ٤٠.

٢- سورة آل عمران. آية: ١٠٢- ١٠٥.

٣- سورة التوبة. آية: ٧١.

ينادي الله – تعالى – الجماعة المسلمة، ويوجهها إلى عدة قواعد أساسية، وركائز ضرورية، تقوم عليهما حياتها ومنهجها . وهي قواعد متلازمة متلاحمة لا فاصل بينها، ولا انفصام لها :

الأولى: ركيزة الإيمان بالله وتحقيق التقوى

- التقوى التي تبلغ الوفاء بحق الله، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾. وهي أن يُطاع فلا يُعْصَى، وأن يُذْكَر فلا يُنْسَى، وأن يُشْكَر فلا يُكفَر؛ إنها التقوى الدائمة اليقظة التي تستغرق جميع لحظات العمر حتى الممات ، إنها الاستسلام لله ، طاعةً له ، واتباعاً لمنهجه ، واحتكاماً إلى كتابه.
- ونجد الجماعة المسلمة في الآيات، وقد توثقت علاقتهم بربهم – عز وجل – ، بتصديقهم الجازم بالله وتوحيدهم الخالص له – تعالى – ، واعتمادهم عليه – تعالى – في كل شؤونهم، وتفويضهم أمورهم إليه،وعبرت الآيات عن هذا بقوله – سبحانه –:﴿ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.
- ومع الإيمان واليقين، يأتي تمام الانقياد، والطاعة لله، فيما أمرهم به سبحانه ﴿ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾. وفيما نهاهم عنه ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ ﴾.
- ثم تعلو بهم هِمَمُهُم فيبادرون إلى فعل ما أمرهم الله به، من توحيده، والقيام بعبوديته وحده، ودوام الصلة برب الأرض والسموات، وهذا المعنى ظاهر في قوله – سبحانه –:﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾. إنها ولا شك أوثق العلاقات، وأعظم الصلات، أن يكون الناس موصولين برب الأرض والسموات، وقد أكد ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله قرب وفاته ((الصلاةَ الصلاةَ)) يوصي بها وحث على التمسك بها.

الثانية: ركيزة الاتحاد ونبذ الخلافات

- والركن الآخر للجماعة المسلمة، اتحاد وجماعة توحدت خلف حبل الله المتين، وهو القرآن العظيم، بما فيه من العهد، والنهج، والتصورات الصحيحة ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾. فيتحد أفراد الجماعة المسلمة ويتآلفون، ويتعاونون، ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ

أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾. لا يتباغضون، ولا يتدابرون، ولا يتنازعون، وبأمر الله يعملون، وله يمتثلون ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

الثالثة: ركيزة التآخي والتآلف والتكافل

- ومن أسس هذا الاتحاد، تلك النعمة العظيمة، **الأخوة الإيمانية**، التي جعلت من الجماعة المسلمة جسداً واحداً، وبِنْيَة حية، قوية صامدة،﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾. بهذا التآخي واجهت الجماعة المسلمة مكايد يهود وغيرهم، التي طالما حلمت بتقطيع أوصال هذا النسيج الإيماني، والبناء القرآني.
- والجماعة المسلمة كما أرادها الله – تعالى – أرادها **مجتمعاً متآلفاً متحاباً**، أهل عفو، وصفح، وحلم: ﴿ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾.
- **والجماعة المسلمة يتشاورون** فيما بينهم، في أمورهم الخاصة والعامة، ولا ينفردون برأي في كل القضايا العامة كتولي الحكم، والولايات، والقضاء، وتدبير شؤون الدولة، والتخطيط لحاضرها ومستقبلها: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾.
- **ويتكافلون؛** ﴿ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ ﴾. فيعطف غنيهم على فقيرهم، ويسدون حاجات المحاويج منهم، أهل جود، وكرم، وإيثار: ﴿ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾.
- **يترفعون عن الانتصار لأنفسهم**، منصفون مع غيرهم، حتى حين يبغي عليهم أحد، فيدفعون عن أنفسهم الظلم والضيم، فإنما يردون الإساءة بمثلها، ولا يتعدون، ولا يزيدون، وتلمح الآيات إلى كون العفو والصفح اختيار أفضل، وفعل أرقى، فتُرَتِّب عليه الآيات الأجر العظيم الذي لا يعلمه إلا الله، ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾. وبهذه الصفات النبيلة، التي أرادها القرآن يتقوى جانب الجماعة المسلمة، بملامح مستقيمة، وسلوكيات قويمة،وتتوثق عُرَى المجتمع المسلم، ويزداد وحدةً، وألفةً، واستقراراً.

الرابعة: ركيزة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الخير

- من أعظم ملامح وحدة الأمة، قيامها بواجب الدعوة إلى الله، ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾[1].
- ويسلكون سبيل الرسل، والمصلحين، ﴿ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[2].
- يتحدون خلف قطب الدين العظيم، والشعيرة الضرورية من الأمر بالمعروف كل معروف، والنهي عن المنكر، كل منكر، ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ يقومون بهذا الفرض الواجب تحصيلاً لقوة وطهارة وصلاح الجماعة المسلمة، ودفعاً للمفاسد والقبائح عنها، واكتساباً للخيرية التي خص الله بها جماعة المسلمين في قوله – جل وعز – ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾[3].

بهذه النماذج القرآنية – وغيرها كثير – تتضح لنا مميزات هذه الجماعة المسلمة الفريدة، فهي:

- **جماعة موصولة بالسماء**، بصدق إيمانها، ومبادرتها لطاعة مولاها، فيما أمرها به، وفيما نهاها عنه.
- إنها **جماعة بشرية ذات جسد واحد**، يجمع بين أفرادها تآلف، وأخوة إيمانية صادقة، ومنهج واحد، واضح، مستقيم.
- وهي **جماعة دعوية**، تدعو للخير، وتفعله، وتأمر بالمعروف، وتعظمه، وتنهى عن المنكر، وتحاربه.

ومن هذه الملامح ننتقل للمطلب الأخير، حول ضرورة التمسك بالجماعة وعدم الخروج عليها.

١- سورة آل عمران. آية: ١٠٤.

٢- سورة يوسف. آية: ١٠٨.

٣- سورة آل عمران. آية: ١١٠.

المطلب الثالث: وجوب الالتزام بالجماعة المسلمة في القرآن الكريم

يمكن لنا أن نشير إلى معالم هذا المعنى الذي تتابعت آيات القرآن الكريم على بيانه من خلال النقاط التالية:

- **هذه الأمة المسلمة هي أمة واحدة.**

إنها جماعة متآلفة، ذات صفات متميزة عن غيرها من الأمم. ويكفي هذه الأمة شرفاً أن الذي جمعها وآلف بين قلوبها هو رب العالمين – عز وجل – ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾[1].

- **وأعضاء الجماعة المسلمة ليسوا إلا إخواناً.**

قال – سبحانه – ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[2]. وفي هذه الآية؛ " عقدٌ، عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشرق الأرض ومغربها، الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، فإنه أخ للمؤمنين، أخوة توجب أن يحب له المؤمنون، ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له، ما يكرهون لأنفسهم "[3]. وفي كلام النبي – صلى الله عليه وسلم – تأكيد على تعظيم حقوق الأخوة الإيمانية، وحث على الالتزام بها دوماً، ومن ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم – (لا تَبَاغَضُوا وَلا تَحَاسَدُوا ، وَلا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث)[4].

١- سورة الأنفال. آية: ٦٢ – ٦٣.

٢- سورة الحجرات. آية: ١٠.

٣- تفسير السعدي. ص/ ١١٢٩.

٤- صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب. باب تحريم التحاسد والتباغض والتدابر. رقم الحديث / ٢٥٥٩. عن أنس رضي الله عنه.

وقال صلى الله عليه وسلم (المؤمن للمؤمن، كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك صلى الله عليه وسلم بين أصابعه)[1].

ولما عقد الله بين المؤمنين عقد الأخوة الإيمانية، نهاهم – عز وجل – عن كل ما يسيء، أو يعكر صفو هذه العلاقة السامية فقال – جل في علاه – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾[2].

فكل قول أو فعل، تصريحاً كان أم تلميحاً، يدل على تحقير المسلم، والاستهزاء به، فهو حرام منهي عنه، بل هو دال على ما في قلب المستهزئ من الخلق الذميم، من تحقير المسلمين، والعيب فيهم، بحيث خرج من ساحة الإيمان لمرتع الفسوق والظلم.

- **النهي عن تولي غير المؤمنين.**

نهى الله – تعالى – المؤمنين عن موالاة الكافرين بالمحبة والنصرة والاستعانة بهم على أمر من أمور المسلمين، وتوعد من فعل ذلك بالانقطاع عن الله، وأنه ليس له في دين الله نصيب، لأن موالاة الكافرين لا تجتمع مع الإيمان، لأن الإيمان يأمر بموالاة الله وموالاة أوليائه المؤمنين المتعاونين على إقامة دين الله وجهاد أعدائه، وفي هذا الشأن الخطير، تأتي الآيات الواضحات، تنهى عن تولي غير المؤمنين، فيقول الرب – جل وعلا –:

﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[3]. ويقول – سبحانه – ﴿ بَشِّرِ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمۡ

١– البخاري. كتاب المظالم. باب نصر المظلوم. رقم الحديث / ٢٤٤٥. عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

٢– سورة الحجرات. آية: ١١ – ١٢.

٣– سورة آل عمران. آية: ٢٨.

عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[1]. ويقول – سبحانه – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾[2]. ويقول – سبحانه – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3]. ويقول – سبحانه – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[4]. ويقول – سبحانه – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾[5].

فهذه الآيات الكريمات – وغيرها – تشكل وبكل وضوح، مسألة مفصلية، في حياة الجماعة المسلمة؛ فكما أنه سبحانه أمر بتولي أهل الإيمان بالتعاون، والمحبة، والنصرة، والتأييد، والتضامن، والتكافل، إقامةً للدين، وأداءً لشعائره، وتطبيقاً لشرائعه؛ فإن الله – عز وجل – في هذه الآيات يحكم حكماً، لا يُرَدُّ، ولا يُدْفَعُ، بأن ولاية المسلم للكافر لا تكون إلا مِنْ:

- ☒ **مقطوع الصلة بربه** ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾.
- ☒ **مفرط في إسلامه وإيمانه** ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ﴾،
- ☒ **ظالم لنفسه** ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.
- ☒ **خائن لأمته ضال عن سواء الطريق** ﴿ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾

أقول – والألم يعتصر فؤادي – إن نظرةً متأملة كانت أم عابرة، لأحوال دولنا وشعوبنا، يتبين معها الفرق الشاسع الكبير، والشَّق الواسع العميق، بين تعاليم كتاب ربنا، دستور أمتنا، وبين

١- سورة النساء. آية: ١٣٨ – ١٣٩.

٢- سورة النساء. آية: ١٤٤.

٣- سورة المائدة. آية: ٥١.

٤- سورة التوبة. آية: ٢٣.

٥- سورة الممتحنة. آية: ١.

تلك الأحوال المتردية، والسلوكيات المزرية، التي تفشت في بلادنا الإسلامية، وخاصة في هذا الشأن الخطير، المتعلق بولاية المسلمين للكفار، وما يترتب عليه من ألوان الذل، والصغار، والهوان، بعيداً عن عزة وكرامة المؤمنين المخلصين، والمسلمين الصادقين.

- **والولاية (المحبة – النصرة – التأييد) مقصورة على المسلمين.**

وهم الذين آمنوا ظاهرا وباطنا، وأخلصوا للمعبود، بإقامتهم الصلاة بشروطها وفروضها ومكملاتها، وأحسنوا للخلق، وبذلوا الزكاة من أموالهم لمستحقيها منهم، قال – سبحانه – ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[1] هنا يخبر الله تعالى عمن تحب ولايتهم، وهم رب العالمين بالإيمان به، ورسوله عليه الصلاة والسلام باتباعه، وطاعته، وكل من آمن بالله مخلصاً، وأداة الحصر في قوله ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ تدل على أنه يجب قصر الولاية على المذكورين، والتبري من ولاية غيرهم.

وبيَّن – تعالى – حسن عاقبتهم ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ "وهذه بشارة عظيمة، لمن قام بأمر الله وصار من حزبه وجنده، أن له الغلبة، وإن أديل عليه في بعض الأحيان لحكمة يريدها الله تعالى، فآخر أمره الغلبة والانتصار، ومن أصدق من الله قيلا"[2].

ومن هذا قوله – سبحانه – ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾[3].

١- سورة المائدة. آية: ٥٥ – ٥٦.

٢- تفسير السعدي. ص/ ٣٠٣.

٣- سورة الأنفال. آية: ٧٢ – ٧٣.

وكذلك قوله – تعالى – ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

وهكذا هي الجماعة المسلمة، جماعة متحدة، متآزرة، ومتكاتفة، تتضامن لنشر الخير، وتتعاون لدفع الشر، قويت صلتهم بالله، واشتد عود مجتمعهم، فصاروا صفاً واحداً، ولذلك كافأهم ربهم برحمته، التي تعم الفرد، والجماعة كلها، فتنعم بالصلاح، والاطمئنان.

- **وجوب لزوم الجماعة المسلمة وتحريم الخروج عنها.**

○ أوجب الله – تعالى – على كل مسلم لزوم جماعة المسلمين، والانتماء لها قلباً وقالباً، ويتضح هذا المعنى بجلاء شديد في قول الحق – سبحانه – ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2]. فأتى الحق – تعالى – بلفظ الاعتصام ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ ﴾ في هذا الموضع؛ لأنه أبلغ وأعمق معنىً من غيره من الألفاظ المستعملة مثل: التمسك، أو التشبث، لما فيه من الالتزام الشديد بالمعْتَصَم به، والتعلق التام بهذه الجماعة المسلمة، وليس الاعتصام عملاً فردياً يؤمر به آحاد المسلمين، بل عمل جماعي يطالب به كل المسلمين ﴿ جَمِيعًا ﴾ حفاظاً على دينهم، وحرصاً على مصالح دنياهم.

○ وحرَّم – سبحانه – التفرق والاختلاف على المسلمين، فلا يجوز لهم بأي حال أن يتخلوا عن هذه الجماعة، أو يمزقوا تلك الوحدة، أو يتفرقوا كالأمم السابقة.

﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

١- سورة التوبة. آية: ٧١.

٢- سورة آل عمران. آية: ١٠٣.

٣- سورة آل عمران. آية: ١٠٥.

○ وهؤلاء المتفرقون ليسوا من الدين في شيء، ولا يمتون لله ورسوله بصلة قال الله – تعـــــالى –: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴾[1].

○ مع التحذير بأن هؤلاء الذين يسعون في فرقة الجماعة المسلمة بهم شبه بالمشركين فقـــال – تعـــالى –: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٣١ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾[2].

○ ويتوعد الرب – جل جلاله – من اتبع سبيلاً غير سبيل الجماعة المسلمة المؤمنة بالعذاب بالنار ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[3].

فليس للمؤمن خيار سوى طاعة الرسول الكريم – عليه الصلاة والسلام – ولزوم جماعة المسلمين، وإلا كان مصيره مصيراً سيئاً في جهنم، وساءت مستقراً ومصيراً.

○ ويَنْهَى – سبحانه – عباده المؤمنين عن التنازع، والخلاف، ويبين لهم مآل ذلك من الضعف والتشرذم فيقول: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[4].

وكأني بالله – عز وجل – وهو أعلم بمراده، يشير لأهل الإيمان، بأن لزوم الجماعة، والمحافظة على وحدتها، ليس أمراً ميسوراً في كل حال، بل إنه في أحايين كثيرة تكتنفه الصعوبات العظام، وتحوطه التضحيات الجسام، وكل ذلك يحتاج ولابد؛ لصبر الصابرين، واحتساب المجاهدين، وقد بشرهم ربهم بمعيته، وما تقتضيه من الرعاية، والعناية، وإنزال السكينة،

١– سورة الأنعام. آية: ١٥٩.

٢– سورة الروم. آية: ٣١ – ٣٢.

٣– سورة النساء. آية: ١١٥.

٤– سورة الأنفال. آية: ٤٦.

والتثبيت، مع النصر، والتمكين فقال – سبحانه – لهم: ﴿ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ فمن لزم الجماعة نجا، وأفلح، وفاز، وأصلح في الدين والدنيا إلى قيام الساعة.

○ وكما كان الأمر بلزوم جماعة المسلمين، والنهي عن مفارقتها، واضحاً جلياً في آيات الكتاب العزيز، فإنه كان كذلك ظاهراً في توجيهاته – عليه الصلاة والسلام – ومن ذلك:

■ عن ابن مسعود قال : قام مقامي هذا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: (**والذي لا إله غيره، لا يحل دم رجل يشهد أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، إلا في إحدى ثلاث: التارك الإسلام، المفارق للجماعة، والثيب الزاني، والنفس بالنفس**) [1].

ويؤيد هذا المعنى قوله – تعالى –: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[2]. وقوله – سبحانه –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[3].

■ وعن أبي ذر قال قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : (**من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه**) [4].

■ وعن ابن عمر قال : خطبنا عمر بالجابية فقال: يا أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فينا فقال: (....**عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة،**

١– صحيح ابن حبان. باب الجنايات. ١٣ / ٣١٥. رقم الحديث / ٥٩٧٦. قال الأرناؤوط: صحيح على شرط الصحيحين.

٢– سورة البقرة. آية: ٢١٧.

٣– سورة المائدة. آية: ٥٤.

٤– سنن أبي داود. كتاب السنة. باب في قتل الخوارج. رقم الحديث / ٤٧٥٨. وصححه الألباني.

فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، من أراد بحبوحة الجنة فيلزم الجماعة .... الحديث)[1].

- وقال ابن مسعود – رضي الله عنه – : " **أيها الناس ، عليكم بالطاعة و الجماعة ، فإنها حبل الله الذي أمر به وما تكرهون في الجماعة ، خير مّما تحبّون في الفُرقة** "[2].

○ ولقد استقر هذا الأمر بلزوم الجماعة جداً، وتقرر في وجدان المسلمين وقلوبهم، حتى نص العلماء الأعلام في كتب العقيدة عليه.

- قال الإمام أحمد في أصول السنة:" **والسمع والطاعة للأئمة، وأمير المؤمنين، البر والفاجر ، ومن ولي الخلافة، واجتمع الناس عليه، ورضوا به، ومن عَلِيَهم بالسيف حتى صار خليفة، وسمى أمير المؤمنين** "[2].
- واشتهر قول الإمام أبي جعفر الطحاوي في عقيدته ذائعة الصيت عند أهل السنة والجماعة: **"ونرى الجماعة حقا وصوابا والفرقة زيغا وعذابا"**[3].

وبهذا الاستقرار واللزوم للجماعة المسلمة أختتم هذا المبحث، وبعون الله أنتقل للمبحث التالي عن ضرورة الحكم وتنصيب الحاكم.

١- سنن الترمذي. كتاب الفتن. باب لزوم الجماعة. رقم الحديث / ٢١٧٠. وصححه الألباني.

٢- العقيدة الطحاوية . ١ / ٦٠.

٣- العقيدة الطحاوية. ١ / ٦٠.

المبحث الثالث:

ضرورة الحكم وتنصيب الحاكم

المطلب الأول: الحكم وتنصيب الحاكم ضرورة إنسانية

كما سبق معنا؛ فالاجتماع الإنساني ضروري للحياة، لأنّ الله سبحانه خلق الإنسان وركّبه على صورة ضعيفة، وقدرة قاصرة كما قال – تعالى – : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾[1]. فلا تقوم له حياة، ولا يتمّ له بقاء، إلاّ بالاستعانة بأبناء جنسه ، ولابد لهم من التعاون فيما بينهم لتحصيل مصالحهم الضرورية، كما قيل :

الناس للناس من بدو وحاضرة بعض لبعض وإن لم يشعروا خدم [2].

ويترتب على هذا الاجتماع، وتلك الحياة الاجتماعية، علاقات شتى، ومعاملات بين أفرادها، تختلف فيها المشارب، وتتعدد وتتداخل وتتضارب فيها المصالح، وينشأ عن هذا الوضع الجماعي خلافات بين الناس، يحتاجون لمن يفصل بينهم فيها، ويدفع بعضَهم عن بعض حتى لا يصل أحد منهم إلى غيره بعدوان.

قال ابن خلدون – رحمه الله –: " **المُلك منصب طبيعي للإنسان** لأنا قد بينا أن **البشر لا يمكن حياتهم ووجودهم إلا باجتماعهم وتعاونهم** على تحصيل قوتهم وضرورياتهم. وإذا اجتمعوا دعت الضرورة إلى المعاملة واقتضاء الحاجات، ومد كل واحد منهم يده إلى حاجته يأخذها من صاحبه، لما في الطبيعة الحيوانية من الظلم والعدوان بعضهم على بعض، ويمانعه الآخر عنها بمقتضى الغضب والأنفة ومقتضى القوة البشرية في ذلك، **فيقع التنازع المفضي إلى المقاتلة، وهي تؤدي إلى الهرج وسفك الدماء وإذهاب النفوس، المفضي ذلك إلى**

١– سورة النساء. آية: ٢٨.

٢– المعري أبو العلاء. ديوان اللزوميات، من قصيدة مطلعها: المرء كالنار تبدو عند مسقطها** صغيرة ثم تخبو حين تحتدم. ٢ / ٢٧٧. مكتبة الخانجي – القاهرة

انقطاع النوع، وهو مما خصة الباري سبحانه بالمحافظة، واستحال بقاؤهم فوضى دون حاكم يزع بعضهم عن بعض، واحتاجوا من أجل ذلك إلى الوازع وهو الحاكم عليهم، وهو بمقتضى الطبيعة البشرية الملك القاهر المتحكم"[1].

فعرفت الإنسانية منذ القدم، زعيم القوم، وشيخ القبيلة، الذي يرجع إليه في الملمات، ويصدرون عن رأيه في أمورهم الجليلة، كما أوجد الناس المجالس العرفية يفصل فيها أهل الخبرة والوجاهة بين المتنازعين، وانتظمت هذا كلَّه الدولُ، والممالكُ على مر التاريخ، من خلال مؤسساتها، وهيئاتها المختلفة.

المطلب الثاني: الحكم وتنصيب الحاكم في القرآن الكريم

يؤسس القرآن الكريم في هذا السياق عدة معاني حاكمة، وهي:

الأول: أنه – سبحانه وتعالى – هو الحاكم المطلق. قال – جلَّ شأنه – ﴿ وَٱللَّهُ يَحۡكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكۡمِهِۦۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴾[2]. " فحكمه – تعالى – في غاية الحكمة والإتقان، لا خلل فيه ولا نقص، مبنيٌ على القسط والعدل ، فلا يتعقبه أحد ولا سبيل إلى القدح فيه، بخلاف حكم غيره فإنه قد يوافق الصواب وقد لا يوافقه "[3]. وقال – تعالى – ﴿ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾[4].

تخبر الأيات على لسان يوسف – عليه السلام – أن الحكم، والتصرف، والمشيئة، والملك كلَّه لله، الذي أمر عباده قاطبة ألا يعبدوا إلا إياه، تَوحيداً، وإخلاصاً في العمل له، وهذا هو الدين المستقيم، الذي ارتضاه – سبحانه – لجميع العباد.

١– مقدمة ابن خلدون. الفصل الثالث والعشرون، حقيقة الملك وأصنافه. ص / ٣٣٢ – ٣٣٣

٢– سورة الرعد. من الآية: ٤١.

٣– تيسير الكريم الرحمن. ص / ٥٧٦. بتصرف.

٤– سورة يوسف. من الآية: ٤٠.

الثاني: أنه – جلَّ وعزَّ – صاحب الأمر وحده قال – سبحانه –﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾[1]. فلا أمر لأحد مع الله، وكما أنه تفرد بالخلق فقد تفرد أيضاً بالأمر. يقول – جلَّ وعلا –﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[2]. وقال – جل وعلا – ﴿ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ ﴾[3].

الثالث: أنه – تبارك وتعالى – هو مالك الملك يُمَلِّك من يشاء ما شاء من ملكه، ويسترده ممن يشاء عندما يشاء . قال – جلَّ شأنه – ﴿ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ ﴾[4].

ويقول – جلَّ وعلا –﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[5]. "فليس لأحد ملكية أصيلة يتصرف فيها على هواه . إنما هي ملكية معارة له خاضعة لشروط المملِّك الأصلي وتعليماته؛ فإذا تصرف المستعير فيها تصرفاً مخالفاً لشرط المالك وقع هذا التصرف باطلاً . وتحتم على المؤمنين رده في الدنيا، أما في الآخرة فهو محاسب على باطله ومخالفته لشرط المملِّك صاحب الملك الأصيل"[6].

ولا نجد في القرآن الكريم أمراً صريحاً، بتنصيب الحُكَّام، ، أو توجيهاً مباشراً لاختيار أولي الأمر، ولم يكن ذلك – والله أعلم بمراده – لم يكن عن عدم أهمية، أو تقليلاً لمكانة هذا الأمر؛ بل لكونه بَدَهِيَّة إنسانية، وضرورة مجتمعية، لا يخلو منها مجتمع، ولا تستغني عنها أمة؛ لأنها من مسلمات العيش المشترك، وبها قوامه، واستقراره.

١- سورة آل عمران. من الآية: ١٥٤.

٢- سورة الأعراف. من الآية: ٥٤.

٣- سورة الرعد. من الآية: ٣١.

٤- سورة البقرة. من الآية: ٢٤٧.

٥- سورة آل عمران. آية: ٢٦.

٦- في ظلال القرآن. ١ / ٣٨٤

ولذلك نجد آيات القرآن العظيم تُورِد ذكر الملوك وأولي الأمر في سياق التقرير والتسليم بهذا النسق من المجتمعات البشرية المستقرة، وفيما يلي نستعرض بعضاً من تلك المواطن في القرآن العظيم،

- قوله – تعالى – ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ ﴾[1].

ونلحظ في الآيات أن نبيهم لم ينكر عليهم طلب تنصيب ملك عليهم، تسليماً بحاجتهم إليه، بل أنكر عليهم تخاذلهم عن الجهاد، وفي الآيات إشارة واضحة لحاجة الأمة لمن يقودها ويسوس أمرها.

- وقوله – تعالى – ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2].

لم يكن المُلْك عيباً لهذا النمرود بل كانت آفته في استكباره وادعائه ما ليس له من الإحياء والإماتة، حتى أتاه الخليل – عليه الصلاة والسلام – ببرهان قاطع، ودليل ساطع، حسم جداله، وأنزله من علياء كبره، وكفره مبهوتاً، زاهقاً، ذليلاً للحق الصريح.

- وقوله – سبحانه – ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴾[3].

١- سورة البقرة. آية: ٢٤٦.

٢- سورة البقرة. آية: ٢٥٨.

٣- سورة يوسف. آية: ٤٣.

- وقولـه – تعـالى – ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾[1]. فهاتان الآيتان صورة من هذه العهود، وتلك الأجواء الملكية، بين الحاكم ومستشاريه، وحاشيته المقربين، يسوقها القرآن إقراراً بها، من غير نكير، ولا تعديل لها.
- ولم يتوقف القرآن الكريم عند عرض هذه النماذج للحكام والملوك، بل إن الله تعالى أمر عباده المؤمنين بطاعة أولي الأمر منهم، تحقيقاً للاستقرار، وتحصيلاً لوحدة الجماعة، ونشراً للأمن والأمان، فقال – جلَّ في علاه – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[2].

قال – جلَّ شأنه – ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[3].

" هذا تأديب من الله لعباده. وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة، والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن، وسرور المؤمنين، أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا، ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول، وإلى أولي الأمر منهم، أهلِ الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها. فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطا للمؤمنين وسرورا لهم وتحرزا من أعدائهم فعلوا ذلك. وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته، لم يذيعوه "[4].

وفي هذا التوجيه الإلهي بالطاعة لأولي الأمر، ورد الأمور الكبرى، والنوازل العظيمة إليهم فيه تعظيم لهذه القيادة، وتقدير لدورها الجليل في المجتمعات، خاصة تلك القيادات التي تتحلى

١- سورة النمل. آية: ٢٩ – ٣٤.

٢- سورة النساء. آية: ٥٩.

٣- سورة النساء. آية: ٨٣.

٤- تيسير الكريم الرحمن. ص/ ٢٣٧

بالمسئولية، وحسن التقدير والفهم للأمور، واستنباط الحلول، وإشاعة أجواء من الثقة والامن والاطمئنان في نفوس رعيتها.

وبهذا المطلب، نختتم هذا الفصل، ومنه ننتقل إلى الفصل الرابع، بعون الله وفضله.

الفصل الرابع

مرجعية الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم

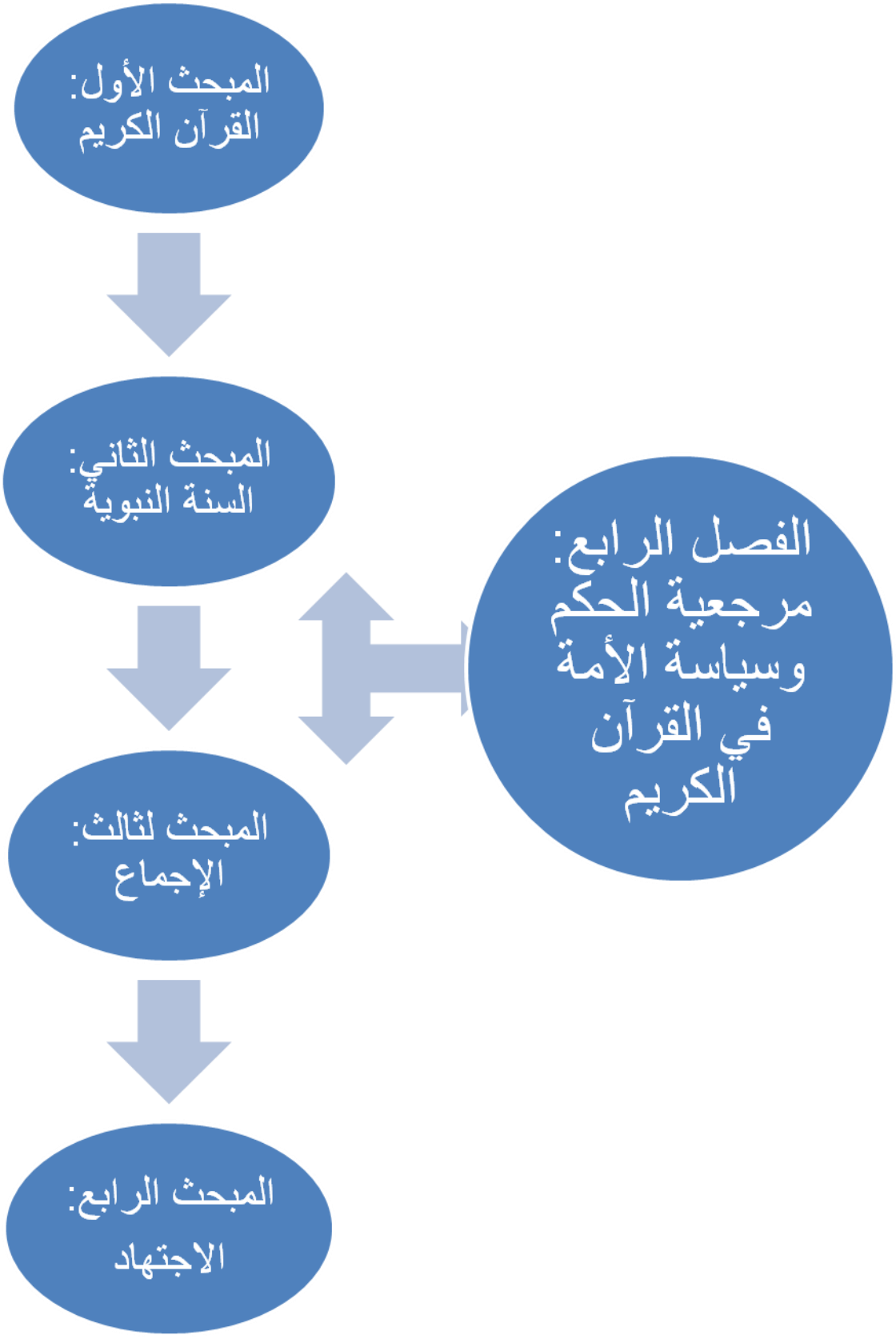
الفصل الرابع: مرجعية الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم
المبحث الأول: القرآن الكريم
المبحث الثاني: السنة النبوية
المبحث لثالث: الإجماع
المبحث الرابع: الاجتهاد

يتمتع الحكم في دولة الإسلام بمزية فريدة، قد انعدم نظيرها في سائر مؤسسات الحكم، والنظم الحاكمة في العالم، هذه المزية، وتلك الخاصية هي أن له مرجعيات راسخات، إلهية المصدر، ربانية المنبع، تتمثل في كلمة الله الباقية، وحجته الدامغة، القرآن العظيم، والسنة النبوية الصحيحة، وما يتفرع عنهما من ينابيع الحكمة، وسبل الفلاح، وطرائق الصلاح.

وفصْلُنا هذا وقفة مع هذه المرجعيات بالعرض والبيان، وعلى الله اعتمادي.

المبحث الأول

القـرآن الكـريم

المطلب الأول: تعريف القرآن لغةً واصطلاحاً

تعريـف القـرآن الكـريم لغـةً: لفـظ القـرآن مصـدر مشتق مـن (قـرأ) ، **قـال ابـن منظـور – رحمه الله –:** " قرأه، يقرَؤُه، ويقرُؤُه، قَرْءاً، وقِراءةً، وقرآناً، فهو مقروء.....، وسُمِّيَ قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها، وقوله تعالى ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾[1]. أي جمعه وقراءته، ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾[2]. أي قراءته.....، وقرأت الشيء قرآناً: جمعته وضممت بعضه إلى بعض "[3].

وقـال الراغـب في المفـردات: " القـراءة: ضـم الحـروف والكلمـات بعضـها إلى بعـض في الترتيـل، والقرآن في الأصل مصدر، نحو كُفْران، ورُجْحان، وخُصَّ بالكتاب المنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم –، فصار كالعلم. قال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله؛ لكونه جامعاً لثمرة كتبه – سبحانه –، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار – تعالى – إليه بقوله ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ ﴾[4]. وقوله ﴿ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ﴾[5]... "[6].

" وذهب بعض العلماء إلى أن لفظ القرآن غير مهموز الأصل في الاشتقاق، إما لأنه وضع علمًا مرتجلًا على الكلام المنزل على النبي –صلى الله عليه وسلم– وليس مشتقًا من "قرأ"، وإما لأنه

١– سورة القيامة. آية: ١٧.

٢– سورة القيامة. آية: ١٨.

٣– لسان العرب مادة قرأ باب القاف مع الراء والهمزة. ١١ / ٧٨

٤– سورة يوسف. من الآية: ١١١.

٥– سورة النحل. من الآية: ٨٩.

٦– المفردات في غريب القرآن. كتاب القاف مع الراء والهمزة. ص / ٤٠٢.

من قرن الشيء بالشيء إذا ضمه إليه، أو من القرائن لأن آياته يشبه بعضها بعضًا فالنون أصلية، وهذا رأي مرجوح، والصواب الأول "[1].

تعريف القرآن الكريم اصطلاحاً:

رغم تعدد تعريفات العلماء للقرآن المجيد، إلا أنها في النهاية تبقى متقاربة الألفاظ، والمعاني جداً، فمن هذه التعريفات قول بعضهم:

" إن القرآن الكريم هو: الكلام المعْجِزُ، المَنَزَّل علي النبي – صلى الله عليه وسلم – المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته ..... أو قول البعض الآخر:

إن القرآن الكريم هو: اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم المنقول عنه بالتواتر المتعبد بتلاوته"[2].

شرح التعريف:

- القرآن هو كلام الله المعْجِزُ ، لا يمكن أن يأتي أحد بمثله، في جزالته، وفصاحته، ونظمه، و معانيه.
- وخرج بالمنزل على النبي – صلى الله عليه وسلم – ما لم ينزل أصلاً، مثل كلامنا، ومثل الحديث النبوي، وما نزل على غير النبي – صلى الله عليه وسلم – كالتوراة والإنجيل.
- وكتاب الله تعالى هو المنقول إلينا بطريق التواتر خلفا عن سلف على وجه يوجب العلم المقطوع به الذي لا يخامره شك ولا شبهة، وخرج بالمنقول تواترا جميع ما سوى القرآن من منسوخ التلاوة والقراءات غير المتواترة ... فإن شيئا من ذلك لا يسمى قرآناً، ولا يأخذ حكمه.
- وخرجت الأحاديث القدسية إذا تواترت بقولهم المتعبد بتلاوته.

ومن تعريف القرآن العظيم لغةً واصطلاحاً ننتقل للمطلب التالي في وصف القرآن الكريم.

١- القطان، د مناع. مباحث في علوم القرآن. ١ / ١٦. ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م. مكتبة المعارف للنشر والتوزيع. ط ٣.

٢- الزرقاني، محمد عبد العظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. ١/ ١٩ – ٢٠. مطبعة عيسى البابي الحلبي. ط ٣.

المطلب الثاني: صفة القرآن الكريم

- وصف الله كتابه فقال -سبحانه-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ۝٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴾[1].
- كما وصفه - تعالى - بقوله: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾[2]. فجاءت آيات القرآن الكريم في غاية الدقة والإحكام، والوضوح والبيان، معجزًا من الناحية البلاغية والتشريعية والعلمية والتاريخية وغيرها إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
- وهو محفوظ من أن يتطرق إليه أدنى تحريف؛ تحقيقا لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[3]. فنُقِل إلينا محفوظاً في الصدور والسطور، جيلاً بعد جيل، لم يسقط أو يزد فيه حرف، ولا تقدمت أو تأخرت كلمة عن موضعها، وقد صانه الله - تعالى - من التحريف والتغيير والتبديل. من يقل: إنه سقط منه شيء أو أُخْفِي منه شيء؛ فقد كَذَّبَ اللهَ ورسولَه، وخرج من الإسلام، ودخل في عداد أعدائه من الكفار والزنادقة، الذين يحاربون الإسلام، ويكيدون لأهله.
- لم تظفر البشرية بكتاب أجمع للخير، وأهدى للتي هي أقوم، وأوفى بما يُسْعد الإنسانية، من هذا القرآن العظيم، الذي قال الله فيه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴾[4].
- فاق هذا الكتاب المبارك كل ما تقدمه من الكتب السماوية، وكانت منزلته فوق منزلتها، قال - تعالى-: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[5]. وقال -سبحانه-: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ ﴾[6].

١- سورة فصلت. آية: ٤١ - ٤٢.

٢- سورة هود. آية: ١.

٣- سورة الحجر. آية: ١٠.

٤- سورة الإسراء. آية: ٩.

٥- سورة الزخرف. آية: ٤.

٦- سورة المائدة. من الآية: ٤٨.

● وهو أحسن الحديث قال – سبحانه –: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾ ﴾[1].

● وهو الشفاء من كل الأمراض، أمراض الشهوات، وأمراض الشبهات قال – سبحانه –: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا ﴿٨٢﴾ ﴾[2]. وقال – تعالى –: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾[3].

● وهو النور، والنجاة من ظلمات الشرك، والجاهلية، أنزله الله على رسوله محمد –صلى الله عليه وسلم– ودعاهم إليه، وأمرهم باتباعه قال – تعالى – ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾[4]. وقال – جل وعلا –: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[5]. وقال – تعالى –: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشۡقَىٰ ﴾[6]. فأمرهم– تعالى– بما يعصمهم من الهلكة، والشقاء، وهو الإيمان بالله ورسوله وكتابه وسماه الله نورًا، لما فيه من الأحكام، والشرائع، والأخبار، التي يُهتدى بها من ظلمات الجهل والشرك، إلى الحياة الطيبة السعيدة.

بهذا العرض الموجز لما اتصف به الكتاب العزيز، من أكمل الصفات، وأرفعها، وأوثقها، ننتقل للمطلب التالي، للكلام حول الأغراض التي اشتمل عليها القرآن العظيم.

المطلب الثالث: الأغراض التي اشتمل عليها القرآن[7].

أولاً: تصحيح العقائد؛ وبيان أركان الإيمان ويدخل تحته الأمور التالية:

١– سورة الزمر. الآية: ٢٣.

٢– سورة الإسراء. الآية: ٨٢.

٣– سورة يونس. الآية: ٥٧.

٤– سورة التغابن. الآية: ٨.

٥– سورة إبراهيم. الآية: ١.

٦– سورة طه. من الآية: ١٢٣.

٧– مستفاد بتصرف وتوسع كبيرين من: تيسير أصول الفقه ص / ٩٦ – ٩٧. بدر المتولي عبد الباسط. طبعة بيت التمويل الكويتي. ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م.

١- الإيمان بالله تعالى: بربوبيته لا شريك له، والإيمان بألوهيته فهو المستحق للعبادة وحده، والإيمان بأسمائه وصفاته، وكل ما أخبر به عن نفسه — تعالى - مثل قوله - عزَّ وجلَّ - ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

ومثل هذا قوله - عزَّ وجلَّ - ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[١].

وقوله - سبحانه - ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٢].

فهذه الآيات الكريمات — وغيرها كثير جداً - تقرر وحدانية الله تعالى؛ رباً، وإلهاً معبوداً، وما ينبغي له من أسماء الجلال، وصفات الكمال.

٢- الملائكة: وما يتعلق بالإيمان بوجودهم. وصفاتهم الفذة ، وقدراتهم العظيمة، ووظائفهم الجليلة ، وما يقتضيه من الإيمان بهم، ومحبتهم. ومن هذا قوله سبحانه ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[٣].

وقوله سبحانه ﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾[٤].

وقوله عزَّ وجلَّ ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴾[٥].

وقوله عزَّ وجلَّ ﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[٦].

١- سورة الأعراف، آية: ٥٤.

٢- سورة البقرة، آية: ١٦٣.

٣- سورة الأنبياء ، آية: ١٩ - ٢٠.

٤- سورة الصافات ، آية: ١٦٤ - ١٦٦.

٥- سورة التحريم ، آية: ٤.

٦- سورة التحريم ، آية: ٦.

٣- **الكتب**: وما يتعلق بالإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً، والإيمان بما علمنا اسمه منها، كالقرآن ، والتوراة ، والإنجيل ، والزبور ؛وبما لم يُعْلَم اسمه إجمالاً. كما قال – تعالى –﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾[١].

وقوله – عزَّ وجلَّ – ﴿ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾[٢]. وقوله – تعالى – ﴿ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾[٣].

٤- **الرسل الكرام** عليهم السلام ووجوب الإيمان بهم على وجه التفصيل والإجمال ، فمن كفر برسالة واحد منهم فقد كفر بالجميع.

قال – تعالى – ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[٤].

وقال – سبحانه – ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٥].

٥- **اليوم الآخر**: وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده، وهو يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه للحساب والجزاء . ويلحق بالإيمان باليوم الآخر، الإيمان بكل ما يكون بعد الموت، من فتنة القبر وعذابه، وغير ذلك. قال – تعالى – ﴿ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴾[٦].

١- سورة آل عمران ، آية: ٣.

٢- سورة النساء، من الآية: ١٦٣، والإسراء ، من الآية: ٥٥.

٣- سورة الأعلى ، آية: ١٩.

٤- سورة النساء، الآية: ١٥٠- ١٥٢.

٥- سورة الأنعام ، آية: ٨٣ – ٨٦.

٦- سورة النبأ ، آية: ١٧ – ٢٠.

وقال – سبحانه – ﴿ ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٢ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ۝٥ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١ ﴾[1].

٦– **القضاء والقدر**: وما يتعلق بالإيمان بأن الله تعالى عَلِمَ بكل شيء جملة وتفصيلاً ، أزلاً وأبداً ، وكتب كل شيء في اللوح المحفوظ، وجميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، وهي مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها.

قال – تعالى –﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[2]. وقال – سبحانه – ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[3].

وقال – جل وعزَّ – ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

٧– **بيان زيف الكفر، والشرك، والإلحاد والنفاق**.وذلك من خلال التعرض لمعتقداتهم الباطلة، وشبهاتهم المتهافتة، واتباعهم للأهواء، وإيثارهم للشهوات العاجلة. قال – عزَّ وجلَّ – ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۝١٩١ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۝١٩٢ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَٰمِتُونَ ۝١٩٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝١٩٤ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ ۖ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۗ قُلِ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾[5].

ويقول – تعالى – ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٤ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٨٥ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۝٨٦ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٨٧ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٨٨ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ

١– سورة القارعة ، آية: ١ – ١١.

٢– سورة القمر ، آية: ٤٩.

٣– سورة التغابن ، آية: ١١.

٤– سورة التكوير ، آية: ٢٩.

٥– سورة الأعراف ، آية: ١٩١ – ١٩٥.

قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[1].

٨- **إعلاء عقيدة الولاء والبراء**؛ الولاء لله ورسوله والمؤمنين والبراءة من الكفر والكافرين. ومن هذا قوله – جل شأنه – ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[2].

ويقول – تعالى – ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[3].

ثانياً: الدعوة إلى مكارم الأخلاق، وهي الأخلاق العظيمة، والشمائل الطيبة التي أكد عليها القرآن، وتحتل مكانةً ومساحة عظيمة بين الآيات الكريمات، ومن هذا قوله – تعالى – ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾[4].

وقال سبحانه لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[5].

وقوله – جل وعزَّ – ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[6]. وقوله – سبحانه – ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾[7].

و قوله – تعالى – ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴾[1].

١- سورة المؤمنون ، آية: ٨٤ – ٩١.

٢- سورة المائدة ، آية: ٥٥ – ٥٧.

٣- سورة المجادلة ، آية: ٢٢.

٤- سورة الفرقان. آية: ٦٣.

٥- سورة الحجر. آية: ٨٨.

٦- سورة الأعراف. آية: ١٩٩.

٧- سورة الفرقان. آية: ٧٢.

ثالثاً:الإخبار بالقصص للعظة والاعتبار. والقصص في القرآن ثلاثة أنواع:

النوع **الأول**: قصص الأنبياء. **والثاني**: قصص قرآني يتعلق بحوادث غابرة،

والثالث: قصص يتعلق بالحوادث التي وقعت في زمن رسول الله عليه الصلاة والسلام.

قال – عزَّ وجلَّ – ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[2]. ويقول – تعالى – ﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3]. ويقول – سبحانه – ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴾[4].

ويقول – تعالى – ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[5].

رابعاً: بيان الأحكام العملية التي تصدر عن المكلفين، وهي قسمان :

القسم الأول : أحكام العبادات التي تنظم علاقة الإنسان بربه ، من صلاة وصوم وزكاة وحج ونحوها من العبادات التي يقصد بها تنظيم علاقة العبد بربه.

مثل: قوله – عزَّ وجلَّ – ﴿ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴾[6]. وقوله – تعالى – ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[7]. وقوله – سبحانه – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[8]. وقوله – تعالى – ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[9].

١- سورة المعارج. آية: ٢٩ – ٣٣.

٢- سورة آل عمران. آية: ٦٢.

٣- سورة الأعراف. من الآية: ١٧٦.

٤- سورة يوسف. آية: ٣.

٥- سورة يوسف. آية: ١١١.

٦- سورة النساء. من الآية: ١٠٣.

٧- سورة النور. آية: ٥٦.

٨- سورة البقرة. آية: ١٨٣.

٩- سورة آل عمران. من الآية: ٩٧.

القسم الثاني : أحكام المعاملات، وهي التي تنظم العلاقات البينية للناس، من عقود وتصرفات وعقوبات وجنايات وغيرها مما عدا العبادات، وما يقصد بها تنظيم علاقة المكلفين بعضهم ببعض، وسواء أكانوا أفراداً أم أُمما أم جماعات . وقد تنوعت أحكام المعاملات بحسب ما تتعلق به وما يقصد بها إلى الأنواع الآتية :

١- **أحكام الأحوال الشخصية :** وهي التي تتعلق بالأسرة من بدء تكونها، ويقصد بها تنظيم علاقة الزوجين والأقارب بعضهم ببعض، ومنها: قوله – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُواْ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴾[1]. هذه الآيات، هي فاتحة سورة النساء، المليئة بأحكام الأسرة من زواج، وإباحة لتعدد الزوجات، ووجوب المهر للنساء، ومواريث، والعشرة بالمعروف، وطرق الإصلاح بين الزوجين إلى آخر ذلك من أحكام عظيمة، وتوجيهات جليلة، مثل: قوله – سبحانه – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[2].

وقوله – تعالى – ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾[3].

وقوله – تعالى – ﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ ۗ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ ۚ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[1].

١- سورة النساء. آية: ١ – ٤.

٢- سورة النساء. آية: ١٩.

٣- سورة النساء. آية: ٣٥.

كما جاء الأمر بالزواج لما فيه من العفاف في قوله – عزَّ وجلَّ –﴿ وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[2].

ونظم كيفية الطلاق، وعدد الطلقات، وحكم الخلع، كما في قوله – سبحانه –﴿ ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾[3].

٢– الأحكام المدنية: وهي التي تتعلق بمعاملات الأفراد ومبادلاتهم من بيع وإجارة ورهن وكفالة وشركة مداينة ووفاء بالالتزام، و يقصد بها تنظيم علاقات الأفراد المالية وحفظ حق كل ذي حق.

ففي تحريم الربا وحِل البيع، نقرأ قوله – سبحانه –: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ ﴾[4].

وفي توثيق الدَّين وحفظ الحقوق، وأحكام الرهن، ووجوب الشهادة بالحق، نجد قوله – عزَّ وجلَّ –﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ۚ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَـٰدَةِ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ۖ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا

١– سورة النساء. آية: ١٢٨.

٢– سورة النور. آية: ٣٢.

٣– سورة البقرة. آية: ٢٢٩.

٤– سورة البقرة. من الآية: ٢٧٥.

بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوٓا۟ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا۟ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[1].

وفي تحريم أكل أموال الناس بالباطل، يأتي قوله – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[2].

وفي الأمر بالوفاء والالتزام بالعقود نقرأ قوله – عز وجل – ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴾[3].

٣- **الأحكام الجنائية:** وهي التي تتعلق بما يصدر عن المكلف من جرائم وما يستحقه عليها من عقوبة، ويقصد بها حفظ حياة الناس وأموالهم وأعراضهم وحقوقهم وتحديد علاقة المجني عليه بالجاني وبالأُمّة، ومن هذه الأحكام:

وجوب القصاص في القتلى قال – عز وجل –﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[4].

وإقامة حد الحرابة على المفسدين في الأرض، قال – سبحانه –﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1].

١- سورة البقرة. آية: ٢٨٢ – ٢٨٣.

٢- سورة النساء. آية: ٢٩.

٣- سورة المائدة. آية: ١.

٤- سورة البقرة. آية: ١٧٨.

وإقامة حد السرقة، قال – تعالى – ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

وإقامة حد الزنا، قال– جل شأنه – ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

وإقامة حد القذف قال – سبحانه – ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُواْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُواْ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3].

٤– أحكام المرافعات: وهي التي تتعلق بالقضاء والشهادة واليمين، ويقصد بها تنظيم الإجراءات لتحقيق العدل بين الناس.

ومن هذا قوله – عز وجل – ﴿ وَلَا تَكْتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[4]. **وهذا في أداء الشهادة**

وفي إقامة العدل المطلق، قال– جل شأنه – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[5].

وفي بيان لبعض مراحل التقاضي والتدافع بين الشهود قال – سبحانه – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى

١– سورة المائدة. آية: ٣٣.

٢– سورة المائدة. آية: ٣٨.

٣– سورة النور. آية: ٢.

٤– سورة النور. آية: ٤.

٥– سورة البقرة. آية: ٢٨٣.

٦– سورة المائدة. آية: ٨.

بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۙ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[1].

وكذلك قوله – تعالى – ﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾[2]. **وذلك في وجوب الإتيان بأربعة شهداء على جريمة الزنا لإقامة الحد، وإلا كان قذفاً يوجب الحد في ظهر من رَمَى.**

٥- **الأحكام الدستورية:** وهي التي تتعلق بنظام الحكم وأصوله، ويقصد بها تحديد علاقة الحاكم بالمحكوم، وتقرير ما للأفراد والجماعات من حقوق. وفي هذا السياق على سبيل المثال يأتي قوله – تبارك وتعالى – في الحاكمية ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ ﴾[3].

وقوله – سبحانه – عن شكل وكيفية الحكم ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾[4]. ومثله قوله – عز وجل – ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[5].

وفي الحكم بالعدل يأتي قوله – تعالى – ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾[6].

وفي المجتمع المسلم تأتي أخوة وولاية المؤمنين بالصدارة، قال – تعالى – ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ ﴾[7]. وقال – سبحانه – ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ ﴾[8].

١- سورة المائدة. آية: ١٠٦ – ١٠٨.

٢- سورة النور. آية: ١٣.

٣- سورة الأنعام من الآية ٥٧. ويوسف. من الآية: ٤٠ و ٦٧.

٤- سورة آل عمران. من الآية: ١٥٩.

٥- سورة الشورى. من الآية: ٣٨.

٦- سورة النساء. من الآية: ٥٨.

٧- سورة التوبة. من الآية: ٧١.

٨- سورة الحجرات. من الآية: ١٠.

وفي المساواة يقول – جل شأنه –﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[1].

وفي المسئولية الفردية، فلا يُسأل الإنسان عن تصرفات غيره قال – تعالى – ﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾[2].

٦- **الأحكام الدولية:** وهي التي تتعلق بمعاملة الدولة الإسلامية لغيرها من الدول، في السلم وفي الحرب ، وبمعاملة غير المسلمين في الدول الإسلامية.

ففي حفظ المواثيق قال – تعالى – ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَـٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ ۚ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَـٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[3].

وقوله – جل جلاله – ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَـٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[4].

وفي حالات نقض المواثيق يقول – جل شأنه – ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾[5].

وفي اختيار السلم يقول – سبحانه – ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ﴾[6].

١- سورة الأنعام. من الآية: ١٦٤. والإسراء /١٥، وفاطر/ ١٨، والزمر/ ٧، والنجم ٣٨.

٢- سورة الحجرات. آية: ١٣.

٣- سورة الأنفال. من الآية: ٧٢.

٤- سورة التوبة. آية: ٤.

٥- سورة الأنفال. آية: ٥٥ – ٥٨.

٦- سورة الأنفال. من الآية: ٦١.

وعن معاملة غير المسلمين وأنواعهم قال – تعالى – ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1].

٧- **الأحكام الاقتصادية والمالية:** وهي التي تتعلق بتنظيم الموارد والمصارف، ويقصد بها تنظيم العلاقات المالية بين الأغنياء والفقراء وبين الدول والأفراد، منها: قوله – تعالى – ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[2].

وقوله – سبحانه – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3]. وقال – سبحانه – ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[4]. وقال – جل وعلا – ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[5].

وقال – تعالى – ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾[6].

وقوله – جل شأنه – ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ

١- سورة الممتحنة. آية: ٨ – ٩.

٢- سورة التوبة. آية: ٦٠.

٣- سورة البقرة. آية: ٢٧٨ – ٢٨٠.

٤- سورة النحل. آية: ١٤

٥- سورة الأنعام . آية: ١٤١

٦- سورة الملك. آية: ١٥

وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1].

وبعد هذا التطواف السريع بتعريف القرآن، والبيان لبعض صفاته، ثم الوقوف مع الأغراض التي اشتملت عليه آياته العظيمة ونظمه الكريم، من خير الدنيا وتنظيمها، وبيان القواعد العامة للحياة التي يرضاها الله – تعالى – لعباده في مختلف الوجهات، سواء كانت العلاقة بين العبد وخالقه – سبحانه – أو بين العباد بعضهم بعضاً، يتبقى لنا مطلب ضروري، هو الأهم في بيان حجية القرآن العظيم، وأنه المصدر الرئيس، والأساس لجميع الأحكام في دولة الإسلام.

المطلب الرابع: حجية القرآن الكريم

القرآن الكريم هو المصدر الرئيس، والأول للحكم وسياسة الأمة في دولة الإسلام ، جاءت فيه الأحكام الكلية، والمبادئ الأساسية، والقواعد الجامعة، التي يحتاج إليها كل حكم رشيد، في أي زمان ومكان.

قال الإمام الشاطبي – رحمه الله –: " إن الكتاب قد تقرر أنه كلية الشريعة وعمدة الملة ، وينبوع الحكمة ، وآية الرسالة ، ونور الأبصار والبصائر ، وأنه لا طريق إلى الله سواه ، ولا نجاة بغيره ، ولا تمسك بشيء يخالفه ، وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه ؛ لأنه معلوم من دين الأمة ، وإذا كان كذلك ؛ لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة وطمع في إدراك مقاصدها ، واللحاق بأهلها ، أن يتخذه سميره وأنيسه ، وأن يجعله جليسه على مر الأيام والليالي نظرا وعملا "[2].

١- سورة الأنفال. آية: ٤١.

٢- الشاطبي، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي، الموافقات. ٤ / ١٤٤. دار ابن القيم، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م

"وقد أجمع المسلمون على أن القرآن الكريم حجة في كل ما جاء به بلا ريب" [1].

يخضع لتوجيهه العاملون، وينقاد لأحكامه وشرائعه الحكام والملوك والمصلحون، تتابعت على هذا المعنى الجليل آي الذكر الحكيم. ومن هذا:

- قوله – سبحانه – ﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [2].

وفي الآية: أن القرآن العظيم، كتاب مبارك، كثير خيره، غزيرة فوائده، فما من خير إلا وقد دعا إليه ورغب فيه، وما من شر إلا وقد نهى عنه وحذر منه، وذكر الحكم والمصالح من وراء ذلك، فالواجب على البشر أن يستجيبوا لأمر ربهم:{ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ } **التزموا ما يأمر به، وانتهو عما ينهى عنه، ولا تخالفوا له أمرا** فإنكم إن اتبعتموه نِلْتُم رحمة ربكم في الدنيا والآخرة .

- وقوله – عز وجل – ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[3]. فأبان الله – تعالى – في هذا الكتاب العزيز عن أركان الدين ، من الشرائع والشعائر، وكل ما يحتاج إليه العباد لصلاح معاشهم في الدنيا، والفوز بالآخرة، فهو مبين في هذا القرآن، أتم تبيين بأوضح الألفاظ، وأجلى المعاني ، ..... " **فلما كان هذا القرآن تبيانا لكل شيء صار حجة الله على العباد كلهم**. فانقطعت به حجة الظالمين وانتفع به المسلمون فصار هدى لهم يهتدون به إلى أمر دينهم ودنياهم، ورحمة ينالون به كل خير في الدنيا والآخرة. فالهدى ما نالوه به من علم نافع وعمل صالح "[4].

- وقوله – سبحانه – ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾[5]. " يعني: نزل عليك القرآن بِالْحَقِّ لا شك فيه،... يصدق ما بَيْنَ

١- تيسير أصول الفقه ص / ٩٣. بتصرف.

٢- سورة الأنعام. آية: ١٥٥ .

٣- سورة النحل. آية: ٨٩ .

٤- تفسير السعدي. ص / ٦١٤ .

٥- سورة آل عمران. آية: ٣ – ٤.

يَدَيْهِ من الكتب المنزلة، بما أخبرتْ به وبشرتْ، من إرسال محمد صلى الله عليه وسلم، وإنزال القرآن العظيم عليه... {وَأَنزلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ} قبل القرآن هُدًى لِلنَّاسِ في زمانهما ، {وَأَنزلَ الْفُرْقَانَ} وهو **الفارق بين الهدى والضلال، والحق والباطل، بما يذكره ويقرره الله تعالى من الحجج والبراهين القاطعة، وقال قتادة والربيع بن أنس: الفرقان هاهنا القرآن** "[1].

وبمثل هذا المعنى من مجيء القرآن نهراً جارياً بالحقائق، متدفقاً بالصدق، جاءت الآيات منها:

- قوله – سبحانه – ﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾[2].

" يقول تعالى ذكره: وبالحق أنزلنا هذا القرآن: **نأمر فيه بالعدل والإنصاف والأخلاق الجميلة، والأمور المستحسنة الحميدة، وننهى فيه عن الظلم والأمور القبيحة، والأخلاق الردية، والأفعال الذّميمة**"[3].

وقوله: " { وَبِالْحَقِّ نزلَ } أي: ووصل إليك -يا محمد -محفوظًا محروسًا، لم يُشَب بغيره، ولا زِيدَ فيه ولا نُقص منه، بل وصل إليك بالحق، فإنه نزل به شديد القُوى، الأمين المكين المطاع في الملأ الأعلى"[4].

- ومثل معنى ما سبق قوله – تعالى –﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾[5]. وقوله – سبحانه – ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ ﴾[6].

- وقوله – تعالى –﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[7]. وقوله – سبحانه –﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ

١- تفسير القرآن العظيم. ١ / ٤٥٩. بتصرف كبير .

٢- سورة الإسراء. آية: ١٠٥.

٣- جامع البيان. ٧ / ٥٢٧٤. بتصرف.

٤- تفسير القرآن العظيم. ٣ / ٩٤.

٥- سورة الزمر. آية: ٤١.

٦- سورة الشورى. آية: ١٧.

٧- سورة آل عمران. آية: ٢٣.

ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[1]. وقوله – سبحانه – ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[2]. وقوله – تعالى – ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[3]. وقوله – جل وعلا – ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[4].

وفي الآيات أنه – تعالى – جعل **القرآن العظيم حجة على الخلق، حكماً يفصل في المنازعات، ويقضي بينهم في الخصومات، فلا يخرج المُعْرِض عن الحكم بما أنزل الله، عن واحدة من هذه الدركات المظلمة، من الفسوق، والظلم، والكفران**، ولا شك أن أعظم ما أنزله الله – تعالى – هو القرآن الكريم، الذي **جمع من التشريع أكمله، وأيسره، ومن التوجيه أبينه، وأرفعه**، فاستحق المنزلة الجليلة، والهيمنة على ماسبقه في التنزيل، من التوراة والإنجيل.

- كما جاء في قوله – جل وعز –: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[5].

فلا مناص لحاكم، ولا خِيَرَة لعامل مع حكم الله، مع القرآن العظيم، وأمَّا ما سواه فهوىً متبع، وفتنة مُضِلَّة، وجاهلية عمياء.

١- سورة النساء. آية: ١٠٥.

٢- سورة المائدة. آية: ٤٤.

٣- سورة المائدة. آية: ٤٥.

٤- سورة المائدة. آية: ٤٧.

٥- سورة المائدة. آية: ٤٨ – ٥٠.

- وقولـــه – تعـــالى –﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1].

ومعنى الآيتين: كيف لي أن أتخذ حاكما غير الله، وهو الذي أنزل **القرآن مفصَّلاً، مبيِّناً فيه أصول الدين، وفروعه، والأحكام الشرعية، من الحلال والحرام، ، بياناً شافياً رائقاً. ..** صدقا في الأخبار، وعدلا في الأمر والنهي. فلا أصدق من أخباره، ولا أعدل من أوامره ونواهيه، وكلماته محفوظة، فلا يمكن تغييرها، ولا اقتراح أحسن منها.

- وقولـــه – ســـبحانه –﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2].

والآية تحذير للأمة أن تسلك مسالك أهل الأهواء، **وقد أغناهم الله – تعالى – بما أنزل إليهم، من القرآن العظيم وما فيه من الشريعة الكاملة، والأمر التام؛ ولذلك فاتباعه واجب، والتقيد به لازم،** فهو الحجة الباقية، والصراط المستقيم.

ومن استقرأ آيات القرآن، وتتبع ما جاء به من الأحكام، يجد أنه فصَّل الأمور التي فيها صيانة الأنفس، والأعراض، والأموال تفصيلاً شافياً، وحدد لها حدوداً مرسومة. وأما الأمور التي علم – سبحانه – أنها تدور مع الزمن، وتختلف باختلاف الأمم، والأحوال؛ فقد رسم الله – تعالى – لها الخطوط الرئيسة، وترك تفصيلها، ليتخذ الناس في كل عصر وزمان ما يتفق ومصالحهم في حدود ما أنزله من كتاب، وما بينه الرسول – صلى الله عليه وسلم – من أحكام.

١- سورة الأنعام. آية: ١١٤ – ١١٥.

٢- سورة الجاثية. آية: ١٨.

في نهاية هذا المبحث الجليل، نخلص إلى أن القرآن الكريم هو هِبةُ الله تعالى لعباده المؤمنين، وسبب عِزِّهم. قال – تعالى – ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[1]. وقال – جل وعز – ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾[2]. والذكر هنا: **الشرف، والسؤدد، والعز، والرفعة**[3].

وحين تفخر الأمم بالأعراف، والتقاليد المستقرة لديهم، بفعل تجاربهم على مر السنين، في الحكم والسياسة، يباهي المسلمون العالم جميعاً، بالمصدر الأول، والمرجعية الرئيسة للحكم، والسياسة ، بالقرآن العظيم، هذا النظم الرباني، والتوجيه الإلهي، الذي أتمه وأكمله الله للناس، ورضيه الله للبشرية حتى يقوم الناس لرب العالمين. قال – سبحانه – ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[4]. **وإذا كان القرآن الكريم، هو المرجعية العظمى، والأولى، للحكم، وسياسة الأمة، في دولة الإسلام، فقد اشتمل الكتاب العظيم على بيان المرجعيات الأخرى، وأمر بها، وحث على التزامها، وبيَّن ما احتوته من التشريع، والأحكام، والتوجيهات النافعة، الهادية للحياة الرشيدة**. ومن هذه المرجعيات **السنة النبوية المشرفة** على صاحبها أتم الصلوات والتسليمات، وهي موضوع مبحثنا التالي، وبالله أستعين.

١- سورة الأنبياء. آية: ١٠.

٢- سورة الزخرف. آية: ٤٤.

٣- جامع البيان. ٧ / ٥٦٧٣ ، تفسير القرآن العظيم. ٣ / ٢٣٥. ، وتفسير السعدي. ص / ٧١٧ بتصرف.

٤- سورة المائدة. آية: ٣.

المبحث الثاني

السنة النبوية المطهرة

المطلب الأول: تعريف السُّنَّة لغةً واصطلاحاً

■ **تعريف السُّنَّة لغةً** [1] : (**وَالسَّنَنُ**) الْوَجْهُ مِنْ الْأَرْضِ، والطريقة، والمثال. وَفِيهِ لُغَاتٌ أَجْوَدُهَا بِفَتْحَتَيْنِ، وَالثَّانِيَةُ بِضَمَّتَيْنِ، وَالثَّالِثَةُ وِزَانُ رُطَبٍ. و(**سَنَنُ الطَّرِيقِ**) مُثَلَّثَةً وبِضَمَّتَينِ : نَهْجُهُ، وجِهَتُهُ، وَيُقَالُ: تَنَحَّ عَنْ سَنَنِ الطَّرِيقِ، وَعَنْ سَنَنِ الْخَيْلِ. أَيْ: عَنْ طَرِيقِهَا، وَفُلَانٌ عَلَى سَنَنٍ وَاحِدٍ. أَيْ: طَرِيق. ويقال: بَنَوْا بيوتهم على سنن واحد. أي: مثال، وطريقة و(**السُّنَّة**) الطريقة، والسيرة، حميدة أو ذميمة، وسنة الله: حكمه في خليقته. (**ج**) سنن. وكلمة (**السُّنَّة**) وردت في القرآن الكريم في مواضع متعددة بهذا المعنى ، بمعنى العادة والطريقة المستمرة مثل: قوله – تعالى – : ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴾ [2].

وقوله – سبحانه – ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [3]. فاقتبس المسلمون كلمة السنة من القرآن وخصصوها في الاستعمال بسنة الرسول – صلى الله عليه وسلم –.

■ **تعريف السُّنَّة اصطلاحاً**: تتعدد تعريفات السنة، بتعدد الفنون التي يُسْتخدم فيها المصطلح، ومن ذلك :

١– مستفاد بتصرف كبير من: القاموس المحيط. باب النون فصل السين، ص/ ١٥٥٨. والمصباح المنير. كتاب السين مع النون وما يثلثهما. ص / ٣٤٨، المعجم الوسيط. باب السين مع النون. ص / ٤٥٦.

٢– سورة الإسراء. آية: ٧٧.

٣– سورة فاطر. آية: ٤٣.

عند الأصوليين، (السُّنَّة) هي: " ما صدر عنه – صلى الله عليه وسلم – من قول، أو فعل أو تقرير" [1]. ويزيد التعريف عند المحدثين (أو صفة)

وفي أصول الدين، (السُّنَّة) هي: ما يقابل البدعة، فيقال: هذا صاحب سنة، وذاك صاحب بدعة.

وعند الفقهاء، (السُّنَّة) " هي ما واظب النبي – صلى الله عليه وسلم – عليها مع الترك أحيانا، فإن كانت المواظبة المذكورة على سبيل العبادة؛ فسنن الهدى، ويقال لها السنة المؤكدة، كالأذان، والإقامة، والسنن الرواتب، والمضمضة، والاستنشاق. فسنة الهدى ما يكون إقامتها تكميلا للدين وهي التي تتعلق بتركها كراهة أو إساءة .

وإن كانت على سبيل العادة، فسنن الزوائد، وإقامتها حسنة، ولا يتعلق بتركها كراهة، ولا إساءة، كأذان المنفرد، والسواك، والأفعال المعهودة في الصلاة، وفي خارجها، وكَسِيَرِ النبي – صلى الله عليه وسلم – في قيامه وقعوده ولباسه وأكله وتاركها غير معاقب "[2].

والسنة المقصودة ببحثنا هذا هي السنة الأصولية التي تأتي على ثلاثة أنواع:

" الأول: **السنة القولية** وهي ما صدر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – من قول غير القرآن، مثل قوله – صلى الله عليه وسلم – : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه »[3].

الثاني: **السنة الفعلية** وهي ما صدر عنه – صلى الله عليه وسلم – من فعل، مثل ما نقل من صفة وضوئه وصفة صلاته، والترك مع قيام الداعي بمثابة الفعل.

الثالث: **السنة التقريرية** وهي ما نقل من سكوت النبي – صلى الله عليه وسلم – عن قول قيل أو فِعْل فُعِلَ في حضرته، أو عَلِمَ به ولم ينكره "[1].

١– السلمي، د عياض بن نامي، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله.. ص / ٧٢ . مخطوط، بكلية الشريعة بالرياض

٢– الجرجاني الإمام علي بن محمد. التعريفات.. ص / ١٦١. ط الأولى. ١٤٠٥هـ. دار الكتاب العربي– بيروت.

٣– سنن الترمذي. كتاب الزهد. باب ١١ (بدون عنوان) حديث رقم / ٢٣١٧. وقال الألباني: صحيح

وعلى هذا؛ فسنة النبي – صلى الله عليه وسلم – تشمل حياته كلها، ودعوته بأكملها، وجهاده أجمعه، وتتجلى فيها جميع أحكام الإسلام، في جميع المجالات، والأحوال البشرية.

ومن مطلب التعريف، ننتقل – بعون الله تعالى – إلى مطلب آخر حول حجية السنة النبوية المطهرة في القرآن الكريم.

المطلب الثاني: حجية السنة النبوية المطهرة في القرآن الكريم

من أعظم واضحات القرآن، وأكبر مُسَلَّمات الوحي الإلهي العظيم، هذه المكانة الجليلة، والمنزلة الخطيرة، لنبي الأمة – صلى الله عليه وسلم – وما أتى به من الهدى، ودين الحق.

ولقد كانت حياته – صلى الله عليه وسلم – التطبيق العملي للقرآن الكريم، تمثلت في سيرته شرائع الإسلام جميعها، دينية، واجتماعية، وسياسية، واقتصادية، وعسكرية، ضرب المثل لكل من اقتدى به على الصراط المستقيم، يُقَوِّم المعْوَجَّ، ويرشد الضال، ويعلم الجاهل، ويقيم حدود الله، يقضي بين المتنازعين، حاكماً بما أنزل الله، قال – جل وعلا – ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

وقال – سبحانه – ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[3].

وقال – تعالى – ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[4].

١- السلمي، د عياض بن نامي، أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله.. ص / ٧٢ . مخطوط، بكلية الشريعة بالرياض

٢- سورة آل عمران. آية: ١٦٤.

٣- سورة الجمعة. آية: ٢.

٤- سورة الشورى. آية: ٥٢.

ومن هنا كانت أقواله وأفعاله – صلى الله عليه وسلم – بياناً للحق، حجة على الخلق، وكانت طاعته طاعةً لله – تعالى –، وحكمه حكماً لله – سبحانه –، لا خيرة لأحد مع حكم الله – تعالى –، وحكم رسوله – صلى الله عليه وسلم – .

ويمكن لنا أن نضع عناوين كاشفة لهذه المنزلة الفريدة لحجية السنة في القرآن الكريم ومنها:

الأول: وجوب الإيمان به – صلى الله عليه وسلم –

وما يقتضيه من تصديقه، ونصرته، وتعظيمه، ولم يكن هذا مقتصراً على معاصريه، ومن بعدهم فقط، بل كان الإيمان به واجباً على من كان قبله أيضاً، نقرأ قوله – تعالى – :

- ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِىۖ قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَاۚ قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾[1].

ونبه الحق – تبارك وتعالى – إلى ضرورة الإيمان والتصديق به – صلى الله عليه وسلم – ، وبما جاء به، من الهدى والنور فقال – تعالى – في غير موضع من التنزيل الحكيم:

- ﴿ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾[2].
- ﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾[3].
- ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4].

١- سورة آل عمران. آية: ٨١.

٢- سورة الحديد. آية: ٧.

٣- سورة التغابن. آية: ٨.

٤- سورة النور. آية: ٦٢.

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾[1].
- ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴾[2].
- ﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٨ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾[3].

ومن لاحظ هذا الاقتران بين الإيمان به – سبحانه – والإيمان برسوله ومصطفاه، علم يقيناً بوجوب اتباعه، وحجية سنته – صلى الله عليه وسلم – في التشريع.

وأعظم ما يكون الإيمان به حين تكون حياة المؤمنين به على وفق سنته – صلى الله عليه وسلم – تهتدي بأقواله وأعماله، كما أخبر بذلك ربنا وأرشدنا إليه في الآيات التالية:

- ﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾[4].
- ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴾[5].
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾[6].
- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ عَظِيمٌ ﴾[7]. بهذا الاقتداء والأدب والتعظيم يتعامل المؤمنون ويتصلون بسنة نبيهم الكريم – صلى الله عليه وسلم – فيتحقق لهم صدق الإيمان، والثبات على الإسلام.

١- سورة النساء. آية: ١٣٦.

٢- سورة الأعراف. آية: ١٥٨.

٣- سورة الفتح. آية: ٨ – ٩.

٤- سورة آل عمران. آية: ٣١.

٥- سورة الأحزاب. آية: ٢١.

٦- سورة الحجرات. آية: ١.

٧- سورة الحجرات. آية: ٣.

ومن دلائل حجية السنة النبوية المطهرة، ما تواتر لفظاً ومعنىً في آي الذكر الحكيم، من وجوب طاعته – صلى الله عليه وسلم – وبيانه فيما يلي:

الثاني: وجوب طاعته – صلى الله عليه وسلم –

والقرآن العظيم مليء بالأمر بطاعته – صلى الله عليه وسلم – في مواضع شتى، ومنها: قوله – تعالى – في الآيات التالية:

- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1].
- ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾[2].
- ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[3].
- ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴾[4].
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴾[5].
- ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[6].
- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴾[7].
- ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[8].
- ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[1].

١- سورة النساء. آية: ٥٩.

٢- سورة النساء. آية: ٨٠.

٣- سورة النور. آية: ٥٤.

٤- سورة النور. آية: ٥٦.

٥- سورة التغابن. آية: ١٢.

٦- سورة المائدة. آية: ٦٧.

٧- سورة الأنفال. آية: ٢٠.

٨- سورة الأنفال. آية: ٤٦.

- ﴿ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ﴾[2].
- ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[3].

وهذا بيان ليس بعده بيان، بأن طاعته – عليه الصلاة والسلام – من طاعة ربه ومولاه، وفيه برهان ساطع، ودليل قاطع على حجية السنة النبوية؛ لأن طاعة الرسول – عليه الصلاة والسلام – لا تتحقق إلا إذا عُمِلَ بقوله، واقْتُدِيَ بفعله.

ومجيء الأمر بطاعة الرسول – عليه الصلاة والسلام – مقرونة بطاعة الله – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ تأتي في سياق الوحي الإلهي تعظيماً لطاعته – عليه الصلاة والسلام – وأنها مأمور بها، وتأكيدها فيما استقل به من التشريع. قال الشاطبي – رحمه الله – " **ما قُرن فيه طاعةُ الرسول – عليه الصلاة والسلام – بطاعة الله دال على أن طاعة الله ما أمر به ونهى عنه في كتابه، وطاعة الرسول – عليه الصلاة والسلام – ما أمر به ونهى عنه مما جاء به مما ليس في القرآن** "[4].

كما جاءت الآيات تحدد للعاملين وجهتهم، وتنير للسالكين مسالك صلاحهم في الدنيا، وطرق فلاحهم في الآخرة، وذلك باتباعه، والانقياد لحكمه – عليه الصلاة والسلام – . قال – جل وعلا –:

- ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[5].
- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[6].

١- سورة النور. آية: ٥٤.

٢- سورة الأحزاب. آية: ٣٣.

٣- سورة المجادلة. آية: ١٣.

٤- الموافقات. ٤ / ١٠ .

٥- سورة الحشر. آية: ٧.

٦- سورة النساء. آية: ٦٤ – ٦٥.

- ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[1].

هذه الآيات براهين قطعية على حجية السنة النبوية بما اشتملت عليه من التشديد على لزوم طاعته – صلى الله عليه وسلم – والانقياد لحكمه، ورد الأمور إليه للحكم والبيان.

وبهذا البيان القرآني الفريد، ذي المعاني الواضحات، والألفاظ المحددات، صارت طاعته – صلى الله عليه وسلم – فريضة راسخة، لا يمكن تصور إيمان مسلم بدونها، ولا يمكن الفوز في الأولى والآخرة، إلا باتباعه وموافقة هديه، والانقياد لحكمه – صلى الله عليه وسلم –.

ومن دلائل حجية السنة النبوية المطهرة، ما تواتر باللفظ والمعنى في آي الذكر الحكيم من تحريم عصيانه ومخالفة أمره – صلى الله عليه وسلم – وبيانه فيما يلي:

الثالث: تحريم عصيانه ومخالفة أمره – صلى الله عليه وسلم –

يسهل على الباحث، الراصد، ملاحظة الآيات، التي حذرت من مخالفة توجيهات الرسول، وعصيان أوامره – صلى الله عليه وسلم –، وهي في حقيقتها اللغوية والشرعية تأكيد على حجية السنة النبوية، وتشديد على وجوب طاعته – صلى الله عليه وسلم –.

وأبانت الآيات – كذلك – عن المصير الوخيم البئيس، لهؤلاء المعرضين عن الإيمان به، المشاقِّين، المحادين للرسول – صلى الله عليه وسلم –، وبهذه المعاني جرى البيان الإلهي، حاسماً، حازماً، وفي الآيات التالية مجموعٌ بتلك التوجيهات، والتحذيرات. قال – سبحانه وتعالى – :

- ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴾[2].

١- سورة النساء. آية: ٨٣.

٢- سورة النساء. آية: ٤١ – ٤٢.

- ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[1].
- ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[2].
- ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾[3].
- ﴿ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾[4].
- ﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[5].

ولقد جعلت الآيات مُشاقة الرسول – مخالفته ومعاداته – من أعظم الكفر وكبائر الذنوب التي توجب غضب الله وعقابه في الدنيا قبل الآخرة. قال – تعالى –

- ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[6].
- ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[7].
- ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[8].
- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾[9].
- ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[10].

١- سورة النور. آية: ٦٣.
٢- سورة الأحزاب. آية: ٣٦.
٣- سورة الجن. آية: ٢٣.
٤- سورة الفتح. آية: ١٣.
٥- سورة النساء. آية: ١٤.
٦- سورة النساء. آية: ١١٥.
٧- سورة الأنفال. آية: ١٣.
٨- سورة التوبة. آية: ٢٩.
٩- سورة محمد. آية: ٣٢.
١٠- سورة الحشر. آية: ٤.

- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[1].
- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾[2].
- ﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[3].

إن هذا التحذير الإلهي، والوعيد الرباني، للمخالفين المعاندين، والمعرضين عن السنة، والطاعنين فيها، إنه لأكبر وأجل الأدلة، على حجية السنة كلِّها، وأنها من الضرورات الدينية، التي لا يجادل فيها مسلم، قال الإمام الشوكاني " **إن ثبوت حجية السنة المطهرة، واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا من لا حظ له في الإسلام** "[4].

وفي مطلبنا التالي، نتوقف قليلاً عرضاً لبيان أوجه وأحوال السنة النبوية مع القرآن الكريم.

المطلب الثالث: بيان أوجه السنة النبوية مع القرآن العظيم

تتبوأ السنة النبوية المطهرة منزلة عظيمة في الإسلام ، فهي التطبيق العملي لما في كتاب الله ، وقد جاءت السنة لبيان القرآن، وشرح أحكامه، وبسط أصوله، وكشف غوامضه ، وجلاء معانيه ، وشرح ألفاظه . كما أنها استقلت بأحكام لا توجد في كتاب الله ، ولم ينص عليها فيه ، وهي في جميع وجوهها لا تخرج عن قواعده وغاياته ، والسنة متى تثبت عن المعصوم – صلى الله عليه وسلم –، فهي تشريع، وهداية، وواجبة الاتباع لا محالة.

١– سورة المجادلة. آية: ٥.

٢– سورة المجادلة. آية: ٢٠.

٣– سورة النور. آية: ٤٨ – ٥٠.

٤– إرشاد الفحول. ص / ٣٣.

وسُنَّتُه – صلى الله عليه وسلم – هي الوحي الثاني بعد القرآن. يقول – تعالى – ﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾[1].

ويقول – صلى الله عليه وسلم – (**أَلاَ إِنِّى أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ** ... الحديث)[2].

وقد تلخصت رسالته – صلى الله عليه وسلم – في البلاغ الصادق عن ربه قال – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾[3].

وقال – تعالى – ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾[4].

وقال – تعالى –﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴾[5].

وفي مطلبنا هذا نتناول كيف كانت السنة النبوية قسيمة للكتاب العزيز، وأصلاً ثانياً لا انفصال له عن الأصل الأول. حدَّدت هذا الارتباط ورسمته آي الذكر الحكيم.

وقد أوضح العلماء أوجه السنة المطهرة مع القرآن الكريم، وأنها على ثلاثة أنواع:

النوع الأول :أن تأتي مؤكدة لآيات وأحكام القرآن الكريم

ومثاله: أركان الإسلام فقد جاء الأمر بها في القرآن في قوله – تعالى – ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[6]. وقوله – سبحانه – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾[1]. وقوله – تعالى – ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ ﴾[2].

١– سورة النجم. آية: ١ – ٤.

٢– رواه أحمد. مسند الشاميين من حديث المقدام بن معد يكرب. برقم / ١٧٣٠٦ ، وأبو داود. كتاب السنة. باب لزوم السنة. رقم الحديث / ٤٦٠٤. عن المقدام بن معد يكرب أيضاً.

٣– سورة المائدة. آية: ٦٧.

٤– سورة المائدة. آية: ٩٩.

٥– سورة المائدة. آية: ٦٧.

٦– سورة النور. آية: ٥٦.

وأكدتها سنة النبي – صلى الله عليه وسلم – كما في حديث ابن عمر رضي الله عنهما : (**بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والحج وصوم رمضان**) [٣].

النوع الثاني: أن تأتي مبينة لكتاب الله

كما حدَّد الحق – تعالى – وظيفة رسوله ومصطفاه – صلى الله عليه وسلم – في قوله – جل شأنه – ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[٤].

وقال – سبحانه – ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٥].

والمعنى: " وأنزلنا إليك يا محمد هذا القرآن تذكيراً للناس، و(لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ) أي: لتُعرِّفهم ما أنزل إليهم في هذا الكتاب، من الأحكام، والوعد، والوعيد، بقولك، وفعلك، لعلمك بمعنى ما أنزل عليك، وحرصك عليه، واتباعك له، فتُفَصِّل لهم ما أجمل، وتُبيِّن لهم ما أشكل، وهذا شامل لتبيين ألفاظه وتبيين معانيه "[٦]. " **فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له،** بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي، رحمه الله: **كل ما حكم به رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مما فهمه من القرآن** "[٧]. **وبيان السنة للقرآن يتمثل في عدة جوانب ، منها:**

١- سورة البقرة. آية: ١٨٣.

٢- سورة آل عمران. من الآية: ٩٧.

٣- رواه البخاري. كتاب الإيمان. باب {دعاؤكم } إيمانكم. حديث رقم / ٨. ، ورواه مسلم. كتاب الإيمان. باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام. حديث رقم / ١٦. كلاهما عن ابن عمر رضي الله عنهما.

٤- سورة النحل. آية: ٤٤.

٥- سورة النحل. آية: ٦٤.

٦- جامع البيان. ٦ / ٤٩٨٤، وأحكام القرآن. ١٠ / ٧٢، تفسير القرآن العظيم. ٢ /٧٥٢، تفسير السعدي. ص/ ٦٠٦. بتصرف كبير.

٧- مقدمة تفسير القرآن العظيم ١ / ٧

١- بيان مجمله:

ومن ذلك أن الله – تعالى – أمر بأداء الصلاة، وفرض الزكاة، وكتب الصوم، وشرع الحج، وغير ذلك مما وقع مجملاً في القرآن الكريم، **فبينت السنة كل ذلك بفعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وتعليمه لأصحابه،** ويُظْهِر حرصه الشديد على هذا، ومن ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم – (**صلوا كما رأيتموني أصلي**) [١]. وقوله – صلى الله عليه وسلم – في الحج: (**لتأخذوا عني مناسككم**) [٢]. فلم يترك – عليه الصلاة والسلام – من الدين أمراً مجملاً إلا وجلاَّه لنا.

٢- تخصيص عامه:

فقد وردت في القرآن أحكام عامة جاءت السنة بتخصيصها ، ومنها النص على عدد من البيوع المحرمة، كبيع العينة، وبيع بيعتين في بيعة، وبيع ما ليس عندك، تخصيصاً لها من قوله – تعالى – ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ ﴾[٣].

٣- تقييد مطلقه:

فقد ورد في القرآن آيات مطلقه جاءت السنة بتقييدها ، ومن ذلك قوله – تعالى – ﴿ **وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا** ﴾[٤]. هكذا جاءت (اليد) مطلقة، فجاءت السنة بتقييد موضع القطع من مفصل الكف اليمنى.

٤- توضيح المُشْكِل:

١- رواه البخاري. كتاب الأذان باب الأذان للمسافر. حديث رقم / ٦٣١. عن جابر بن عبد الله

٢- رواه أحمد. مسند المكثرين. عن جابر بن عبد الله. حديث رقم / ١٤٢٦٧ و١٤٤٧٢، ورواه النسائي. أبواب الرمي. باب رمي الجمرة راكبا. حديث رقم / ٤٠٦٨. عن جابر أيضاً.

٣- سورة البقرة. من الآية: ٢٧٥.

٤- سورة المائدة. آية: ٣٨.

فكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يوضح للصحابة ما يُشْكِل عليهم ، من معاني القرآن، ومن ذلك ما جاء عن عبد الله ابن مسعودرضي الله عنه أنه قال: (لما نزلت هذه الآية ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾[1] . شق ذلك على أصحاب النبي – صلى الله عليه وسلم –، وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم ؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: **إنه ليس بذاك ، ألا تسمعون إلى قول لقمان** : ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾[2])[3]. فأزال – صلى الله عليه وسلم – هذا الإشكال ببيان أن المقصود هنا أعظم أنواع الظلم وهو الشرك بالله عز وجل.

النوع الثالث :أن تأتي السنة بأحكام زائدة

فتوجب أمراً سكت القرآن عن إيجابه ، أو تحرم أمراً سكت القرآن عن تحريمه ، ومن أمثلة هذا النوع الأحاديث التي تحرم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها ، وتحريم الحمر الأهلية ، وكل ذي ناب من السباع ، وغير ذلك. وهذا النوع وإن كان زائداً على ما في القرآن إلا أنه تشريع من رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ، وهو مما يجب طاعته فيه، ولا تحل معصيته، امتثالاً لما أمر الله به من طاعة رسوله – صلى الله عليه وسلم – طاعة مستقلة، قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾[4].

وقال – سبحانه – ﴿ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ ﴾[5]. فتكرار لفظ (وأطيعوا) في الآيتين دلالة واضحة على ما تأَسَّس، من طاعته – صلى الله عليه وسلم – فيما أتي به من التشريع، والأحكام مما ليست في كتاب الله – تعالى –.

١– سورة الأنعام. آية: ٨٢.

٢– سورة لقمان. آية: ١٣.

٣– رواه البخاري. كتاب التفسير. باب { لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم } حديث رقم / ٤٧٧٦، ورواه مسلم. كتاب الإيمان. باب صدق الإيمان وإخلاصه. حديث رقم / ١٢٤. كلاهما عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

٤– سورة النساء. آية: ٥٩.

٥– سورة النور. آية: ٥٤.

وعلى ما سبق بيانه، من وجوب الإيمان به، وطاعته، والتحذير من مخالفة أمره – صلى الله عليه وسلم –؛ نتبين منزلة السنة النبوية المطهرة، ومكانتها في التشريع الإسلامي، وحجيتها في الشريعة الإسلامية، وأنه لا يمكن الاستغناء عنها بحال من الأحوال ، بل لا يمكن أن يفهم الكتاب بمعزل عن السنة ، وأي دعوة تهدف لفصل أحدهما عن الآخر، إنما هي دعوة ضالة تهدم الدين، وتعمل لتقويض أركانه، والقضاء عليه من أساسه.

ومن حجية السنة النبوية، ننتقل للمبحث التالي عن المرجعية الثالثة للحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم وهي الإجماع. ومن الله أستمد العون والعلم والفهم.

المبحث الثالث

الإجماع

المطلب الأول: تعريف الإجماع لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الإجماع لغة: قال الزبيدي: " والإِجْمَاعُ ، أَي إِجْمَاعُ الأُمَّةِ : الإِتِّفَاقُ ، يقال : هذا أَمْرٌ مُجْمَعٌ علَيْه : أَيْ مُتَّفَقٌ عليه . وقالَ الرّاغِبُ : أَي اجْتَمَعَتْ آرَاؤُهُمْ علَيْه ..... وقالَ ابنُ عَبّادٍ : الإِجْمَاعُ : الإِعْدادُ يُقَالُ : أَجْمَعْتُ كَذَا ، أَيْ أَعْدَدْتُهُ . قُلْتُ : وهُوَ قَوْلُ الفَرّاءِ "[1]. " (أجمع) القومُ: اتفقوا، .... والأمرَ: أحكمه، وفي التنزيل العزيز {فأجمعوا كيدكم ثم ائتوا صفا }والأمرَ وعليه: عزم وفي الحديث (من لم يجمع الصيام من الليل فلا صيام له). (الإجماع) اتفاق الخاصة أو العامة على أمر من الأمور، وعد ذلك دليلا على صحته، ويقصره فقهاء الإسلام على اتفاق المجتهدين في عصر على أمر ديني، ويعد أصلا من أصول التشريع "[2].

فخلاصة المعنى اللغوي للإجماع هو: **الإعداد، والعزم، والاتفاق.**

وهذا المعنى الأخير (**الاتفاق**) هو مقصود بحثنا من تعريف الإجماع اصطلاحاً.

ثانياً: تعريف الإجماع اصطلاحاً: قال العلماء الإجماع هو: " اتفاق مجتهدي الأمة الإسلامية في عصر من العصور على حكم شرعي "[3].

ويزيد بعضهم قيدا في التعريف بإضافته إلى ما بعد وفاة النبي – صلّى الله عليه وسلّم – فيقول : " اتفاق مجتهدي هذه الأمة **بعد النبي صلّى الله عليه وسلّم** على حكم شرعي "[1].

١- تاج العروس. باب العين المهملة. فصل الجيم مع العين ٢٠ / ٤٦٢

٢- المعجم الوسيط. باب الجيم ص / ١٠٣

٣- أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله. ص / ٨٨

وهذا القيد معروف لدى الجميع وهو غير داخل في حقيقة الإجماع ولكنه بيان للوقت الذي يكون فيه الإجماع المعتد به.

ومن بيان تعريف الإجماع، لغةً، واصطلاحاً، ننتقل لبيان أنواع، وشروط الإجماع.

المطلب الثاني: أنواع الإجماع وشروطه: [٢]

أولاً: أنواع الإجماع: ينقسم الإجماع باعتبارات متعددة أهمها :

أ- أقسامه من جهة تصريح المجتهدين بالحكم، وله من هذه الجهة ثلاثة أقسام:

١- **الإجماع الصريح:** وهو ما صرح فيه أهل الإجماع بالحكم، وهذا نادر الوجود، لكن لا يخرج عن الإمكان ولا يقال بامتناعه.
٢- **الإجماع السكوتي:** وهو أن يصرح بعض المجتهدين بالحكم ويشتهر قوله ويسكت الباقون عن إنكاره.
٣- **الإجماع الضمني:** وهو المستنتج من اختلاف أهل العصر على قولين أو أكثر، فيدل ذلك على اتفاقهم على أن ما خرج عن تلك الأقوال باطل.

ب- تقسيمه من حيث قوة دلالته، وله بهذا الاعتبار قسمان :

١- **قطعي،** وهو ما تحقق فيه شرطان وهما : التصريح بالحكم من أهل الإجماع، ونقله إلينا بطريق قطعي.
٢- **ظني،** وهو ما اختل فيه أحد هذين الشرطين.قطعي وظني.

١- الأصول من علم الأصول. ص / ٦٤

٢- مستفاد من أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله. ص / ٨٩. وما بعدها، والأصول من علم الأصول ص / ٦٥ وما بعدها.

واعلم أن الأمة لا يمكن أن تجمع على خلاف دليل صحيح صريح غير منسوخ، فإنها لا تجمع إلا على حق، وإذا رأيت إجماعاً تظنه مخالفاً لذلك، فانظر فإما أن يكون الدليل غير صحيح، أو غير صريح، أو منسوخاً، أو في المسألة خلاف لم تعلمه.

ثانياً: شروط الإجماع:

للإجماع شروط منها:

١- أن يثبت بطريق صحيح، بأن يكون إما مشهوراً بين العلماء أو ناقله ثقة واسع الاطلاع .

٢- أن لا يسبقه خلاف مستقر، فإن سبقه ذلك فلا إجماع، لأن الأقوال لا تبطل بموت قائليها.

ولا يشترط – على رأي الجمهور – انقراض عصر المجمعين فينعقد الإجماع من أهله بمجرد اتفاقهم، ولا يجوز لهم ولا لغيرهم مخالفته بعد، لأن الأدلة على أن الإجماع حجة ليس فيها اشتراط انقراض العصر، ولأن الإجماع حصل ساعة اتفاقهم فما الذي يرفعه؟

هذا ما تيسر لي كتابته هنا عن أنواع وشروط الإجماع، وقد عمدتُ إلى الاختصار حتى لا نخرج عن مقصود البحث، ومحل إطالة النفس في هذه المسائل كتب الأصول، ففيها ذكر الخلاف، والأقوال المتعددة، والترجيح بينها.

ويبقى معنا في هذا المبحث مطلب عزيز، هو اللب، والمقصود، وأقصد به الكلام حول حجية الإجماع، وكونه مرجعاً للحكم في أمة القرآن، ومجتمعات الإسلام بعد الكتاب العزيز والسنة النبوية المطهرة.

المطلب الثالث: حجية الإجماع: [1]

" يُعَدُّ الإجماع المصدر الثالث من مصادر التشريع الإسلامي المتفق عليها بين جمهور أهل السنة، ولا يضر من خالف فيه من الشواذ، فبعد وفاة النبي – صلّى الله عليه وسلّم – ظهرت قضايا جديدة في عصر الصحابة – رضي الله عنهم – كانت سببا في نشوء فكرة الإجماع عن طريق الاجتهاد الجماعي احتياطا في الدين، فكان الخليفة الراشديُّ يجمع كبار الصحابة للتشاور معهم فيما لم يجد فيه حكما في كتاب الله، وسنة رسوله، ومن خلال هذا المجلس يصدر حكما إجماعيا يتصف بصفة الإلزام بالنسبة لبقية المسلمين.

ولا يكون هذا الحكم معتمدا على الرأي، بل لابد له من أن يستند إلى المصدرين السابقين(الكتاب والسنة)، وقد نقلت إلينا كتب الفقهاء الكثير من الأحكام التي تستند إلى الإجماع، فلا يضر مخالفة المخالف في حجيته، فالمنقول والمعقول من الأدلة يخاصمه، فإنما تستمد هذه الأمة أصالتها وخلودها من كتاب الله الكريم، وسنة رسوله الأمين، وإجماع علماء المسلمين من ذوي العقل الراجح والإدراك لفقه الواقع والتقدير لمصلحة الناس في كل عصر"[2].

والإجماع حجة لأدلة عديدة، جاء بها التنزيل الحكيم من رب العالمين، منها:

- قال – تعالى –: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [3].

قال أبو إسحاق الشيرازي – رحمه الله –: " وجه الدليل أنه – سبحانه – جعلهم وسطًا ، والوسطُ هم العدول . وإذا كانوا عدولا شهداء، وَجَبَ قبول ما يشهدون به؛ لأنه لا يجوز أن يجعلهم شهداء على الناس، ثم لا يكون قولهم حجة، كما يقول في شهود القاضي، **فإنه إذا**

١– مستفاد من حجية الإجماع بين النفي والإثبات.ص / ٩١. وما بعدها، وأصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله. ص / ٨٩. وما بعدها، والأصول من علم الأصول ص / ٦٤ وما بعدها.

٢– الجبوري، د سلمان عبود. حجية الإجماع بين النفي والإثبات. مجلة الفتح. العدد٤١. ص ٨٩. أب / ٢٠٠٩

٣– سورة البقرة. الآية: ١٤٣.

زكاهم وعدلهم وشهدوا عنده بحق، يجب عليه قبول قولهم والحكم به، فصار قولهم حجة يقضي بها ؛ كذلك ههنا..... "[1].

- وقوله – تعالى –: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾[2].

تُعْتَبَرُ هذه الآية الكريمة عمدة ما تمسك به الإمام الشافعي، وغيره في إثبات حجية الإجماع.

قال السبكي: " وأول من تمسك بها إمامنا الشافعي – رضي الله عنه – قال الشيخ أبو إسحاق في شرح اللمع: روي أن الشافعي قرأ القرآن ثلاث مرات حتى وجد هذه الآية. **ووجه الحجة، أنه – تعالى – جمع بين مشاقة الرسول – صلى الله عليه وسلم – واتباع غير سبيل المؤمنين في الوعيد** في قوله: ﴿ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَ ﴾ فيلزم تحريم اتباع غير سبيل المؤمنين، لأنه لو لم يكن محرماً؛ لما جمع بينه وبين المحرم، الذي هو مشاقة الرسول – صلى الله عليه وسلم – ...

وإذا حرم اتباع غير سبيلهم وجب اتباع سبيلهم لأنه لا يخرج عنهما أي لا واسطة بينهما وإن لزم اتباع سبيلهم ثبت حجية الإجماع لأن سبيل الشخص ما يختار من قول أو فعل واعتقاد "[3].

- وقوله تعالى: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[4].

١– الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي. اللمع في أصول الفقه ص / ٤٧. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٢– سورة النساء. الآية: ١١٥.

٣– السبكي، علي بن عبد الكافي. الإبهاج شرح المنهاج.. ٢/٣٥٣–٣٥٤. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٠٤هـ

٤– سورة آل عمران :الاية١١٠.

قال شيخ الإسلام أبو العباس أحمد بن تيمية: " **ولهذا كان إجماع هذه الأمة حجة**؛ لأن الله تعالى أخبر أنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر، فلو اتفقوا على إباحة محرم أو إسقاط واجب أو تحريم حلال أو إخبار عن الله تعالى أو خَلْقِهِ بباطل؛ لكانوا متصفين بالأمر بمنكر والنهى عن معروف من الكلم الطيب والعمل الصالح، بل الآية تقتضى أن ما لم تأمر به الأمة فليس من المعروف، وما لَمْ تَنْه عنه فليس من المنكر ,وإذا كانت آمرةً بكل معروف، ناهيةً عن كل منكر، فكيف يجوز أن تأمر كلُّها بمنكر أو تنهى كلُّها عن معروف؟ "[1].

- قولـه تعـالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[2]. **وجـه الدلالـة**: " انـه تعـالى شَـرَطَ التنـازع في وجـوب الـرد إلى الكتـاب والسـنة، والمشـروط علـى العـدم عنـد عـدم الشرط،وذلك **يدل على انه إذا لم يوجد التنازع، فالاتفاق على الحكم كاف عن الكتاب والسنة،ولا معنى لكون الإجماع حجة سوى هذا** "[3].

- قوله تعالى: ﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾[4]. **والدليل في الآية**: " أنه تعالى نهى عن التفرق،**ومخالفة الإجماع تفرق،فكان منهيا عنه، ولا معنى لكون الإجماع حجة سوى النهي عن مخالفته** "[5].

ويؤيد هذه المعاني القرآنية في حجية الإجماع، ما قد ورد من أحاديث كثيرة عن النبي محمد – صلّى الله عليه وسلّم – تدل على عصمة الأمة من الخطأ إذا اجتمعت على أمر من الأمور

١– الحراني، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية. مجموع الفتاوى. ٢٨ / ١٢٥. الطبعة الثالثة. دار الوفاء – مصر.
١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.

٢– سورة النساء :الآية/ ٥٩.

٣– الآمدي، علي بن محمد. الإحكام في أصول الأحكام. ١/٢٧٧. دار الكتاب العربي – بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٠٤هـ

٤– سورة آل عمران. الآية:١٠٣.

٥– الإحكام في أصول الأحكام. ١/ ٢٧٦.

، واشتهر ذلك على لسان جماعة من الصحابة – رضي الله عنهم – الأمر الذي يدل على التواتر المعنوي في عصمة ألأمة من الخطأ فيما اتفقت عليه كلمتهم.

لذلك قال الإمام الغزالي : " تظاهرت الرواية عن رسول الله– صلّى الله عليه وسلّم –بألفاظ مختلفة مع اتفاق المعنى في عصمة هذه الأمة من الخطأ "[1]. ومن هذه الأحاديث : قوله – صلّى الله عليه وسلّم – : (**إن الله لايجمع أمتي أو قال أمة محمد – صلّى الله عليه وسلّم – على ضلالة، ويد الله مع الجماعة، ومن شذ شذ في النار**)[2].

وقوله – صلّى الله عليه وسلّم –: (**لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**) [3].

وقوله – صلّى الله عليه وسلّم –: (**عليكم بالجماعة و إياكم والفرقة ،فان الشيطان مع الواحد ،وهو من الاثنين ابعد ، ومن أراد بحبوبه الجنة فليلزم الجماعة**) [4].

إلى غير ذلك من الأحاديث التي وردت في هذا المعنى ، وتدل هذه الأحاديث بمجموعها على عصمة الأمة من الخطأ .

وقد تواترت هذه الأحاديث تواتراً معنوياً، بحيث لم يعد يقدح في حجيتها كونها منقولة بطريق الآحاد، فإنها بمجموعها تفيد التواتر المعنوي، في إيجاب المصير إلى عصمة الأمة من الخطأ، إذا اجتمعت على أمر من الأمور، وليس الإجماع إلا هذا.

١– المستصفى :١/١٧٥.

٢– سنن الترمذي.كتاب الفتن، باب ماجاء في لزوم الجماعة: حديث برقم/٢١٧٢. عن ابن عمر

٣– البخاري. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب قول النبي قوله صلى الله عليه وسلم (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق) برقم / ٦٧٦٧. عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ، مسلم.كتاب الإمارة. باب قوله صلى الله عليه وسلم (لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق) برقم / ٥٠٥٩. عن ثوبان رضي الله عنه.

٤– سنن الترمذي.كتاب الفتن. باب ماجاء في لزوم الجماعة. برقم / ٢١٧٠. من حديث ابن عمر عن أبيه

قال الحافظ ابن كثير: (**قد ضَمِنَت – الأحاديثُ – للأمة العصمة في اجتماعهم على الخطأ تشريفا لهم وتعظيما لنبيهم ﷺ** وقد وردت أحاديث صحيحة كثيرة في ذالك ، ومن العلماء من ادعى تواتر معناها)[1].

وقال الإمام أبو المظفر السمعاني: " **إذا تَعَرَّفْنَا حال الأمة؛ وجدناهم متفقين على تضليل من يخالف الإجماع وتخطئته،** وَلَمْ تَزَل الأمة **يَنْسُبون المخالفين للإجماع إلى المروق وشَقّ العصا ومحادة المسلمين** ومشاقتهم، ولا يَعُدُّون ذلك من الأمور الهيِّنَة، بل يَعدُّون ذلك من عِظَام الأمور، وقبيح الارتكابات، **فَدَلَّ أنهم عَدُّوا إجماع المسلمين حجةً يَحْرُم مخالفتها،** .. وهو المعتمد "[2].

ومن الكلام حول إثبات حجية الإجماع ننتقل – بعون الله وفضله – إلى مبحثنا الأخير في هذا الفصل وهو مبحث الاجتهاد، آخر المرجعيات في الحكم وسياسة الأمة من القرآن الكريم.

١- تفسير ابن كثير:١/٥٥٥ .

٢- السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى التميمي الحنفي ثم الشافعي.قواطع الأدلة في الأصول. ١ / ٤٦٩. الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ١٤١٨هـ/١٩٩٩م.

المبحث الرابع

الاجتهاد

آثرت أن يكون الاجتهاد لا القياس هنا مرجعاً من مرجعيات الحكم وسياسة الأمة لأن مجال الاجتهاد أوسع وأعم من مجال القياس، فهو يشمل القياس وغيره كالمصالح المرسلة، والاستصحاب، والاستحسان وغيرها من أصول التشريع الإسلامي

المطلب الأول: تعريف الاجتهاد لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الاجتهاد لغة:

" **الجَهْدُ** : **الطاقَةُ والمَشَقَّةُ** ويُضَمُّ (**جُهْد**) . واجْهَدْ جَهْدَكَ : ابْلُغْ غايَتَكَ . وجَهَدَ كمَنَعَ، جَهَدَ نفسه، ورجل مجهود، وجاء مجهوداً ...، وأصابه جهد: **مشقة**. قال رؤبة:

أشكو إليك شدة المعيش ... **وجَهْدَ أعوامٍ** نتفن ريشي... نتف الجُبَارَى عن قَرَا رَهيش

واجتهد في الأمر، وجهد جهده، واجتهد رأيه، وجاهد العدو.... وبلغ جهده ومجهوده أي **طاقته**، ... وجهاداك أن تفعل كذا أي جهدك وغايتك...." [1].

وقال الزبيدي – رحمه الله –: " **جهد** : (الجَهْدُ) ، بالفتح : (الطَّاقَةُ) والوُسْع ، ويُضَمّ . والجَهْد بالفتح فقط : (المِشَقَّة) . قال ابن الأَثير : قد تكرَّرَ لفْظ الجَهْد والجُهْد في الحديث ، وهو بالفتح المِشقَّة ، وقيل المبالغةُ والغاية . وبالضّمّ : الوُسْعُ والطّاقَةُ ، وقيل : هما لغتانِ في الوُسْع والطّاقَة ، فأَمّا في المِشقّة والغايةِ فالفتحُ لا غَيرُ "[2].

١- القاموس المحيط. باب الدال. فصل الجيم. ص/٣٥١. وأساس البلاغة. كتاب الجيم . ص/٦٧ دار المعرفة – بيروت – لبنان

٢- تاج العروس. باب العين المهملة. فصل الجيم مع الدال المهملة ٧ / ٥٣٤.

ثانياً: تعريف الاجتهاد اصطلاحاً:

تعددت وتقاربت عبارات الأصوليين في تعريفه، فقال بعضهم: " الاجتهاد هو: بذل الوُسع في إدراك حكمٍ شرعيٍّ، بطريق الاستنباط، ممن هو أهلٌ له "[1]. وقال بعضهم: " بذل الوسع في النظر في الأدلة الشرعية لاستنباط الأحكام الشرعية "[2].

ويشتمل هذا التعريف على ضوابط يمكن لنا بيانها في النقاط التالية:

- أن الاجتهاد لا يكون إلا من عالم فقيه، يمكنه النظر بالأدلة، ويعرف طرق الاستدلال والاستنباط منها.
- أن الاجتهاد قد ينتج عنه القطع بالحكم، أو الظن به، وذلك ما تضمنه قيد (لاستنباط)
- وتضمن قيد (لاستنباط) أيضاً أن الاجتهاد إنما هو رأي المجتهد، ولا يسمى تشريعاً، فإن التشريع هو الكتاب والسنة، وأما الاجتهاد فهو رأي الفقيه، أوحكم الحاكم

وبعد بيان تعريف الاجتهاد لغة، واصطلاحاً، ننتقل لمطلب جديد، حول منزلة وأهمية الاجتهاد ،كمرجعية من مراجع الحكم في دولة الإسلام، التي شاد دعائمها القرآن الكريم، وهو المطلب التالي:

١- أصول الفقه الذي لا يسع الفقيه جهله. ص / ٣٠٥.

٢- الجيزاني، محمد بن حسين معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة.. ص / ٣٠٥. ط ١ جمعية إحياء التراث الإسلامي ٢٠٠٥م

المطلب الثاني: منزلة وأهمية الاجتهاد :

مَرَّ معنا أن الله – عز وجل – جعل كتابه الكريم، مع سنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – المصدرين الأصيلين، والمرجعين الرئيسين لشرائع الإسلام، في العقائد، والعبادات، والمعاملات، وسائر الأحكام، قال – تعالى – ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[1].

وقال – سبحانه – ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾[2].

ورغم هذه المرجعية الربانية، لم يَلْغِ اللهُ – سبحانه – عقولَ هذه الأمة، ولم يعطل مداركها، ولم يجمد أفكارها، كما لم يتركها تائهةً متحيرة أمام النوازل، والمستجدات على مر العصور، بل دعاها وحفزها إلى التفكير الدائم في أحوال الإنسان، وثنايا الكون وتفاصيل الحياة؛ لفتح آفاق الإبداع وإعمال العقول، والتنبيه على آيات الله الكونية، ولإثراء المجالات العلمية، والاستفادة من هذا الخلق والتسخير في تنمية المجتمعات، وفيما يعود بالنفع والفائدة على الخلق أجمعين.

يقول تعالى ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3].

ويقول سبحانه ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾[4].

ويقول تعالى ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[5].

١- سورة النساء. آية:١٠٥.

٢- سورة الحشر. آية:١٣.

٣- سورة العنكبوت آية: ٢٠.

٤- سورة الأعراف آية: ١٨٥.

٥- سورة الروم آية: ٨ .

ويقول سبحانه ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[1].

ويقول جل جلاله ﴿ أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴾[2].

وقد أشار خِتامُ كثيرٍ من آيات القرآن إلى أنه لا ينتفع بهذه الآيات إلا العاقلون والعلماء المتأملون، والمفكرون، حثاً على الفكر والتأمل والتدبر والاجتهاد في جميع المجالات لتحيى الأمة عزيزة غنية بمفكريها ومجتهديها، ومن ذلك:

قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾[3].

وقوله عز وجل ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾[4].

وقوله سبحانه ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾[5].

وقد كان لهذا التوجيه القرآني أعظم الأثر في توجه الكثيرين من أبناء هذه الأمة إلى ساحة التدبر، والتأمل، والاجتهاد، مما أثمر للأمة كثيراً من العلماء الأفذاذ، في شتى الميادين، ومنها ميدان الاجتهاد لاستنباط الأحكام الشرعية التي لم يُنص عليها صراحة في الكتاب والسنة.

ولا تنقطع حاجة الأمة إلى الاجتهاد والمجتهدين أبداً؛ وذلك لأن نصوص الوحيين محصورة ثابتة، بخلاف الوقائع والأحداث، فإنها متغيرة، متجددة، لا تتوقف، في أي زمان ومكان.

وفي مطلبنا التالي نبين – بعون الله – دلائل مشروعية الاجتهاد من الكتاب والسنة.

١- سورة الحج آية: ٦٥

٢- سورة لقمان آية: ٢٠

٣- سورة النحل آية: ١١

٤- سورة النحل آية: ١٢

٥- سورة المؤمنون آية: ١٢- ١٤

المطلب الثالث: مشروعية الاجتهاد :

● تعددت الأدلة في القرآن والسنة النبوية على مشروعية الاجتهاد، والحاجة إليه، وجاء فيهما الدعوة للتفقه، والحض على التدبر والاعتبار، فقال – تعالى – ﴿ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴾[1]. وقال – سبحانه – ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾[2]. وقال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةٗۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾[3].

ولا يكون التفقه والتفهم والتبين إلا بالنظر في الأدلة، واستيفاء الحجة، وبذل الوسع في استعراض أدلة الشريعة من الكتاب والسنة، لتحقيق المناطات[4] ، وتنقيحها، وتخريجها، والتعرف على الأحكام غير المنصوص عليها، وهذه هي عملية الاجتهاد على الحقيقة، عملية تثمر علماً، وفهماً، وحكماً.

● والاجتهاد طريق حتميٌّ للوقوف على مرامي الشريعة، وسبيل الحفاظ على خلودها، وصلاحيتها، ومرونتها، ولذلك فتح الإسلام باب الاجتهاد على مصراعيه أمام علماء الأمة الأكفاء، المتخصصين في علوم الكتاب والسنة، وذلك لتغطية حاجات الناس في الحوادث والوقائع المستجدة بتجدد المصالح وتغير الأعراف وتقدم الزمن.

قال – تعالى – ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[5].

١– سورة الحشر. من آية: ٣

٢– سورة ص. من الآية: ٢٩

٣– سورة التوبة. الآية: ١٢٢

٤– المناط: هو موضع التعليق والإلصاق، ويراد به عند الأصوليين العلة. الحنبلي صفي الدين قواعد الأصول ومعاقد الفصول. ص / ٨٢. ط الأولى ١٤٠٩هـ. من مطبوعات جامعة أم القرى – مكة المكرمة ، ومعالم أصول الفقه ص / ٤٧٣.

٥– سورة النساء. آية:٨٣

- ووجود العلماء والمجتهدين ضرورة، من ضروريات الأمة المسلمة، ولذلك نجد في القرآن التوجيه الإلهي لعامة المؤمنين بسؤال العلماء فيما يعرض لهم من المسائل. قال – سبحانه – ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[1].

ونجد كذلك ما يحكيه لنا – سبحانه – عن اجتهاد داود وسليمان عليهما السلام فيما يعرض عليهما من حوادث؛ للوصول لحكم سديد. قال – عزَّ مِنْ قائل – ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ٧٨ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[2].

قوله تعالى: ﴿ إِذۡ يَحۡكُمَانِ ﴾ دل على أن داود وسليمان عليهما السلام حكما في هذه الحادثة معًا، كل منهما بحكم مخالفٍ للآخر، **ولو كان وحيًا لما ساغ الخلاف، فدل على أن الحكم الصادر من كل منهما اجتهاد،** ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَ ﴾ إذ خص الله سليمان عليه السلام بتفهيمه الحكم الصحيح، ولو كان الحكم نصًا لاشترك في فهمه الاثنان عليهما الصلاة والسلام.

- وقوع الاجتهاد منه – صلى الله عليه وسلم – في وقائع كثيرة منها:

أ- أنه أخذ الفداء في أسرى بدر، ولذلك عاتبه الله فقال – سبحانه – ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ ﴾[3].

" والخلاصة: كان الأولى قتل الأسرى، وكان أخذ الفداء باجتهاد النبي – صلى الله عليه وسلم –، وكل اجتهاد عرضة للخطأ والصواب، لكن اجتهاد المصطفى لا يُقَرُّ فيه على الخطأ "[4].

١- سورة النحل. من الآية: ٤٣.، وسورة الأنبياء. من الآية: ٧.

٢- سورة الأنبياء. الآية: ٧٨ – ٧٩.

٣- سورة الأنفال. الآية: ٦٧، وقد أفاض الطبري في جامع البيان، ووفَّى مقام التوضيح ٥ / ٣٨٩٤ – ٣٩٠١

٤- الزحيلي، د وهبة التفسير المنير.. ٥ / ٤١٥. دار الفكر – دمشق. الطبعة الثامنة. ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥

ب- إذنه للمتخلفين يوم تبوك، وتنبيه القرآن على أنه خلاف الأولى فقال - تعالى -﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[1].

"يقول - تعالى - لرسوله - صلى الله عليه وسلم - سامحك الله، وغفر لك ما أجريت ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾ في التخلف ﴿ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾بأن تمتحنهم ، ليتبين لك الصادق من الكاذب، وتعرف من يستحق العذر، ممن لا يستحق ذلك"[2].

ج- اجتهاده - صلى الله عليه وسلم – في دعوته، وتقديمه لأحد أكابر قريش في حديثه، وإقباله عليه، في الوقت الذي جاءه ابن أم مكتوم - رضي الله عنه – سائلاً، فنزل الوحي يرتب الأولويات فقال - سبحانه - ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴾[3].

د- بل إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم –كان مأموراً بالاجتهاد ومشاورة الصحب الكرام في الأمر، فقال - سبحانه - ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[4].

ولو كان الأمر وحياً لما تشاوروا، لكنه الاجتهاد وبذل الوسع في الوصول للحكم المناسب في المسألة النازلة بهم.

هـ- ومن أجلى أمارات الاجتهاد، وإقرار النبي لاجتهاد أصحابه، ما كان من الحباب بن المنذر - رضى الله عنه - حينما نزل الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه قبل بئر بدر؛ فجاء إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال: (يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه، ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأي

١- سورة التوبة . الآية: ٤٣.

٢- تفسير السعدي. ص / ٤٥٦.

٣- سورة عبس. الآية: ١ - ١٠.

٤- سورة آل عمران. الآية: ١٥٩.

والحرب والمكيدة» قال: يا رسول الله فإن هذا ليس بمنزل، فانهض يا رسول الله بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم-أي جيش المشركين- فننزله، ونغور ما وراءه من الآبار، ثم نبني عليه حوضًا، فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فأخذ النبي – صلى الله عليه وسلم – برأيه، ونهض بالجيش حتى أقرب ماء من العدو، فنزل عليه، ثم صنعوا الحياض، وغوروا ما عداها من الآبار)[1].

و- ومن ذلك قوله – صلى الله عليه وسلم – لسعد بن معاذ – رضي الله عنه – لما حكَّمه في بني قريظة: «لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل»[2].

ز- وقد حفظ لنا الصحابة – رضي الله عنهم – قوله – صلى الله عليه وسلم – : «إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر»[3].

وفي نهاية هذا المبحث، نقف عند شروط صحة الاجتهاد، وهذا هو مطلبنا التالي:

المطلب الرابع شروط الإجتهاد [4]:

إن شروط الإجتهاد التي قررها الأصوليون فيها بعض الاختلاف من حيث الزيادة والنقصان ويمكن لنا أن نقسم هذه الشروط أقساماً ثلاثة حتى تشمل كل ما ذكر فيها بالإيجاز.

القسم الأول الشروط العامة في المجتهد:

وهي شروط التكليف وهي: الإسلام، والبلوغ، والعقل

١- تهذيب سيرة ابن هشام. عبد السلام هارون ص/ ١٥٦. ط دار البحوث العلمية – الكويت ، الرحيق المختوم. صفي الرحمن المباركفوري. ص / ٢١١. دار المؤيد. الرياض ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

٢- رواه مسلم. كتاب الجهاد والسير. باب جواز قتال من نقض العهد، وجواز إنزال أهل حصن على حكم حاكم عادل أهل للحكم رقم الحديث / ١٧٦٩. عن هشام بن عروة عن أبيه، وأبهم اسم الصحابي ولعلها أمنا عائشة رضي الله عنها.

٣- رواه البخاري. كتاب الاعتصام. باب أجر الحاكم إذا اجتهد برقم / ٧٣٥٢. ، ورواه مسلم. كتاب الأقضية. باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد برقم / ١٧١٦. كلاهما عن عمرو بن العاص رضي الله عنه

٤- مستفاد وبتصرف كبير من : معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة ص / ٤٧٥، ومذكرة في أصول الفقه.محمد الأمين المختار الشنقيطي. ص / ٣٧٠. الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م. مكتبة ابن تيمية – القاهرة

القسم الثاني الشروط التأهيلية في المجتهد: وتتلخص فيما يلي:

معرفة الكتاب، والسنة، ومواضع الإجماع، ومعرفة اللغة، ومعرفة أصول الفقه، ومعرفة مقاصد الشريعة

القسم الثالث الشروط اللازم توفرها في المسألة المجتهد فيها

أولاً: أن تكون هذه المسألة غير منصوص أو مجمع عليها.

فشرط المسألة التي يُصار إلى الاجتهاد فيها، ألا يوجد نص، أو إجماع عليها، فكل اجتهاد يكون ساقطًا مع وجود النص. قال الخطيب البغدادي: «باب في سقوط الاجتهاد مع وجود النص»[١]. وقال ابن القيم: " فصل في تحريم الإفتاء والحكم في دين الله بما يخالف النصوص، **وسقوط الاجتهاد والتقليد عند ظهور النص**، وذكر إجماع العلماء على ذلك "[٢]. وقد كان هذا منهج الصحابة رضي الله عنهم النظر في الكتاب ثم السنة ثم الإجماع ثم الاجتهاد.

ثانيًا: أن يكون النص في هذه المسألة –إن ورد فيها نص– محتملاً، قابلاً للتأويل، كقوله – تعالى – ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾[٣]. " فلفظ القرء في اللغة يستخدم بمعنى الحيض، وأيضاً بمعنى الطهر بعد الحيض"[٤]. ، وبكل من المعنيين قالت طائفة من الصحابة وأهل العلم"[٥]. وقوله – صلى الله عليه وسلم – يوم الأحزاب: (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة) فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى

١– البغدادي، أحمد بن علي. الخطيب الفقيه والمتفقه ١ / ٤٠٥. الطبعة الأولى. دار ابن الجوزي. السعودية. ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.

٢– ابن القيم ، محمد بن أبي بكر. إعلام الموقعين عن رب العالمين ٢ / ٨٨. الطبعة الأولى. دار ابن الجوزي. السعودية.١٤٢٣ هـ

٣– سورة البقرة. آية : ٢٢٨.

٤– المعجم الوسيط. باب القاف مع الراء والهمزة. ص / ٧٢٢.

٥– الشافعي، الإمام محمد بن إدريس. الرسالة.. باب الاختلاف. ص / ٥٦٢ – ٥٧١. بتصرف من سياق رائع، ممتع رشيق من إمام الأئمة في عرض المسألة وتناول أقوال أهل العلم، والترجيح بين الآثار. الطبعة الثانية. دار التراث. القاهرة. ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

نأتيها. وقال بعضهم: بل نصلي، لم يُرِد منا ذلك. فذُكِر ذلك للنبي – صلى الله عليه وسلم – فلم يعنف واحداً منهم)[1]. قال الشافعي: "كل ما أقام الله به الحجة في كتابه أو على لسان نبيه منصوصًا بينًا لم يحل الاختلافُ فيه لمن علمه، وما كان من ذلك يحتمل التأويل ويدرك قياسًا، فذهب المتأول أو القايس إلى معنى يحتمله الخبر أو القياس، وإن خالفه فيه غيره، لم أقل: إنه يضيق عليه ضيق الخلاف في المنصوص "[2].

وقد استدل الشافعي على أن الاختلاف مذموم فيما كان نصه بينًا بقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾[4].

ثالثًا: ألا تكون المسألة المجتهد فيها من مسائل العقيدة، فإن الاجتهاد والقياس خاصان بمسائل الأحكام . قال ابن عبد البر: " قال أبو عمر: لا خلاف بين فقهاء الأمصار وسائر أهل السنة – وهم أهل الفقه والحديث – في نفي القياس في التوحيد وإثباته في الأحكام، إلا داود بن علي بن خلف الأصبهاني ثم البغدادي ومن قال بقوله، فإنهم نفوا القياس في التوحيد والأحكام جميعاً "[5].

رابعًا: أن تكون المسألة المجتهد فيها من النوازل، أو مما يمكن وقوعه في الغالب والحاجة إليه ماسة. أما استعمال الرأي قبل نزول الواقعة والاشتغال بحفظ المعضلات والأغلوطات والاستغراق في ذلك، فهو مما كرهه جمهور أهل العلم واعتبروا ذلك تعطيلاً للسنن وتركًا لما يلزم الوقوف عليه من كتاب الله عز وجل ومعانيه.

١- رواه البخاري. كتاب المغازي. باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب. برقم / ٤١١٩. عن ابن عمر رض الله عنهما

٢- الرسالة. باب الاختلاف. ص / ٥٦٠.

٣- سورة البينة. آية: ٤.

٤- سورة آل عمران. آية: ١٠٥. الرسالة. ص / ٥٦١.

٥- جامع بيان العلم وفضله. ٢ / ٧٤.

وقد استدل الجمهور على ذلك بقوله – تعالى – ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾[1].

وكذلك قوله – صلى الله عليه وسلم – : (إن أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته)[2].

بهذه الشروط للمجتهد، والمسألة المجتَهَد فيها نختتم الكلام في هذا المبحث، بل في هذا الفصل، وننتقل منه بحول الله وقوته للفصل الخامس حول مبادئ الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم، وبالله أستعين.

١– سورة المائدة. آية: ١٠١.

٢– رواه البخاري. كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب ما يكره من كثرة السؤال وتكلف ما لا يعنيه. برقم / ٦٨٥٩. عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

الفصل الخامس

مبادئ الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم

الفصل الخامس
مبادئ الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم
المبحث الأول المساواة
المبحث الثاني العدالة
المبحث الثالث الشورى
المبحث الرابع الكرامة الإنسانية
المبحث الخامس الحرية
المبحث السادس الوحدة

المبحث الأول

المساواة.

المطلب الأول: المساواة قبل الإسلام

جاء دين الإسلام، والطبقية الاجتماعية تضرب بأطنابها في جميع أنحاء المعمورة، فلم تنج حضارة من حضارات ما قبل الإسلام منها، كالحضارة المصرية، أو الفارسية، أو الرومانية؛ إذ كان سائداً تقسيم الناس إلى طبقات اجتماعية، لكل منها ميزاتها وأفضليتها، أو على العكس من ذلك، تبعاً لوضعها الاجتماعي المتدني.

ولقد كانت التفرقة بين البشر في المجتمعات القديمة، تستند إلى الجنس واللون، والغنى والفقر، والقوة والضعف، والحرية والعبودية، وكانت طبقة الحكام ورجال الدين من الطبقات المميزة، وكان محرماً على أفراد الطبقة أن ينتقلوا منها إلى طبقة أعلى، حتى ولو كانت ملكاتهم تتيح لهم ذلك،بل إن بعض المجتمعات -كالمجتمع الهندي مثلاً- كان يعرف ما يسمى بطائفة المنبوذين.

وحين ذهبت أتلمس ما يؤيد هذه المعاني في كتاب الله – تعالى –وجدتها جليةً واضحةً، في قصص الأنبياء، والمرسلين، الذي قصه الله علينا في كتابه العزيز، فمنذ القدم يظهر هذا النفس الطبقي، والتمييز بين الناس، فنسمع عالياً متباهياً، أو قل مستبداً مستكبراً، صوت الملأ المستكبرين، أكابر القوم، وأشرافهم، وسادتهم، بينما نلمح الطبقات الدنيا تعاني الإقصاء والتهميش، ويسامون سوء العذاب، وصنوف القهر والاستعباد، وفي وقفات خاطفات نتوقف عند بعض هذه المشاهد:

ففي **قصة نوح – عليه السلام** –تعلو عند قومه المستكبرين النظرة الاستعلائية، وتنضح مواقفهم بطبقية عدوانية بغيضة، ويبدو في سياق تحديهم لنوح – عليه السلام – استهانتهم الشديدة بالفقراء، والطبقات الدنيا، واحتقارهم لهم، لدرجة أنهم يرفضون اتباع الحق الذي

جاء به رسولهم، لمجرد أن سارع هؤلاء الفقراء، والطبقات الدنيا في مجتمعهم إلى الإيمان بدعوة نوح – عليه السلام – .

ويصف لنا القرآن الكريم حوارهم مع نوح – عليه السلام– فيقول – عزَّ وجلَّ –﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴾[1] **ومثل هذا تماماً قوله - تعالى -** ﴿قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾[2] .

" فهاهم الْمَلأ أي: الأشراف، الرؤساء، رادين لدعوة نوح عليه السلام، كما جرت العادة لأمثالهم، ويعللون ذلك بأنه بشر، وما تبعه إلا الأراذلون السفلة، بزعمهم، وتبعوه من غير تفكر وروية، يعنون بذلك، أنهم ليسوا على بصيرة من أمرهم، ولم يعلموا أن الحق المبين تدعو إليه بداهة العقول، وبمجرد ما يصل إلى أولي الألباب، يعرفونه ويتحققونه، لا كالأمور الخفية،التي تحتاج إلى تأمل، وفكر طويل "[3].

وفي قصة صالح – عليه السلام – تظهر الطبقية المقيتة، في هذا الحوار بين الملأ المستكبرين – وهم الطبقة العليا الحاكمة المتسلطة — وبين غيرهم من العامة الذين لا يعتد بآرائهم ولا يؤبه لهم. قال الله – تعالى –﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾[4] .

وفي قصة موسى – عليه السلام – يحكي لنا القرآن عن حضارة الفراعنة المصريين، وتجبرهم على الخلق، وما وصلوا إليه من عُتُوٍ وغرور واستكبار، وتقسيمهم الناس شيعاً وطبقات، وطوائف متفرقة، يتصرفون فيهم بشهواته، وأهوائهم، وينفذون فيهم ما أرادوا من قهرهم،

١– سورة هود. آية: ٢٧

٢– سورة الشعراء. آية: ١١١ – ١١٣

٣– تفسير السعدي. ص / ٣٨٠. بتصرف كبير.

٤– سورة الأعراف. آية: ٧٥ – ٧٦

والسطوة والتسلط عليهم، ومن هذا ما تعرض له بنو إسرائيل من الاستضعاف والنكال، على يد فرعون وجنوده.

يقول – سبحانه – ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾[1].

وفي مشهد من مشاهد يوم القيامة، يحكي لنا القرآن عن تلاوم أصحاب النار، من الكافرين الظالمين، وأتباعهم من العبيد والمستضعفين، وتقاذفهم للتهم، ولعنهم بعضهم بعضاً، في سياق مهيب، وجدال صاخب بينهم، يبين تلك الحالة المزرية للبشرية الضالة، حين تنسى أصلها الواحد، وتستبد بها طبقية بغيضة، تُنسي المعاني الإنسانية الرشيدة.

قال الله – تعالى –﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾[2]

ومثله في بيان ما كانوا عليه من تقسيم الناس لسادة كبراء، وعبيد أشقياء قول الحق – تعالى– ﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾[3].

١– سورة القصص. آية: ٤ – ٥

٢– سورة سبأ. آية: ٣١ – ٣٣

٣– سورة الأحزاب. آية: ٦٦ – ٦٧

هكذا كانت تجري الأمور، وتقسم الشعوب، والأمم، طوائف، وطبقات، أغنياء، وفقراء، سادة وعبيد، بِيض ومُلَونين، أقوياء وضعفاء، حتى بزغ نور الإسلام، الذي أعاد للإنسانية كرامتها، وللبشرية رشدها، وهذا ما سنتناوله بالمطلب التالي وهو:

المطلب الثاني: المساواة بعد مجيء الإسلام

ما زالت هذه النظرة الطبقية التمييزية اللاإنسانية تعصف بحياة الناس جميعاً، حتى بُعث النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –، فإذا بكفار مكة وما حولها، وصناديد الكفر، يكررون تلك المشاهد الطبقية، فيطلبون من النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا أراد دعوتهم ، واستماعهم له؛ فلابد أن يخصص لهم مجلساً خاصاً، يكون لأكابرهم، وأشرافهم فقط، بعيداً عن الاختلاط بالعبيد والفقراء، أمثال بلال وصهيب وخباب – رضي الله عنهم – من جلساء النبي وأتباع دعوته – صلى الله عليه وسلم –، ولما كانت دعوة الإسلام تحديداً وتجديداً للمعاني العليا للإنسانية، كان الرد الإلهي الحاسم، متكفلاً بوأد هذه النغمة الطبقية من فوق سبع سموات، فنزل القرآن الكريم يخاطب النبي – صلى الله عليه وسلم –يقول ﴿ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

أي: لا تطرد عن مجالسك، أهل العبادة والإخلاص، رغبة في مجالسة غيرهم، لأنهم الصفوة من الخلق وإن كانوا فقراء، فإنهم الأعزاء في الحقيقة وإن كانوا عند الناس أذلاء.

" وكان سبب نزول هذه الآيات، أن أناسا من قريش، أو من أجلاف العرب قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: إن أردت أن نؤمن لك ونتبعك، فاطرد فلانا وفلانا، أناسا من فقراء الصحابة، فإنا نستحيي أن ترانا العرب جالسين مع هؤلاء الفقراء"[2].

١- سورة الأنعام. آية: ٥٢.

٢- تفسير ابن كثير. ٣ / ٢٣٢.، وتفسير السعدي. ص / ٢٥٧ – ٢٥٨. بتصرف كبير.

ومثل معناها هذا قوله – جلَّ شأنه – ﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾[1].

نعم أيها الناس، ويا أيها الأكابر والأشراف، لا تميز لكم، ولا أولوية لمكانتكم المزعومة، وشرفكم الموهوم، فدعوة الإسلام دعوة ربانية، لا تمييز فيها بين الخلق، فالكل مدعو لها، مرغوب في هدايته، مطموع في رشاده، لا يحرم منها أسود لسواده، ولا يخاطب بها سيد أبيض لسيادته، فالكل –كل العباد – مخاطبون مقصودون بشعائر وشرائع هذا الدين.

وحين قال هؤلاء الأكابر والسادة المزعومون مستنكرين مستكبرين ﴿ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾[2].رد القرآن عليهم حاسماً حازماً ﴿ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴾

فأحق الناس بوصف السفه، هؤلاء الذين اختاروا الضلالة على الهدى، والغيَّ على الرشاد، وحسبوا أن أنسابهم، وأموالهم، ومكاناتهم تفيدهم، أو تغني عنهم من الله شيئاً. وأما أهل الإيمان، فأعقل الناس، وأشرفهم وإن كانوا في الظاهر من فقراء الناس وضعفائهم؛ لأنهم اختاروا لأنفسهم الهدى والرشاد، وهذا هو معيار التفريق الرباني بين العباد وليس الأحساب والأنساب.

وبهذا النهج القرآني الجليل، وضع الإسلام لِبنات مبدأ عظيم يأتي في صدارة المبادئ الإنسانية وهو المساواة.

ولقد شاد القرآن الكريم دعائم هذا المبدأ الإنساني الرئيس من خلال عدة أساليب وطرق منها:

١– بيان أن أصل الإنسانية كلها واحد

١– سورة الكهف. آية: ٢٨.

٢– سورة البقرة. من الآية: ١٣.

جاء القرآن الكريم يخاطب الناس جميعاً، أبيضهم وأسودهم، فقيرهم وغنيهم، قويهم وضعيفهم، بلا فرق ولا تمييز، يردهم جميعاً لأصل واحد، لنفس واحدة، لا يقبل منهم أن يؤول حالهم إلى طبقات، وطوائف، وشِيَع، يستعبد القويُ الضعيفَ، ويقهر الغنيُ الفقيرَ.

يقول —سبحانه –﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾[1].

ويقول — تعالى – ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ﴾[2].

ويقول — سبحانه – ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾[3].

ويقول – سبحانه —﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾[4].

ويقول — تعالى – ﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[5].

تقرر هذه الآيات حقيقة الخلق، وأنهم خُلِقوا من نفس واحدة، " **واستقرار هذه الحقيقة في نفوس الخلق كان كفيلا باستبعاد الصراع العنصري، الذي ذاقت منه البشرية ما ذاقت، وماتزال تتجرع منه حتى اللحظة الحاضرة في الجاهلية الحديثة، التي تفرق بين الألوان،وتفرق بين العناصر، وتقيم كيانها على أساس هذه التفرقة، وتذكر النسبة إلى الجنس والقوم،وتنسى النسبة إلى الإنسانية الواحدة والربوبية الواحدة**"[6].

١- سورة النساء. آية: ١.

٢- سورة الأنعام. آية: ٩٨.

٣- سورة الأعراف. آية: ١٩٨.

٤- سورة الروم. آية: ٢٠.

٥- سورة الزمر. من الآية: ٦.

٦- تفسيرفي ظلال القرآن. ١ / ٥٧٤.

ويبين الحديث الشريف هذا الأصل في المساواة، فيقول النبي محمد – صلى الله عليه وسلم–: **(إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخْرَهَا بِالْآبَاءِ، مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ شَقِيٌّ، وَالنَّاسُ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ، لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ فَخْرَهُمْ بِرِجَالٍ أَوْ لَيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِدَّتِهِمْ مِنْ الْجِعْلَانِ الَّتِي تَدْفَعُ بِأَنْفِهَا النَّتَنَ)**[1].

إن التسوية بين البشر في شرع الإسلام تعني التسوية بينهم في حقوق الكيان الإنساني، الذي يتساوى فيه كل الناس، فالناس كلهم من نفس واحدة، وأصل واحد، هذه هي قاعدة الإسلام الأصلية في المساواة، كما تحددت في آيات القرآن الكريم، وبينتها السنة المشرفة.

٢– بيان معايير التفاضل الربانية بين الناس، وهدم المعايير الجاهلية

حينما تختلف أحوال الناس وأوضاعهم، وتختلف أزمنتهم وأمكنتهم، ويوجد التنوع في الأجناس والألوان واللغات، والغنى والفقر، والقوة والضعف، والعلم والجهل، ويختلف الموقع الاجتماعي والاقتصادي بين الناس، حينذاك تفرض المجتمعات معايير للتفاضل بين الناس، إزاء هذا التنوع والاختلاف.

وهنا لا بد من وضع معيار للتفاضل؛ لأن المساواة المطلقة لا تكون إلا في الكيان الإنساني، لابد من وضع هذا المعيار، بحيث لا يخل بمبدأ المساواة في ذاته، **ويجعل التفاضل وسيلة نمو ورقي، وليس ذريعة للظلم والتفرقة بين الناس**، وهذا ما جاء في الشرع الإسلامي، **فقد ترك كل المعايير السائدة للتفاضل، كالقوة والضعف، والموقع الاجتماعي أو الاقتصادي، أو الطبقة التي ينتمي إليها الإنسان أو الجنس واللون، فكل هذه المعايير كانت قائمة في المجتمعات القديمة، حتى كان من المقرر أن بعض الناس خلقوا للحكم والسيطرة، وبعضهم خلق لكي يكون محكوماً، يعمل من أجل غيره.**

وقد هدم الدين الإسلامي كل المعايير الزائفة، الجاهلية، التي حكاها القرآن الكريم عن الكثيرين منهم، حيث يقول الله – تعالى –حكايةً على ألسنتهم:

١– رواه أحمد. مسند أبي هريرة رضي الله عنه.حديث رقم / ١٠٧٩١. وقال المحقق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ﴾[1].

﴿ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴾[2].

﴿ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾[3].

﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٖ ﴾[4].

هذه كانت معاييرهم، يتفاضلون بوفرة المال، وكثرة الأولاد، وشرف الأنساب، وعِظَمِ المكانة، والأتباع؛ فجاء الإسلام بمعيار للتفاضل، يتساوى أمامه الخلق جميعاً، على اختلاف الأجناس، والألوان، والحرية والعبودية، إنه معيار التقوى، قال الله – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾[5].

إن معيار التفاضل هنا (**التقوى**) يستطيع الارتقاء إليه كل البشر، ولا يقسم الناس إلى طبقات يعلو بعضها بعضاً، وهو معيار يدفع إلى الرقي والسمو بالإنسان. ومثل هذا الرقي والسمو بالإنسانية نجده في قول الحق – عزَّ وجلَّ – ﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴾[6].

فردَّهم الله – تبارك وتعالى – إلى المعايير التي تحفظ حقوق الخلق، وترعى مصالحهم، وترقى بها معاملاتهم، وتسمو بمجتمعاتهم، إنها معايير التقوى، وشُعَبُ الإيمان، والعمل الصالح. ومن هذا المعنى قوله – تعالى – ﴿ أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ

١- سورة البقرة. آية: ١٣.

٢- سورة الشعراء. آية: ١١١.

٣- سورة سبأ. آية: ٣٥.

٤- سورة الزخرف. آية: ٣١.

٥- سورة الحجرات. آية: ١٣.

٦- سورة سبأ. آية: ٣٧.

يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[1]. هذه هي المعايير السامية، تهنأ بها المجتمعات الإنسانية، وتزدهر حياتهم بصدق العبادة، وحسن المعاملة.

٣- المساواة في التكاليف الشرعية والجزاء ثواباً وعقاباً

فلا فرق بين ذكر أو أنثى، ولا تمييز بين سادة وعبيد، ولا بين عظيم وحقير، ولا شريف وضعيف، فالكل سواسية أمام أحكام الشريعة.

ففي مجال الثواب على العمل الصالح يقول - جلَّ وعلا - ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾[2].

ويقول - جلَّ وعزَّ - ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾[3].

ويقول - جلَّ شأنه - ﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[4].

إن المرأة في الإسلام مكلفة مثل الرجل بما أمر الله به وما نهى عنه، وإن جزاءها مثله، وكل من الرجل والمرأة له حقوق وعليه واجبات، وهي حقوق وواجبات تكاملية، تجعل من حقوق الرجل وواجباته، وحقوق المرأة وواجباتها، كلاً متكاملاً في وحدة واحدة، تصلح بها حياة

١- سورة الزمر. آية: ٩.

٢- سورة آل عمران. آية: ١٩٥.

٣- سورة النساء. آية: ١٢٤.

٤- سورة الأحزاب. آية: ٣٥.

الأسرة، تلك من أهم صور المساواة التي جاءت في الإسلام أصولها ومفاهيمها، في قضايا مهمة من قضايا البشر

وفي مجال العقوبة أيضاً لافرق بين ذكر أو أنثى، ولا بين شريف قوي أو ضعيف فقير، قال – تعالى –﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

ويقول – جلَّ وعزَّ – ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

ويقول – جلَّ شأنه – ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[3].

ويقول – جلَّ جلاله – ﴿ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِي ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾[4].

ويقول– تعالى – ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴾[5].

إنه المبدأ الثابت، والتشريع الإلهي، مساواة بلا مَيْل، ولاتبديل، ولا انحراف، فالميزان واحد، بلا محاباة، في الدنيا والآخرة، في الثواب والعقاب، في الجنة والنار.

١– سورة المائدة. آية: ٣٨.

٢– سورة النور آية: ٢.

٣– سورة الأحزاب. آية: ٣٨.

٤– سورة الأعراف. آية: ٣٨.

٥– سورة غافر. آية: ٤٧ – ٤٨.

وقد نبه النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى عدم جواز الشفاعة في حدود الله؛ لأن ذلك يؤدي إلى إيثار ذوي الوجاهة بإعفائهم من العقاب، مع إقامة الحدود على ضعفاء الناس، **وهذا يخل بمبدأ المساواة بين الناس**، وبيَّن الرسول –صلى الله عليه وسلم– أن ذلك الأمر إذا ساد في مجتمع أدى به إلى الزوال، فقال: (**إِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمْ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**)[1].

فهذه مساواة بين الشرفاء والضعفاء في الحدود، فلا توضع العقوبة عن شريف لشرفه إذا ارتكب ما يوجبها، ولقد بيّن رسول الله –صلوات الله وسلامه عليه– أن التفرقة بين الشرفاء، والضعفاء في الحدود كانت العلة في ضلال الأمم السابقة.

وينكر الرسول –صلى الله عليه وسلم– على أحد أصحابه، أنه عيَّر صاحباً له بأمه السوداء، فيغضب النبي –صلى الله عليه وسلم– ويقول له: (**إنك امرؤ فيك جاهلية**)[2].

وختم النبي –صلى الله عليه وسلم– وصاياه للناس في خطبته في حجة الوداع بترسيخ هذا المبدأ العظيم في المساواة بين البشر : (**لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى**)[3].

هكذا قام الإسلام، وقامت دولة الإسلام على مبدأ المساواة بين الناس، ليس هناك نفس شريفة وأخرى وضيعة، فلا فضل لعربي على عجمي إلاّ بالتقوى، والعمل الصالح، فالجميع سواء، وربّما تفرق بينهم الأحوال، ولكن لا يفرِّق بينهم الشرع، والحق.

١– رواه البخاري. كتاب الحدود. باب إقامة الحد على الشريف والوضيع حديث رقم / ٦٢٨٩.، ومسلم. كتاب الحدود. باب قطع السارق الشريف وغيره والنهي عن الشفاعة في الحدود حديث رقم / ٤٥٠٥. روياه عن عائشة رضي الله عنها

٢– رواه البخاري. كتاب الإيمان. باب المعاصي من أمر الجاهلية. حديث رقم / ٢٩.، ومسلم. كتاب الأيمان. باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه مما يلبس ولا يكلفه ما يغلبه حديث رقم / ٤٤٠٣. روياه عن أبي ذر رضي الله عنه

٣– رواه أحمد. عن أبي نضرة عن رجل من الصحابة رضي الله عنه حديث رقم / ٢٣٤٨٩ . وقال المحقق شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

ومن ترسيخ مبدأ المساواة، وتثبيته في المجتمع المسلم، والدولة الحاكمة بالإسلام، ننتقل بعون الله، للمبحث الثاني من هذا الفصل، للكلام حول العدالة، كمبدأ من مبادئ الحكم، وسياسة الأمة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني

العدالة

إذا كان الإسلام قد ثبَّت بأحكامه، وشرائعه، وتوجيهاته مبدأ المساواة؛ فإن " العدل أيضاً من القيم الإنسانية الأساسية التي جاء بها الإسلام، وفاضت بها آيات القرآن، وجعلها من مُقَوِّمَاتِ الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسية، حتى جعل القرآنُ إقامةَ القسط – أي العدل – بين الناس هو هدف الرسالات السماوية كلها، فقال – تعالى – ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

وليس ثمة تنويه بقيمة القسط أو العدل أعظم من أن يكون هو المقصود الأول من إرسال الله تعالى رُسُله، وإنزاله كتبه؛ فبالعدل أُنْزِلَتِ الكتب، وبُعِثَتِ الرسل، وبالعدل قامت السموات والأرض "[2]. وسوف نتناول هذا المبحث من خلال عرضه في عدة مطالب تكشف عن جوانب العظمة والجلالة في تمسك شرعنا بالعدالة، وعدم التفريط فيها كمبدأ من مبادئ الحكم وسياسة الأمة.

المطلب الأول: في تعريف العدل لغة واصطلاحاً.

أولاً تعريف العدل لغةً : هذه الحروف الثلاثة (ع ، د ، ل) الخفيفة على اللسان ، لها مدلول كبير ، ومعان كثيرة.

" **فالعدل**: ضد الجور. **عَدَلَ**– عدْلاً وعُدُلاً: مال. ويقال: عدل في أمره عدالة ومَعْدِلةً: **استقام . وفي حكمه: حكم بالعدل.**

١– سورة الحديد. الآية: ٢٥.

٢– ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده. يوسف القرضاوي. الطبعة الثالثة. مكتبة وهبة. القاهرة.١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م. بتصرف.

والعَدْل . بفتح العين هو : **الإنصاف** ، وإعطاء لما لَهُ ، وأخذ ما عليه ، ويقال : رجل عدل ، وامرأة عدلة ، وجاء بمعنى : **المثل والنظير والجزاء ، والفداء. والعِدل** . بكسر العين . **المثل والنظير، وكذلك العديل"**[1].

ثانياً تعريف العدل اصطلاحاً:

استعمل القرآن الكريم " العدل " في مقابل الظلم والبغي والجور ، واستعمله كذلك في مقابل الفسق والفجور ، ومن هنا استعمله الفقهاء في هذين المعنيين :

أحدهما : العدل في الحكم والعلاقات ، وهو بهذا المعنى يتعدى معناه إلى الغير ، فيقال : عدل بين الناس، أو بين النساء ، أو عدل في أمرهم أو نحو ذلك.

ثانيهما : العدالة الذاتية ، بان يكون المتصف بها مستقيماً غير فاسق وفاجر ، وبهذا المعنى يستعملها الفقهاء في باب الشهادات ونحوها .

ونحن في هذه الدراسة نتحدث عن **المعنى الأول** الذي ركز عليه القرآن الكريم ، وهو الذي يُرجع إليه لدى التحقيق في كل معانيه ، وهو **تحقيق التوازن بين ما للإنسان من حقوق فتعطى له ، وما عليه من واجبات فتؤخذ منه** ، وهذا هو معناه الاصطلاحي الذي نزلت الشرائع كلها لتحقيقه ، بل عليه قامت السموات والأرض كما سيأتي شرح ذلك في المطلب التالي.

المطلب الثاني: العدل في القرآن الكريم

العدل في الإسلام هو ميزان الله على الأرض، به يُؤْخَذُ للضعيف حَقُّه، ويُنْصَفُ المظلومُ ممن ظلمه، ويُمَكَّن صاحب الحقِّ من الوصول إلى حَقِّه من أقرب الطرق وأيسرها، وهو واحد من

١- القاموس المحيط. باب اللام فصل العين. ص / ١٣٣١و١٣٣٢. المعجم الوسيط. باب العين مع الدال واللام. ص / ٥٨٨.

القيم التي تنبثق من عقيدة الإسلام في مجتمعه؛ فلجميع الناس في مجتمع الإسلام حَقُّ العدالة وحقُّ الاطمئنان إليها.

ومبدأ العدالة، حاز مكانة عظيمة، بين مبادئ الحكم في دولة الإسلام، بناءً على التأكيد القرآني على اعتباره أساساً للحكم، والسبيل الوحيد لسياسة الأمة المسلمة، يتبين هذا الاحتفاء من خلال العناوين التالية في القرآن الكريم:

١- قيامه سبحانه بالعدل في فعله وتدبيره وقضائه وقدره.

قال الله – تعالى – ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[١].

وفي الآية شهادته – تعالى – وشهادة خواص الخلق، وهم الملائكة، وأهل العلم له – عز وجل – بأنه هو المعبود بحق وحده، **ولم يزل متصفاً بالقسط (العدل) في أفعاله وتدبيره بين عباده، فهو على صراط مستقيم في ما أمر به ونهى عنه، وفيما خَلَقَه وقَدَّرَه؛** ولذلك كان قبيحاً من المشركين تسوية رب العالمين – سبحانه – بمعبوداتهم الباطلة، من الأصنام، والأوثان، التي لا تملك جلب نفع، أو دفع ضر بأي حال من الأحوال، وهذا معنى قوله – تعالى – ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٢].

وإذا كان العدل هو المقصود الأول من إرسال الله – تعالى – الرُسُل، وإنزال الكتب؛ وبه قامت السموات والأرض؛ فالعدل في الجزاء غاية من غايات الخلق والإعادة، فالميزان الذي لا يحابي، ولا يظلم أحداً، هو ميزان الرب الحكيم، والإله المعبود، الذي يأمر، وينهى، ويقضي في الآخرة بين عباده بالعدل، في نهاية تتمثل فيها العدالة المطلقة بكل معانيها وحقائقها. قال

١- سورة آل عمران. الآية: ١٨.

٢- سورة النحل. الآية: ٧٦.

– تعـــالى – ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾[1].

وقال – سبحانه – ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[2].

وقال – جل جلاله – ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[3].

وكما اتصف – سبحانه – بأوصاف العدل، والقسط، أمر – عز وجل – بإقامة العدل والقسط في هذه الحياة؛ ليستقيم للناس معاشهم مطمئنين بنوال حقوقهم، ومن ذلك ما يلي:

٢– إقامة العدالة في جميع نواحي الحياة

قـــال الله – تعـــالى – ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[4].

فالله يأمر " «بِالْعَدْلِ» الذي يكفل لكل فرد، ولكل جماعة، ولكل قوم قاعدةً ثابتة للتعامل ، لا تميل مع الهوى، ولا تتأثر بالود والبغض، ولا تتبدل مجاراةً للصهر والنسب ، والغنى والفقر ، والقوة والضعف. إنما تمضي في طريقها تكيل بمكيال واحد للجميع ، وتزن بميزان واحد للجميع "[5].

وقـــال – ســـبحانه – ﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾[6].

١– سورة يونس. الآية: ٤.

٢– سورة يونس. الآية: ٤٧.

٣– سورة يونس. الآية: ٥٤.

٤– سورة النحل. آية: ٩٠.

٥– في ظلال القرآن. ٤ / ٢١٩٠ .

٦– سورة الرحمن. الآية: ٧ – ٩.

"﴿ وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾ يعني: العدل، كما قال: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾[1]. وهكذا قال هاهنا: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾ أي: خلق السموات والأرض بالحق والعدل، لتكون الأشياء كلها بالحق والعدل؛ ولهذا قال: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ أي: لا تبخسوا الوزن، بل زِنوا بالحق والقسط، كما قال – تعالى – ﴿ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾[2]. "[3]. ومن هذه العدالة اللازمة

٣- إقامة العدالة في الحكم بين الناس

إنه العدل المطلق " «بين الناس» جميعا. لا عدلا بين المسلمين بعضهم وبعض فحسب..دون سائر الناس .. وإنما هو حق لكل إنسان بوصفه «إنسانا». فهذه الصفة – صفة الناس – هي التي يترتب عليها حق العدل في المنهج الرباني، وهذه الصفة يلتقي عليها البشر جميعا : مؤمنين وكفارا، أصدقاء وأعداء، سودا وبيضا، عربا وعجما، والأمة المسلمة قيمة على الحكم بين الناس بالعدل – متى حكمت في أمرهم – هذا العدل الذي لم تعرفه البشرية قط – في هذه الصورة – إلا على يد الإسلام ، وإلا في حكم المسلمين ..... في مثل هذه الصورة الكريمة التي تتاح للناس جميعا "[4].

قال – تعالى – ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[5].

فأمر الله بالعدل في الحكم بين الناس، " والعدل أساس الملك، وأمر تقتضيه الحضارة والعمران والتقدم، وتشيد به كل العقول، وأصل من أصول الحكم في الإسلام، ولا بد للمجتمع منه حتى يأخذ الضعيف حقه، ولا يبغي القوي على الضعيف، ويستتب الأمن والنظام، وأجمعت

١- سورة الحديد. من الآية: ٢٥.

٢- سورة الإسراء. من الآية: ٧ – ٩.

٣- تفسير القرآن العظيم. ٤ / ٤٩٠ .

٤- في ظلال القرآن. ٢ / ٦٨٩ .

٥- سورة النساء. الآية: ٥٨.

الشرائع السماوية على وجوب إقامة العدل، فعلى الحاكم وأتباعه من الولاة والموظفين والقضاة التزام العدل، حتى تصل الحقوق لأهلها "[1].

وقال – تعالى – ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[2].

وقال – عز وجل – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[3].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾[4].

وقال – تعالى – ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔاۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[5].

وفي هذه الآيات جميعاً، تقرير واضح، وصريح؛ لإحقاق العدل، وتطبيقه، ولو كُنَّا مبغضين لمن نَحْكُم فيهم، فالعدل في الإسلام لا يتأثَّر بحُب أو بُغْض، فلا يُفَرِّقُ بين حَسَب ونَسَب، ولا بين جاهٍ ومالٍ، كما لا يُفَرِّقُ بين مسلم وغير مسلم، بل يتمتَّعُ به جميعُ المقيمين على أرض الإسلام من المسلمين وغير المسلمين، فلا يحملنا بُغْض قوم على ترك العدل فيهم، بل نستعمل العدل في كُلِّ أَحَدٍ؛ صديقًا كان أو عدوًّا.

ومن مجالات العدالة الضرورية للمجتمعات:

١- التفسير المنير. ٥ / ١٢٤ .

٢- سورة الحجرات. الآية: ٩.

٣- سورة النساء. الآية: ١٣٥.

٤- سورة المائدة. الآية: ٨.

٥- سورة المائدة. الآية: ٤٢.

٤- إقامة العدالة في المعاملات المالية

قال - تعالى- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِۢبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِۢبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِ ﴾[١].

وقال – عز وجل - ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾[٢].

ومثله قوله – سبحانه –﴿ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ إِذَا كِلۡتُمۡ وَزِنُواْ بِٱلۡقِسۡطَاسِ ٱلۡمُسۡتَقِيمِۚ ﴾[٣].

إنها عدالة مطلقة، راسخة في شتى المجالات، في البيع، والشراء، والتداين، وغيرها من المعاملات. ويظل نهر العدالة جارياً ومنه:

٥- إقامة العدالة في العلاقات الأسرية والاجتماعية

قال - تعالى - ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴾[٤].

وقال – عز وجل - ﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[٥].

قال - تعالى - ﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ﴾[٦].

١- سورة البقرة. الآية: ٢٨٢.

٢- سورة هود. الآية: ٨٥.

٣- سورة الإسراء. من الآية: ٣٥.

٤- سورة النساء. الآية: ٣.

٥- سورة النساء. الآية: ١٢٩.

٦- سورة الطلاق. الآية: ٢.

وقال – عز وجل – ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴾[1].

وقوله – سبحانه –﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[2].

إنها العدالة العمياء، التي يتساوى أمامها الحاكم والمحكوم، والفقير والغني، وينال بها جميع الأطراف حقوقهم كالزوجة، واليتيم، وسائر الضعفاء ممن لا سند لهم، ولا قوة عندهم في الخصومة والاختلاف، مما يحفظ حياة الأسر، والعلاقات الاجتماعية، في جو من الأمن والاطمئنان، والسعادة والاستقرار.

وفي الحديث عن النعمان بشير قال وهو على المنبر : " أَعْطَانِي أَبِي عَطِيَّةً فَقَالَتْ عَمْرَةُ بِنْتُ رَوَاحَةَ لاَ أَرْضَى حَتَّى تُشْهِدَ رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فَأَتَى رَسُولَ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – فَقَالَ إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا ؟ قَالَ : لاَ. قَالَ: **فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا** بَيْنَ أَوْلاَدِكُمْ قَالَ فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ "[3].

ومن جليل ما يروى في السنة، عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما– أنه قال: ((أفاء الله – عز وجل – خيبر على رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فأقرَّهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كما كانوا، وجعلها بينه وبينهم؛ فبعث عبد الله بن رواحة فخرصها عليهم، ثم قال لهم: "يا معشر اليهود، أنتم أبغض الخَلْقِ إليَّ، قتلتم أنبياء الله، وَكَذَبْتُمْ على الله، **وليس يحملني بغضي إيَّاكم على أن أحيف عليكم**؛ قد خرصت عشرين ألف وسق

١– سورة النساء. الآية: ١٢٧.

٢– سورة الأنعام. الآية: ١٥٢.

٣– رواه البخاري. كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها. باب الإشهاد في الهبة. حديث رقم / ٢٥٨٧.

من تمر، فإن شئتم فلكم،وإن أبيتم فَلِي". فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض، قد أخذنا))[1].

فرغم بُغض عبد الله بن رواحة لليهود إلاَّ أنه لم يظلمهم، بل أعلنها لهم صريحة أنه لا يحيف عليهم، وما شاءوا أَخْذَهُ من أي القسمين من التمر فليأخذوه.

٦- تحريم الظلم في الإسلام

وبقدر ما أَمَرَ الإسلامُ بالعدل وحثَّ عليه، حَرَّمَ الظلم أشدَّ التحريم، وقاومه أشدَّ المقاومة، سواء ظُلْم النفس أم ظُلْم الآخرين، وبخاصة ظُلْم الأقوياء للضعفاء، وظُلْم الأغنياء للفقراء، وظُلْم الحُكَّام للمحكومين.

ولقد جاءت آيات القرآن العظيم بالتحريج على الظالمين، ولَعْنهم، وتهديدهم بالعذاب الأليم، بلفظ قاطع، وبيان ساطع، ردعاً للظالمين، وحسماً لمادة الظلم والبغي.

قال - تعالى - ﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[2]. وقال – عز وجل - ﴿ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3]. وقال ﴿ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4]. ومثله قوله ﴿ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[5]. وقوله ﴿ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴾[6].

١- رواه أحمد. مسند المكثرين. مسند جابر بن عبد الله. رقم الحديث / ١٤٩٩٦. وقال الأرناؤوط إسناده قوي.

٢- سورة الشورى. الآية: ٤٢.

٣- سورة هود. من الآية: ١٨.

٤- سورة إبراهيم. من الآية: ١٣.

٥- سورة إبراهيم. من الآية: ٢٢.

٦- سورة الشورى. الآية: ٤٥.

وقولـــه – تعـــالى –﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[1].

والظالمون لا يحبهم الله، وهم محجوبون عن الهداية، يعيشون في الضلال، ويؤول حالهم إلى الخسران والبوار.

قال – تعالى –﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2]. وقال – سبحانه – ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3]. وقولـــه ﴿ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4].

وفي التحذير من الظلم، وسوء عاقبته، يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم – لمعاذ ((وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ))[5].

وترك الظلم، واتقاء المظالم، وصية الله تعالى لعباده أجمعين، ففي الحديث القدسي{ يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلاَ تَظَالَمُوا}[6].

وحذر الرسول – صلى الله عليه وسلم – القضاة، ورهبهم من الميل والحيف في الحكم بين الناس فقال: ((القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة رجل قضى بغير الحق فعلم ذلك فذاك في النار وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار وقاض قضى بالحق فذلك في الجنة))[7].

١- سورة غافر. الآية: ٥١ -٥٢.

٢- سورة الشورى. الآية: ٤٠.

٣- سورة الجمعة. الآية: ٥.

٤- سورة الحشر. الآية: ١٧.

٥- رواه البخاري. كتاب الزكاة. باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا. حديث رقم / ٢٥٨٧. عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٦- رواه مسلم. كتاب البر والصلة والأدب. باب تحريم الظلم. حديث رقم / ٦٧٣٧. عن أبي ذر رضي الله عنه.

٧- رواه الترمذي. كتاب الأحكام. باب القاضي. حديث رقم / ١٣٢٢. عن بريدة رضي الله عنه. وصححه الألباني.

بهذه النصوص الإلهية الجليلة، ووترجمتها الحية من السنة النبوية المطهرة، يظهر لنا تلك العناية القصوى بتحقيق العدل ، وإزالة الظلم والبغي ، مع بيان أهمية العدل في حياة الفرد ، والأسرة والجماعة ، والأمة والدولة ، والحضارة والبناء والتعمير ، وأن التجارب والحقائق الواقعية والقصص القرآنية تدل بوضوح على أن هلاك الأمم ، وتدمير الحضارات ، وانتهاء الدول والمماليك كل ذلك بسبب الظلم بمعناه الشامل ، والبغي والعدوان فقال – تعالى – ﴿ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[1]. بل يقول الله – تعالى – بأسلوب الحصر ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴾[2]. وهذه الحقائق نشاهدها اليوم في عالمنا الاسلامي حيث إن مشكلته الكبرى هي المظالم الواقعة بين الحكام والشعوب ، ثم بين الشعوب بعضها البعض ، ثم بين أصحاب القوى المالية والسياسية والاجتماعية ، وبين المستضعفين ، ولن ينجو عالمنا الاسلامي إلاّ من خلال إرساء مبدأ العدل الذي يعيد إليه كرامته ووحدته وتماسكه.

وبعد هذا القدر من الكلام على العدالة ، وحتى لا نجور على المباحث الأخرى، ننتقل لمبدأ آخر من مبادئ الحكم، وسياسة الأمة في القرآن الكريم، وهو مبحثنا الثالث عن الشورى.

١- سورة الأنعام. الآية: ٤٧.

٢- سورة القصص. الآية: ٥٩.

المبحث الثالث

الشورى

لا يمكن بأي حال من الأحوال، لمن تكلم عن مبادئ الحكم، وسياسة الأمة في القرآن الكريم، أن يغفل الحديث عن مبدأ من أهم مبادئ هذه المنظومة القرآنية، وهو مبدأ الشورى، هذا المبدأ الإنساني الذي بلغ الغاية في العظمة والروعة، بل سُميت سورة من سور القرآن الكريم باسم "الشورى"؛ دلالة على أهمية تحقق هذا المبدأ العظيم في أي شأن من شئون المسلمين.

وعلى الرغم من اختلاف الفقهاء حول آليات تنفيذ هذا المبدأ من ناحية الاختيار أو الوجوب والإلزام، لكنهم مُجْمِعُون على ضرورة تَحَقُّقها بين المسلمين، كما سيأتي بيانه إن شاء الله – تعالى – في المطالب التالية:

المطلب الأول: تعريف الشورى لغة واصطلاحاً

أولاً تعريف الشورى لغة: مشتقة من الفعل (شَوَرَ) والفعل ومشتقاته له معاني متعددة، نتوقف عند ما يهمنا منها: " **شار** الرجل: أي حسن مظهره، **وشار** الشيء: أي عرضه ليبدي محاسنه، ومنه شُرْتُ الدابة: أي عرضتها وأقبلت بها وأدبرت اختباراً لها وكشفاً لمحاسنها، أو بيان عيوبها. **وشار** العسل: إذا استخرجه واستصفى خلاصته، واجتناه من خلاياه ومواضعه. **والتشاور والمشاورة:** طلب الرأي في الأمر ، **وشاورته** في كذا واستشرته: راجعته لأرى رأيه فيه، **والشورى:** الأمر الذي يتشاور فيه... و(**المستشار**) العليم الذي يؤخذ رأيه في أمر هام ... و(المشورة) ما ينصح به من رأي وغيره "[1].

١- القاموس المحيط. باب: الراء فصل: الشين. ص / ٥٣٩ – ٥٤٠. والمعجم الوسيط. باب: الشين مع الواو والراء. ص / ٤٩٩. والمفردات في غريب القرآن. ص / ٢٧٠. مادة: شور، وأساس البلاغة ص / ٣٤٠. لسان العرب. مادة شور. ٤ / ٤٣٦.

ولعل المتأمل يدرك معنى حسناً لطيفاً في هذا المعنى اللغوي، وهو أن مادة شور متضمنة لإبراز المحاسن وكشف العيوب، واستخلاص الجميل من المطاعم والآراء، وهو المقصود من الشورى التي تتلاقح فيها الأفكار المختلفة، ويستعرض الناس فيها الرأي والرأي الآخر، ويمحصون المسائل حتى يصلوا لتحقيق المصلحة ودفع المفسدة، وتحصيل المنفعة، وتجنب العطب والخسران.

ثانياً: تعريف الشورى اصطلاحاً

عرف الباحثون الشورى بتعاريف عدة، ومنها : " **أنها طلب الرأي من أهله، وإجالة النظر فيه، وصولاً إلى الرأي الموافق للصواب** "[١]. ومنها قولهم: " الشورى: هي **تبادل الآراء في أمر من الأمور لمعرفة أصوبها وأصلحها لأجل اعتماده والعمل به** "[٢].

وعرفها بعضهم بأنها: " **تقليب الآراء ، ووجهات النظر في قضية من القضايا ، أو موضوع من الموضوعات ، واختبارها من أصحاب الرأي والخبرة ، وصولاً إلى الصواب ، وأفضل الآراء ، من أجل تحقيق أحسن النتائج** "[٣].

والخلاصة فإن الشورى في الاصطلاح، الذي يقضي به الإسلام تُعبِّر عن: " **استخلاص الرأي الجامع، من خلال الحوار الجامع، وهذا هو مطلوب الشورى، فإن لم يكن رأي**

١- المهدي، حسين بن محمد. الشورى في الشريعة الإسلامية دراسة مقارنة بالديمقراطية والنظم القانونية. ص / ٢٨. طبعة خاصة بوزارة الثقافة – اليمن. ٢٠٠٦.

٢- العجوز، أحمد محيي الدين. مناهج الشريعة الإسلامية ٢ / ١٢٨ طبعة مكتبة المعارف.بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

٣- إدارة المعلومات، مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية. الشورى في الإسلام رؤية نيابية. ص/ ٣. طبعة خاصة. ١٤٢٤هـ.

جامع، فرأي راجح، لدى استصدار القرار، مما ينعقد عليه العمل الجامع، لدى التطبيق والتنفيذ "[1].

فإذا تم لنا تعريف الشورى لغة واصطلاحاً ننتقل للمطلب التالي وهو:

المطلب الثاني: الشورى في القرآن الكريم.

الشورى قيمة إنسانية، ضاربة في القدم، لم يخترعها الإسلام، فقد مارستها الشعوب والأمم والجماعات البشرية على مر تاريخها الطويل، كلٌ بطريقته الخاصة، إلا أن القرآن الكريم أضاف لها بعداً جديداً فجعلها أمراً إلهياً، وواجباً دينياً، وجعلها من القيم الإنسانية الإسلامية الرفيعة الراسخة، التي تظهر في جميع العلاقات والممارسات الإنسانية، في الحياة الخاصة للفرد مع نفسه، وللفرد مع مثله من الأفراد ، للزوج مع زوجه والأب مع أبنائه. ومَنْ يستعرض سريعاً الآيات التاليات يدرك هذه المعاني **والتي لن نقف عندها كثيراً لأنها ليس محل البحث.**

" فالشورى مما جبل الله عليه الإنسان، في فطرته السليمة، أي فَطَرَه على محبة الصلاح وتطلب النجاح في المساعي، ولذلك قرن الله تعالى خلق أصل البشر بالتشاور، في شأنه إذ قال للملائكة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾[2] إذ قد غَنِيَ الله عن إعانة المخلوقات في الرأي، ولكنه عرض على الملائكة مراده، ليكون التشاور سنة في البشر، ضرورة أنه مقترن بتكوينه، فإن مقارنة الشيء للشيء في أصل التكوين يوجب إلفه وتعارفه"[3].

١- الإمام، د أحمد علي. الشورى والمؤسسات التشريعية الحديثة. ص/ ١. طبعة المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث. ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. (بحث مقدم للدورة السادسة عشر للمجلس– اسطنبول).

٢- سورة البقرة. آية: ٣٠.

٣- ابن عاشور، محمد بن الطاهر التونسي . تفسير التحرير والتنوير. ٣ / ٢٦٩ - ٢٧٠. الطبعة الأولى. مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان. ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

وقال الله – تعالى – ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1] ففي الآية أن المرأة ليس لها التفرد بقرار توقيف الرضاع أو تمديده، وكذلك الزوج، لا يحق له الاستبداد بأمر أولاده، فالأم شريكة له في تدبير شؤونهم، فلابد أن يكون ذلك كله ناشئاً ﴿ عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ ﴾

كذلك؛ لو حدث خلاف بين الزوجين، وخيف إنهيار الزوجية بينهما، قال الله – تعالى – ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾[2] فها هنا أمر ضمني بالشورى، لأنه بوجود الحكمين؛ فلا يمكن تقدير الحالة واعتماد الحل الممكن إلا شورى ، ثم اتفاقاً وتراضيا على الحل والمخرج.

كما نجد نماج من الشورى في قصص القرآن الكريم.نكتفي باثنين منها فيما يلي:

• النموذج الأول: الشورى عند ملكة سبأ ورجاحة عقل وحكمة

قال الله تعالى ﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾[3] في هذه الآيات الكريمات، يصور لنا الحق سبحانه ، صورة من صور النظام السياسي القائم في هذه المملكة الغنية، والتي تتمثل في التوافق التام، والثقة المتبادلة، والتعاون بين الحاكم والرعية، والتزام الشورى منهجاً ووسيلة لاتخاذ القرارات المصيرية﴿ مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾. فرغم الطاعة المطلقة، التي يبديها أشراف الناس، وقادتهم، لبلقيس ملكة سبأ، في الرخاء والشدة،

١- سورة البقرة. آية: ٢٣٣.

٢- سورة النساء. آية: ٣٥.

٣- سورة النمل. آية: ٢٩- ٣٥

في السلم والحرب ﴿ قَالُوا نَحْنُ أُولُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ ، إلا أنها كانت من العقل والحكمة بحيث لا تستبد بالأمر ، ولا تستأثر بالقرار دونهم، وقد كان لهذا النهج السوي، القائم على الشورى، أعظم الأثر في العاقبة الحسنة،، بالحفاظ على مملكتهم، وما يتمتعون به من حرية ورخاء، وتجنيبهم ذل الاستعباد، وقهر الجيوش الغازية، مع الإيمان والإسلام لله رب العالمين.

فضربت لنا الآيات الكريمات، مثلاً عظيماً في فضل الشورى، وأبانت لنا عن درس بليغ، في كيفية إدارة البلاد، في الظروف الاستثنائية المصيرية، حيث يجتمع أهل الرأي والمشورة، أهل الحل والعقد، يتباحثون، ويتشاورون، فينتفع بمشورتهم العباد والبلاد .

- **النموذج الثاني: الشورى عند فرعون: تسلط واستبداد وشورى زائفة**

وبضد هذه الصورة السابقة المشرقة – وبضدها تتميز الأشياء – " ينقل القرآن صورة أخرى مظلمة عن الحكم الذي يقوم على التأله، والتسلط في قصة فرعون مع موسى، حيث يقول الله – عزوجل- ﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ [1]. فهذه ليست استشارة حقيقية، لأنها تخص (**الملأ حوله**) فقط، ثم هي استشارة موجهة، غير حقيقية، فقد حكم عليه قبل أن يسألهم الرأي: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾ "[2]. ولما كانت بطانته وأهل مشورته من المنتفعين، وأصحاب المصالح، والامتيازات، لم يسمع منهم ما يردعه عن غيه، ويرده عن موارد الهلاك، فمضى متجبراً مستكبراً، يدفع الحق، ويستضعف المؤمنين؛ حتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر.

فشتان بين الشورى الجامعة للمنافع، الجالبة للاستقرار، وبين التسلط والاستئثار بالقرار، الجالب للظلم والخراب، وسوء العاقبة في الدنيا والآخرة.

١- سورة الشعراء. آية: ٣٠ – ٣٥.

٢- القرضاوي، د يوسف. ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده. ص / ١٢٩- ١٣٠

والكلام عن الشورى – بصورة عامة – كلام يطول، ويتشعب بنا، غير أننا سنكتفي بما سبق، ونتوقف الآن مع ما يتصل بالحكم، وسياسة الأمة في آيات القرآن، وهما آيتان لا ثالث لهما، نقف عندهما، ونذكر ما فيهما من المعاني والأحكام، وذلك في المطلب التالي:

المطلب الثالث: حجية الشورى في القرآن الكريم.

يقرر الإسلام مبدأ الشورى بوجه قاطع، بحيث لا يدع للأمة المسلمة شكاً في أن الشورى مبدأ أساسي، لا يقوم نظام الحكم الإسلامي الصحيح على أساس سواه، أما شكل الشورى، والوسيلة التي تتحقق بها، فهذه أمور غاية في المرونة، تركها الشارع الحكيم لتكون وفق أوضاع الأمة وملابسات حياتها، وكل نظام تتم بها حقيقة الشورى –لا مظهرها– فهو مما يوافق مقاصد الإسلام العظام.

وفي القرآن الكريم موضعان اثنان فيهما تقرير هذا المبدأ، والأمر به، ووضعه صُحْبَةَ أركان الإسلام، كوصف مقرر مُحْكَم من أوصاف المجتمع المسلم

فأما الموضع الأول: ويتضمن قول الحق – سبحانه – ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1].

وهذه الآية الكريمة فيها وقفات عديدة نتناولها في النقاط التالية [2]:

١. **فالآية وردت في سورة تحمل اسم الشورى،** وهو في حد ذاته تشريف وتنويه بأهميتها ومنزلتها.

١– سورة الشورى. آية: ٣٨ .

٢– مستفاد من كتاب الشورى فريضة إسلامية. عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي. الناشر: دار ابن كثير – سوريا. بتصرف كبير.

٢. **جاءت الشورى في هذه الآية وصفاً تقريرياً، ضمن صفات أساسية لجماعة المؤمنين،** فهم بعد إيمانهم متوكلون على ربهم، مجتنبون لكبائر الآثام والفواحش، مستجيبون لأمر ربهم، مقيمون لصلاتهم، وأمرهم شورى بينهم ويزكون أموالهم وينفقونها في سبيل الله.

٣. وهي آية مكية مما يدل على أن **الشورى في الإسلام ممارسة اجتماعية قبل أن تكون من الأحكام السلطانية.**

٤. وهي تصف حال المسلمين في كل زمان ومكان، فهي **ليست طارئة ولا مرحلية،** ولقد جعل الله سبحانه احترام الشورى من أثمن خصال المؤمنين وصفاتهم.

٥. وهي تجعل **جميع أمر المسلمين، فيما لم ينزل فيه وحي، شورى بينهم،** فهي حق لهم جميعاً، إلا ما كان من شأن أهل العلم والتخصص فإن المؤمنين يحملهم إيمانهم أن يردوا ما أشكل عليهم إلى من يعلم كيف يستنبط الأحكام من النصوص.

٦. وقوع هذه الآية الكريمة {وأمرهم شورى بينهم} ضمن صفات تعدُّ من المقومات، والأركان الأساسية في الدين، " **يدل على جلالة موقع المشورة لذكره، لها مع الإيمان وإقامة الصلاة ويدل على أنا مأمورون بها** "[١].

- **الموضع الثاني:** قول الله – تعالى – ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[٢].

﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ " أي: في الأمور التي تحتاج إلى استشارة ونظر وفكر، فإن في الاستشارة من الفوائد والمصالح الدينية والدنيوية ما لا يمكن حصره "[٣].

" وقد دلت الآية على عدة أمور:

١- الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي. أحكام القرآن ٥ / ٢٦٣ – دار احياء التراث العربي – بيروت – ١٤٠٥هـ

٢- سورة آل عمران. آية: ١٥٩.

٣- تفسير السعدي. ص / ١٨٧.

١- أن الشورى مأمور بها الرسول – صلى الله عليه وسلم – فيما عبر عنه بالأمر وهو مهمات الأمة ومصالحها في الحرب وغيره.
٢- أن الشورى تكون في غير أمر التشريع لأن الأمر إن كان فيه وحي فلا محيد عنه.
٣- أن المشاورة المأمور بها هنا هي المشاورة في شؤون الأمة ومصالحها "[١].

وهذا الأمر لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – بمشاورة أصحابه هو أمر لكل من يقوم مقامة من الدعاة والقادة والأمراء، بل إن هؤلاء مأمورون بهذا من باب أولى وأحرى؛ ومن هنا عُدّت هذه الآية قاعدة كبرى في الحكم والإمارة وعلاقة الحاكم بالمحكومين. وقال الإمام ابن عطية الأندلسي " **والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام ومن لا يستثير أهل العلم والدين، فعزله واجب، وهذا ما لا خلاف فيه** "[٢].

وقال العلامة الطاهر بن عاشور " واختلف العلماء في مدلول قوله: {وشاورهم} هل هو للوجوب أو للندب، وهل هو خاص بالرسول عليه الصلاة والسلام عليه الصلاة والسلام، أو عام له ولولاة أمور الأمة كلهم ؟. **فذهب المالكية إلى الوجوب** والعموم، قال **ابن خوير منداد:** واجب على الولاة المشاورة، فيشاورون العلماء فيما يشكل من أمور الدين، ويشاورون وجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ويشاورون وجوه الناس فيما يتعلق بمصالحهم ويشاورون وجوه الكتاب والعمال والوزراء فيما يتعلق بمصال البلاد وعمارتها. وأشار **ابن العربي** إلى وجوبها .....**وعن الشافعي أن هذا للاستحباب،** ولتقتدي به الأمة، وهو عام للرسول وغيره، تطييبا لنفوس أصحابه ورفعا لأقدارهم، وروي مثله عن قتادة، والربيع، وابن إسحاق. وردَّ هذا أبو بكر الجصاص بقوله: لو كان معلوما عندهم أنهم إذا استفرغوا جهدهم في استنباط الصواب عما سئلوا عنه، ثم لم يكن معمولا به، لم يكن في ذلك تطييب لنفوسهم ولا رفع لأقدارهم، بل فيه إيحاشهم فالمشاورة لم تفقد شيئا فهذا تأويل ساقط..... **وقال**

١- ابن عاشور، محمد بن الطاهر التونسي . تفسير التحرير والتنوير. ٣ / ٢٦٧ – ٢٦٨. الطبعة الأولى. مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان. ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. بتصرف وصياغة مختلفة.

٢- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي . تفسير المحرر الوجيز. ٣ / ٢٦٨. الطبعة الأولى. مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان. ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م. بتصرف وصياغة مختلفة

الفخر: ظاهر الأمر أنه للوجوب. ومجموع كلامي الجصاص ([1]) (هنا وفي الشورى) يدل أن **مذهب أبي حنيفة وجوبها** "[2].

وقد جاءت السنة النبوية المطهرة تطبيقاً عملياً، وترجمة واقعية لهذا المبدأ الجليل، حتى يقول أبو هريرة – رضي الله عنه – (**ما رأيت أحدًا أكثر مشورة لأصحابه من رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم**) [3].

ومن ذلك: استشارته – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه في الخروج يوم بدر، وفي منزله عندها، وفي أسرى بدر من المشركين، وفي الخروج أو البقاء في المدينة يوم أحد، وفي حفر الخندق ، ومصالحة بعض الأحزاب يوم الخندق على ثلث ثمار المدينة، وغير ذلك كثير.

وعن أنس قال: (خرج النبي – صلى الله عليه وسلم – يوم سار إلي بدر، فجعل **يستشير** الناس، **فأشار** عليه أبو بكر – رضوان الله عليه – ، ثم **استشارهم، فأشار** عليه عمر – رضوان الله عليه – ، **فجعل يستشير – صلى الله عليه** وسلم – فقالت الأنصار: والله ما يريد غيرنا، فقال رجل من الأنصار: **أراك تستشير فيشيرون عليك،** ولا نقول كما قال بنو إسرائيل: {فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا}. ولكن والذي بعثك بالحق، لو ضربت أكبادها حتى تبلغ برك الغماد، كنا معك)[4].

وعن عمر بن الخطاب — رضي الله عنه — قال في شأن أسرى بدر (فلما كان يومئذ، والتقوا فهزم الله – عز و جل – المشركين فقتل منهم سبعون رجلا وأسر منهم سبعون رجلا **فاستشار رسول الله صلى الله عليه و سلم أبا بكر وعليا وعمر رضي الله عنهم** فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا نبي الله! هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان، فإني أرى أن تأخذ منهم

١- أحكام القرآن للجصاص ٢ / ٣٣٠.

٢- تفسير التحرير والتنوير. ٣ / ٢٦٨. بتصرف.

٣- سنن الترمذي. كتاب الجهاد. باب ما جاء في المشورة. رقم الحديث ١٧١٤.

٤- صحيح ابن حبان. كتاب السير.. باب الخروج وكيفية الجهاد. ذكر الاستحباب للإمام أن يستشير المسلمين. رقم الحديث ٤٧٢١.

الفدية، فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار، وعسى الله أن يهديهم؛ فيكونون لنا عضدا، فقال رسول الله – صلى الله عليه و سلم –: ما ترى يا بن الخطاب قال: قلت: والله ما أرى ما رأى أبو بكر – رضي الله عنه – ولكني أرى أن تمكنني من فلان – قريبا لعمر – فأضرب عنقه، وتمكن عليا – رضي الله عنه – من عقيل فيضرب عنقه، وتمكن حمزة من فلان – أخيه – فيضرب عنقه، حتى يعلم الله أنه ليست في قلوبنا هوادة للمشركين... الحديث)[1].

وهذا الحال الفريد، من التشاور، والحرص على تبادل الرأي، للوصول إلى الصواب، مع كمال استغناء النبي – صلى الله عليه وسلم – عن آراء الناس بالوحي، لهو من أعظم الدلالات على وجوب الشورى على غيره من القادة والزعماء والحكام، ومن أكبر البراهين على كونها مبدأ راسخ ثابت، من مبادئ الحكم وسياسة الأمم والشعوب.

ومن أحسن ما قيل في الشورى، قول بشار بن برد:

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... بحزم نصيح أو نصيحة حازم

ولا تحسب الشورى عليك غضاضة ... مكان الخوافي قوة للقوادم

ومن الكلام على الشورى وضرورتها للحكم الإسلامي ننتقل لمبحثنا التالي وهو:

١- مسند أحمد. مسند العشرة. مسند عمر بن الخطاب –رضي الله عنه – رقم الحديث ٢٠٨.

المبحث الرابع

الكرامة الإنسانية

المطلب الأول: تمهيد وتعريف

عنوان هذا الباب هو قول الحق – تعالى –﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[1].

الكرامة الإنسانية هبة، ونفحة إلهية، وعطاء رباني للإنسان، اختصَّه الله – عزَّ وجل – من بين خلقه بأنْ كرَّمه وفضَّلَه وشرَّفه، فللإنسان شأنٌ ليس لسائر المخلوقات؛ فقد خلَقَه البارئُ تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته؛ إكرامًا، واحترامًا، وإظهارًا لفضله، واتَّخذ – سبحانه – من هذا الإنسانِ الخليلَ، والكليمَ، والوليَّ، والخواصَّ، والأحبار، وجعله مَعْدِنَ أسراره، ومَحلَّ حكمته، وموضِعَ مثوبته.

ولهذا كله كان **الحفاظ على الكرامة الإنسانية، وتحقيقها، مبدأ من مبادئ الحكم وسياسة الأمة، المبنية على تعاليم القرآن الكريم، فلا يستقيم أبداً في شريعة الإسلام، وأحكام القرآن، نظام من الحكم لا يراعي هذا المبدأ ويُعليه ويحرص على صيانته لجميع من يحيى تحت حكمه مسلماً كان أو غير مسلم.**

" والإِكْرَامُ والتَّكْرِيمُ : أن يُوصِل إلى الإنسان إكرام ، أي : نفع لا يلحقه فيه غضاضة ، أو أن يجعل ما يوصل إليه شيئا كَرِيماً ، أي : شريفا "[2]. وأيضاً " **التَّكريم هو اسم جامعٌ لكلِّ الخَيْر والشَّرَف والفضائل** "[3].

١- سورة الإسراء. آية: ٧٠.

٢- المفردات في غريب القرآن. ص / ٧٠٧

٣- أبو السعادات، المبارك الجزري، "النهاية في غريب الحديث والأثر"، حرف الكاف (باب الكاف مع الراء) تحقيق: الزاوي، والطناحي. المكتبة العلميَّة- بيروت. ١٣٩٩هـ.

المطلب الثاني: الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم

يمكن لنا استخلاص معالم مبدأ الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم[١] على النَّحو التالي:

أولاً تكريم الذات: يتجلى تكريم الله – تعالى – للذات الإنسانية في كثير من الآيات منها: قوله – جل شأنه – ﴿ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾[٢]. أي: خلقكم في أحسن صورة، كما قال ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[٣]. قال القرطبي: " فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وهو اعتداله واستواء شبابه....وقال أبو بكر بن طاهر: مزينا بالعقل، مؤديا للأمر، مهديا بالتمييز، مديد القامة، يتناول مأكوله بيده... ابن العربي: ليس لله تعالى خَلْقٌ أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حيا عالما، قادرا مريدا متكلما، سميعا بصيرا، مدبرا حكيما "[٤].

ثانيًا: الإيجاد: من إكرام الله للإنسان أنْ أوجَدَه بعدما لم يكن شيئًا مذكورًا، ولا يُعرف له أثر؛ قال – عزَّ وجلَّ –: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴾[٥]. والمعنى أنه كان جسَدًا مصوَّرًا، ترابًا وطينًا، لا يُذْكَر ولا يُعرَف، ولا يُدْرَى ما اسْمُه؟ ولا ما يُراد به، ثُمَّ نَفَخ فيه الرُّوح فصار مذكورًا.

" وقال يحيى بن سلام: **لم يكن شيئًا مذكورًا في الخَلْق، وإن كان عند الله شيئًا مذكورًا**"[٦].

١- مستفاد من الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم. د. عبدالحكيم درقاوي. بتصرف وزيادة وصياغة جديدة.رابط الموضوع: http://www.alukah.net/Sharia/0/27723/#ixzz2WOHeUtWE :

٢- الجامع لأحكام القرآن ٢٠ / ١١٤.

٣- سورة التين. الآية: ٤.

٤- سورة غافر. من الآية: ٦٤، وسورة التغابن. من الآية: ٣.

٥- سورة الإنسان. آية: ١.

٦- الشوكاني، محمد بن علي، "فَتْح القدير الجامع بين فنَّي الرواية والدراية من علم التفسير". ٥ / ٤٥٠. ط٣ مؤسسة الريان – بيروت. ٢٠٠٤

ثالثًا: خلْقتُه على الفطرة:

من كرامة الإنسان أنْ خلَقَه الله مجْبولاً على الإيمان؛ قال سبحانه: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]. ومعناه: " أنَّه تعالى ساوى بين خلْقِه كلِّهم في الفطرة على الجبِلَّة المستقيمة، لا يُولَد أحدٌ إلاَّ على ذلك، ولا تَفاوُتَ بين الناس في ذلك "[2].

رابعًا: الخلافة وإعمار الأرض:

تعكس خلافة الإنسان في الأرض أسْمَى مراتب التَّكريم الإلَهي؛ قال – تعالى –﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3].

ومن هذا تذكير صالح عليه السلام لقومه بهذا الشرف والتكريم: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾[4].

والخلافة في الأرض نعمة، ومكرمة يمنُّ بها على عباده فيقول – عزَّ مِنْ قائل – ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[5].

خامسًا: تسخير ما في الكون لِخدمة الإنسان:

ومن أعظم دلائل التكريم أن سخَّر الله – عزَّ وجل – للإنسان السَّموات والأرض وما بينهما؛ ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ

١- سورة الروم. آية: ٣٠.

٢- تفسير القرآن العظيم. ٣ / ١١٤

٣- سورة البقرة. آية: ٣٠.

٤- سورة هود. الآية: ٦١.

٥- سورة النمل. الآية: ٦٢.

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ ﴾[1].

وقال – تعالى – أيضًا: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَأَسۡبَغَ عَلَيۡكُمۡ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴾[2].

وفي الآيات، ينبه الله – تعالى – خلقه على أوجه إنعامه عليهم " بأنه سخر لهم ما في السموات من نجوم يستضيئون بها في ليلهم ونهارهم، وما يخلق فيها من سحاب وأمطار وثلج وبرد، وجعله إياها لهم سقفا محفوظا، وما خلق لهم في الأرض من قرار وأنهار وأشجار وزروع وثمار. وأسبغ عليهم نعمه الظاهرة والباطنة "[3].

سادسًا: تهيئة الإنسان بالعلم والقدرة على الفكر وهدايته لمفاتيح المعرفة والإدراك:

مَيَّز الله – عزَّ وجلَّ – الإنسان بالعلم والمعرفة، ومنحه القدرة على الفكر، والإدراك، تكريماً له، وتيسيراً لعيشه، وعوناً له في حياته الدنيا ليحصل ما يسعد به في الآخرة. فخلق آدم معلَّماً قال – تعالى –﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ﴾[4]. وألْهَمَه وضْعَ الأسماء للأشياء؛ وخلق فيه قوَّة النُّطق ، وجعله قادرًا على وضع اللُّغة، قال – تعالى – ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ﴾[5]. وقد كان العلم والبيان سببًا لتفضيل الإنسان على غيره من الكائنات.

ولِاسْتيعاب الإنسان للعلوم وتعلُّمِها وتعليمها، أودَع اللهُ – تعالى – فيه مفاتيح المعرفة من (التفكُّر، النَّظر، العقل، البصر، القلب، اللُّب...). قال – سبحانه – ﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۙ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾[6].

١- سورة إبراهيم. آية: ٣٢ – ٣٤.

٢- سورة لقمان. آية: ٢٠.

٣- تفسير القرآن العظيم. ٣ / ٣٤٧

٤- سورة البقرة. من الآية: ٣١.

٥- سورة الرحمن. آية: ٣ – ٤.

٦- سورة النحل. آية: ٧٨.

وحثهم – عزَّ وجل – على استخدام أدوات التكريم، التي هيأها لهم؛ ليهتدوا، وليتعلموا، وليعملوا، فقال – سبحانه – ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُواْ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴾[1]. وقال – تعالى – ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴾[2]. وقال – تعالى – ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[3]. فهذه المفاتيح المعرفيَّة تَسْمو بالإنسان إلى الطَّاعة والخضوع لله – جل جلاله – ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[4]. وتُجَرِّده عن التَّبَعية المطْلقة والتقليد الأعمى.

سابعًا: ضمان حقوق الإنسان:

صان الإسلام كرامة الإنسان، وضمن حقوقه، وحرم التعدي عليه، بل ووضع جملة من العقوبات والحدود، جزاءً لكل من تسول له نفسه العدوان، والبغي على حق من حقوق الإنسان، وقد سبق لنا الكلام على هذه المسائل باستفاضة في مقاصد الحكم بالفصل الثاني من هذا البحث، فلا نعيد ونكتفي بالإحالة إليه.

وحَرَصَ الحكم الإسلامي على تحقيق كرامة الإنسان، أي إنسان في أي زمان ومكان، فلا قهر ولا تعذيب ولا تمثيل ولا حق لبشر أن ينتهك كرامة بشر آخر، ولا حق لجماعة بشرية ولا طائفة ولا دولة أن تنتهك حقوق الآخرين. وحرص الإسلام أيّما حرص على صيانة حرمات الناس، قال الله – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ

١- سورة الأعراف. آية: ١٨٥.

٢- سورة الروم. آية: ٨.

٣- سورة آل عمران. آية: ٧.

٤- سورة فاطر. آية: ٢٨.

وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ [1].

" إن المجتمع الفاضل الذي يقيمه الإسلام بهدى القرآن مجتمع لكل فرد فيه كرامته التي لا تمس.. ولمز أي فرد هو لمز لذات الجماعة كلها ،...وهذا النص يقيم سياجا حول حقوق الناس الذين يعيشون في مجتمعه النظيف ، فلا يؤخذون بظنة ، ولا يحاكمون بريبة، ..**فإن للناس حرياتهم وحرماتهم وكراماتهم** التي لا يجوز أن تنتهك في صورة من الصور ، ولا أن تمس بحال من الأحوال "[2]. ومن هذا المبدأ الراسخ، ننتقل إلى مبدأ آخر، من مبادئ الحكم، وسياسة الأمة في القرآن الكريم، وهو الحرية، ونتناولها في مبحثنا التالي – بعون الله وفضله –.

١- سورة الحجرات. آية: ١١ – ١٢.

٢- في ظلال القرآن. ٦ / ٣٣٤٥ – ٣٣٤٦. بتصرف

المبحث الخامس

الحرية

المطلب الأول: توطئة وتعريف

خلق الله الناس أحراراً، متساوين في الإنسانية، ليس فيهم سادة وعبيد، قال الله – تعالى –﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾[1].

بيان واضح أن أصل الناس كلهم واحد، لا فضل لأحدهم إلا بالتقوى، وإذا كان أصل الخلق واحداً؛ فالكل متساوون في الحقوق والواجبات، أحرار، فلا يُسْتَعبدون.

و**الحُرُّ** : " الخالص من الشوائب، والكريم، ومن الأشياء: أفضلها، ومن القول أو الفعل: الحسن منه. يقال: ذهب حر – لا نحاس فيه، وفرس حر: عتيق الأصل، **والحر**: ضد العبد، (**ج**) أحرار، (**الحرية**) الخلوص من الشوائب أو الرق أو اللؤم "[2].

" ينصرف هذا اللقب الشريف في مجاري خطابنا إلى معنى يقارب **استقلال الإرادة**، ويشابه معنى العتق الذي هو فك الرقبة من الاسترقاق، وهو **أن تعيش الأمة عيشة راضية تحت ظل ثابت من الأمن**، على قرار مكين من الاطمئنان، **ومن لوازم ذلك، أن يُعَيَّن لكل واحد من أفرادها حدٌّ، لا يتجاوزه، وتُقَرَّر له حقوق، لا تعوقه عن استيفائها يدٌ غالبة** "[3].

١- سورة الحجرات. آية: ١٣.

٢- القاموس المحيط. باب: الراء فصل: الحاء. ص / ٤٧٨. والمعجم الوسيط. باب: الحاء مع الراء. ص / ١٦٥. لسان العرب. باب الحاء. ٣ / ١١٧. بتصرف

٣- حسين، محمد الخضر، شيخ الأزهر. الحرية في الإسلام ص / ١٧. دار الاعتصام. محاضرة ألقيت في ١٧ ربيع الثاني ١٣٢٤هـ.

المطلب الثاني: الحرية في القرآن الكريم

مرت على الناس عُصُور، وحضارات، تنكرت لهذا الأصل العظيم، فاستعبدت البشر بشتى الوسائل، وقسموهم إلى سادة لهم كل الحقوق، ويتمتعون بكل المزايا، والقسم الآخر هو قسم العبيد الأرقاء، بلا حقوق إنسانية، ولا اعتبار لهم، ولا منزلة اجتماعية، يُسامون الذل والصغار، ويلاقون صنوف القهر، والاستعباد، "كما فعل فرعون مع بني إسرائيل،﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[1].

وقد امتن الله على بني إسرائيل لما نالوا الحرية بعد استعبادهم، وقد ذاقوا ذل العبودية لفرعون وقومه فقال – سبحانه – ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾[2].

وكان فرعون يمن على موسى أنه لم يستعبده كما استعبد قومه، فكان رد موسى، ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[3]. فأنا واحد، وقومي هؤلاء جميعاً، فأين منتك عليَّ في أن لم تستعبدني، وأنا فرد واحد، واستعبدت قومي على كثرتهم وعددهم "[4].

فلما أذن الله – تعالى – لشمس الإسلام بالإشراق، ولدينه بالظهور، أنزل – سبحانه – على عبده – صلى الله عليه وسلم – كلمته الباقية، وشريعته الخاتمة، وضمَّنها كل خير تصلح عليه المجتمعات، وبيَّن فيها سبل الاستقرار والاطمئنان، ومن أعظم ذلك بيان تلك المبادئ السامية، التي يقوم عليها الحكم، وسياسة الأمة، والتي كان منها هذا **المبدأ العظيم**:

١- سورة القصص. آية: ٤.

٢- سورة البقرة. آية: ٤٩.

٣- سورة الشعراء. آية: ٢٢.

٤- الشحود، علي بن نايف. مفهوم الحرية بين الإسلام والجاهلية. ص / ٦. طبعة المؤلف. الطبعة:الأولى. ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.

الحرية، الذي رسمت خطوطها، وأبانت عن معالمها، وحدَّدت ضوابطها، آيات القرآن الكريم، وسوف نتناول في النقاط التالية معالم هذا المبدأ في الكتاب العزيز.

- **حرية الإرادة الإيمانية :**

فالإيمان بالله لا يكون وراثيًّا، كما لا يكون منَّةً، ولا أمرًا مفروضًا، **ولكن يكون بفِعْل إرادة فرديَّة حُرَّة، وهداية ربَّانيَّة جليلة:** يقول الله – تعالى – ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[1].

فإيمانهم موكول إلى أنفسهم، يختارون ما يريدون، ويتحملون تبعات اختيارهم، ومثلها معنىً؛ قول الله – جلَّ وعلا – ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾[2]. " لقد خلق الله الإنسان حراً، وخلق بني آدم أحراراً، ليسوا بعبيد للعبيد، وهذا هو الأصل فيهم، والله عز وجل أعطى الإنسان إرادة، ومشيئة، واختياراً، فليس العبد مجبوراً على عمل، وإنما هو حر في اختياره ومشيئته، وبناء على هذه الحرية في الاختيار والمشيئة؛ يحاسبه الله عز وجل، فلو كان العبد مكرهاً مجبراً لا حرية له في الاختيار، فإن الله لا يؤاخذه على أفعاله، قَالَ رَسُولُ اللهِ – صلى الله عليه وسلم – (إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ)[3]..... "[4].

- **انتفاء الإكراه والإيمان القسري**

يقول – سبحانه – ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾[5].

١- سورة الكهف. آية: ٢٩.

٢- سورة الإنسان. آية: ٢ – ٣.

٣- رواه البيهقي. السنن الكبرى . ٧ / ٥٨٤ رقم الحديث: ١٥٠٩٤. عن ابن عباس – رضي الله عنهما – الناشر : مجلس دائرة المعارف النظامية – الهند – حيدر آباد. الطبعة الأولى . ١٣٤٤ هـ

٤- مفهوم الحرية بين الإسلام والجاهلية. ص / ٥.

٥- سورة البقرة. آية: ٢٥٦.

" أي لا تكرهوا أحدا على اتباع الإسلام قسرا، وجيء بنفي الجنس لقصد العموم نصا. وهو دليل واضح على إبطال الإكراه على الدين بسائر أنواعه، **لأن أمر الإيمان يجري على الاستدلال، والتمكين من النظر، وبالاختيار** "[1].

وللتأكيد على الحُرِّية، وانتفاء القهر، والقسر، والإكراه؛ تأتي في القرآن الكريم آياتٌ عديدة تُذَكِّر النبِيَّ – صلَّى الله عليه وسلَّم – بِحُدوده الدَّعَوية، ومن هذه الآيات: قوله – تعالى – ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴾[2].

وتأتي آيات سورة الأنعام؛ لترفع راية الحرية، وتنفي سلطان القهر عن النبي – صلَّى الله عليه وسلَّم – بالكلية، وتقرر ذلك ببيان واضح، قال – سبحانه –﴿ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ **وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ** ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكُواْۚ **وَمَا جَعَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ** ﴾[3].

ومثلها في التأكيد على هذا المبدأ قوله – جل وعلا – ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴾[4].

والبيان الأرقى في قوله – تعالى – ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾[5].

والآية خطاب صريح للنبي محمد – صلى الله عليه وسلم – أنه ليس عليه، بل وليس له، أن يُلجئ أحداً إلى الإيمان، ولا أن يلزمهم به، فقد جعلهم الله أحراراً فيما يختارون من العقائد، متحملين تبعات اختيارهم في الدنيا، ومحاسبين عليها في الآخرة.

١- تفسير التحرير والتنوير. ٢/ ٤٩٩. بتصرف.

٢- سورة النساء. آية: ٨٠.

٣- سورة الأنعام. آية: ١٠٤ – ١٠٧.

٤- سورة الزمر. آية: ٤١.

٥- سورة يونس. آية: ٩٩.

- **العبودية لله وحده والتحرر من كل ما دون الله:**

وللتأكيد على احترام حرية الإنسان؛ كان خضوعه التام، وطاعته الكاملة، خالصة لربه، وخالقه، ومولاه، ليس لأحد فيها شيء، ولا وجود لأيَّ وساطة بين الله – عزَّ وجلَّ – وعبْدِه.

قال الله – تعالى – ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾[1].

ومثله قوله – عز وجل – ﴿ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴾[2].

فلا تستقيم حياة الإنسان إلا إذا كان عبداً لمعبود واحد وهو الله عز وجل، قال الله – تعالى – ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[3].

فالعبودية لله تعالى لا شريك له، قال – سبحانه – ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾[4].

وعندما يصبح الإنسان عبداً لله وحده؛ يتحرر من أسر المخلوقات، ويتحرر من مخاوفه كلها، فلا خوف على أجل ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا ﴾[5]. ولا خوف على رزق ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾[6]. بل اطمئنان ويقين ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ

١- سورة الفاتحة. آية: ٥.

٢- سورة النحل. آية: ٥١.

٣- سورة الذاريات. آية: ٥٦.

٤- سورة البينة. آية: ٥.

٥- سورة آل عمران. آية: ١٤٥.

٦- سورة هود. آية: ٦.

إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[1].

• حرية التنقل والكسب المشروع

والمقصود بها أن يكون الإنسان حراً في السفر والتنقل داخل بلده وخارجه دون عوائق تمنعه. والتنقل بالغدو والرواح حق إنساني طبيعي، تقتضيه ظروف الحياة البشرية من الكسب والعمل وطلب الرزق والعلم ونحوه، ذلك أن الحركة شأن الأحياء كلها، بل تعتبر قوام الحياة وضرورتها وقد جاء تقرير حرية التنقل في قوله – تعالى – ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ﴾[2]. ولما كان المال معونة على الدين، ولا حياة طبيعية بدونه؛ كان فتح المجال واسعاً للمسْتَرْزِقين، يتكسبون أرزاقهم بكل عمل لا يتبع صاحبه أذى، ولا يلحق غيره ضرر، قال الله – تعالى – ﴿ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾[3]. وقال سبحانه ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[4].

يعني: إذا فرغتم من الصلاة فانتشروا في الأرض للتجارة والتصرف في حوائجكم. ﴿ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ﴾ أي من رزقه.

ولأجل تمكين الناس من التمتع بحرية التنقل، والكسب؛ حرم الإسلام الاعتداء على المسافرين، والتربص لهم في الطرقات، وأنزل عقوبة شديدة على الذين يقطعون الطرق، ويروعون الناس بالقتل، والنهب، والسرقة، قال– تعالى – ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[5].

١- سورة الزمر. آية: ٣٨.

٢- سورة الملك. آية: ١٥.

٣- سورة المزمل. آية: ٢٠.

٤- سورة الجمعة. آية: ١٠.

٥- سورة المائدة. آية: ٣٣.

• حرية التفكير والتعبير

دعا القرآن الكريم الإنسان لتقليب ناظريه في صفحات الكون المليئة بالحقائق المتنوعة، والظواهر المختلفة، لمعرفة طبيعتها ومدى قابليتها للتفاعل، والتأثير، ولاستخدامها لمصلحته مع بني جنسه؛ ولا يتأتى ذلك إلا بالنظر وطول التفكير، والغاية من ذلك إظهار الحق وإخماد الباطل، ومنع الظلم ونشر العدل، ويمكن لنا رصد بعض الأمثلة على ذلك في نقاط معدودة:

١- التأكيد على ضرورة البرهان والدليل لإثبات الدعاوى المختلفة.

قال – تعالى – ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾[1]. وقال – سبحانه – ﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[2].

وقال – جل وعلا – ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾[3].

٢- الأمر بالجدال والتحاور بالتي هي أحسن

وما يستتبع ذلك من جهر الناس بآرائهم والدفاع عنها في جو من الاطمئنان والحرية المسئولة. قال الله – سبحانه – ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[4].

١- سورة الأنبياء. آية: ٢٤.

٢- سورة البقرة. آية: ١١١.

٣- سورة الأنعام. آية: ١٤٨.

٤- سورة النحل. آية: ١٢٥.

وقال – تعالى – ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴾[1].

وفي الآيتين توجيه صريح إلى جواز الجدال والتحاور، وحثٌّ على أن يكون بأحسن وأرفق الطرق، من غير أن يُظْلَمَ طرفٌ من الأطراف المتحاورين، ويترتب على ذلك تمتع المتحاورين بحرية عظيمة في التفكير والتعبير.

٣- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

وهذه النقطة من أكبر أمارات حرية التعبير، فلا يسكت الناس عن الباطل خوف عقاب، أو إرهاب ظالم، بل يصدحون بالحق ويأمرون به، وينكرون الباطل ويحذرون منه. قال – تعالى – ﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[2].

وقال – عزَّ من قائل – ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[3].

فأمر الله عباده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفرضه عليهم، وجعله سبب خيريتهم على الناس، فارتفعت حرية التعبير بذلك إلى مرتبة الفرائض، في مجتمعات الإسلام التي ينبغي لها أن تحمل رايته، وتُحَكِّم شريعته.

٤- الأمر بالشورى

والشورى نوع من توظيف سامي، لحرية التعبير عن الرأي؛ لتكون في مصلحة الجماعة المسلمة، وحين يجد الناس صلاح أمرهم بالشورى، يحرصون عليها ويعتادونها، مما ينعكس

١- سورة العنكبوت. آية: ٤٦.

٢- سورة آل عمران. آية: ١٠٤.

٣- سورة آل عمران. آية: ١١٠.

ولابد على مناخ الحرية المسئولة في المجتمع. وقد وُصِفَ المجتمع المسلم في قول الحق – سبحانه – ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[1].

وقد أمر الله تعالى نبيه بها فقال– عز وجل – ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[2].

بهذه النقاط الجليلة حول الحرية نختتم هذا المبحث، وننتقل بعون الله إلى المبحث التالي وهو:

١- سورة الشورى. آية: ٣٨ .

٢- سورة آل عمران. آية: ١٥٩.

المبحث السادس

الوَحْدَة

من أعظم مبادئ الحكم والسياسة في الإسلام، **الحفاظ على وحدة الأمة، والحرص على اتحادها، وتآلفها تحت راية واحدة،** تُكَوِّن أجزاءَها مبادئُ العدل، والمساواة، والشورى، والحرية، وصيانة الكرامة الإنسانية.

المطلب الأول دواعي وحدة المسلمين

وحدة الأمة المسلمة وحدة حقيقية، بكل ما تعنيه هذه الكلمة، بحيث صارَت أمة الإسلام كالجسد الواحد ، وكالبنيان المرصوص، إنها وحدة **تأسست على عدة دعائم:**

- **اجتماعهم على إلهٍ واحد،** قال- عز وجل - ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾[1].

- **ورسولٍ واحد،** قال- جل وعلا - ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2].

- **وكتابٍ واحد،** قال - تعالى - ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[3].

- **ودين واحد،** قال - سبحانه — ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[1]. لا يقبل ديناً سواه ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[2].

١- سورة طه. آية: ٩٨.

٢- سورة الأعراف. آية: ١٥٨.

٣- سورة النحل. آية: ٨٩.

- **وقبلة واحدة،** قال – تعالى – ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾[3].

- **وعلى ما سبق تشكلت ملامح الأمة الواحدة** قال – عز وجل – ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[4]. وقوله – سبحانه – ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾[5]. ولم تكن هذه الوحدة يومًا ما مبنيةً على اللغة؛ لأن اللغة وحدها قد يتجاذبُها كافرٌ ومسلم، إضافةً إلى أن اللسان وحده لم يكن يومًا ما سبيلاً للوحدة، ولم تكن الوحدة يومًا ما قائمةً على الإقليمية والجنس، فالإسلام لا يُقيم للجنس وزنًا؛ لأن الناس كلهم لآدم، وآدم من تراب. **وإنما قامت هذه الوحدة على أساسٍ جمع أرواح الناس قبل أن يجمع أجسادهم، وأقنع العقول بعد أن سيطر على القلوب،** ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[6]. **هذا الأساس كله هو عقيدةُ الإيمان التي أرادها الله للبشر عامة،** ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴾[7].

١- سورة آل عمران. من الآية: ١٩.

٢- سورة آل عمران. آية: ٨٥.

٣- سورة البقرة. آية: ١٣٨.

٤- سورة الأنبياء. آية: ٩٢.

٥- سورة المؤمنون. آية: ٥٢.

٦- سورة الحجرات. من الآية: ١٠.

٧- سورة البقرة. آية: ١٤٤.

المطلب الثاني وجوب تحقيق وحدة المسلمين

جمع الله – تعالى – بالإسلامُ الناسَ بعد فُرقة، وأعزَّهم بعد ذِلَّة، ونصرهم بعد هزيمة، وألَّف بينهم بعد تنافُر، كما قال – سبحانه – ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1]. فالأمة المسلمة جماعة متآلفة، ذات صفات متميزة عن غيرها من الأمم، ويكفي هذه الأمة شرفاً أن الذي جمعها، وآلف بين قلوبها، هو رب العالمين – جلَّ جلاله –.

وقد أوجب الله – تعالى – على عباده المؤمنين أن يكونوا دائماً متحدين مجتمعين وبدينهم وكتابهم متمسكين ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[2]. فأمر الله – عزَّ وجل – الجماعة المسلمة بالاجتماع على منهجه القويم، والاعتصام بحبله المتين، ونهاهم عن التفرق والشقاق، وذكَّرهم بسالف عهدهم وما كان بينهم من العداوة، والبغضاء، ثم إنعام الله – تعالى – بالألفة والأخوة فأنقذهم بها من النار، فلا يسوغ لعاقل، ولا يُقْبَل من مؤمن أن يترك هذه الوحدة، والألفة، أو يفرق هذا الاتحاد، أو يكون سبباً في تمزيق شمل المؤمنين الملتئم.

وكما أمر سبحانه بالاجتماع، والاتحاد، فقد نهى عن التفرق، والاختلاف، والتنازع، وفي هذا المعنى يأتي قوله – تعالى – قريباً من الآية السابقة ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[3].

إن أمتنا لا رُقيَّ لها إلا بالإسلام، ولن يكتمِل إسلامُها إلا بوحدتها، ولن يتحقَّق نصرُها إلا باجتماعها، وليس لانتصارها وهزيمتها علاقةٌ بقوة العدو أو ضعفه، بقدر ما هو لتفرُّقها وتنافُرها، ومتى دبَّ التحاسُد والتباغُض، والتدابُر والظلم وقلة الإنصاف في صفوف بنيها

١- سورة الأنفال. آية: ٦٣.

٢- سورة آل عمران. آية: ١٠٣.

٣- سورة آل عمران. آية: ١٠٥.

فإنها الخسارة والضعف والخذلان لا محالة، والله – جل وعلا – يقول: ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[1].

بهذه المبادئ العظيمة – عند تطبيقها – ترقى الأمة، وتنصلح أحوالها، وتعطي المثل الحي الواقعي على ما حمله حكم الإسلام للبشرية من خير، وقواعد تستقيم عليها حياتهم.

ومن هذه المبادئ الجليلة للحكم وسياسة الأمة في ننتقل – بعون الله – للفصل السادس وفيه الكلام حول خصائص الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم.

١- سورة الأنفال. آية: ٤٦.

الفصل السادس

خصائص الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم

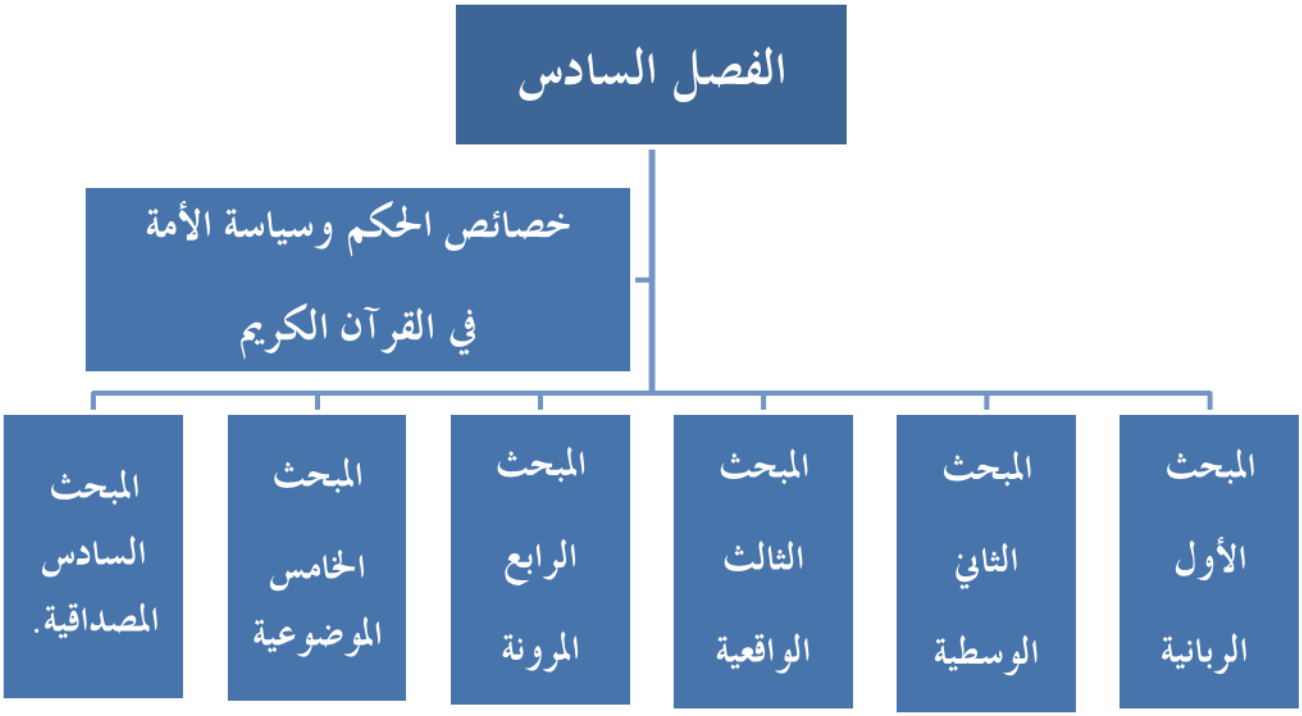
الفصل السادس
خصائص الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم
المبحث الأول الربانية
المبحث الثاني الوسطية
المبحث الثالث الواقعية
المبحث الرابع المرونة
المبحث الخامس الموضوعية
المبحث السادس المصداقية.

المبحث الأول

الربانية

المطلب الأول: معني الربانية وحقيقتها

الربانية نسبة إلى الرب – جل جلاله – " و(الرب) اسم الله تعالى، ولا يقال الرب في غير الله إلا بالإضافة، مثل: رب البيت، ومعناه: المالك والسيد والمربي والقيم والمنعم والمدبر والمصلح، (ج) أرباب ورُبُوب.

والرِّبِّيُّ والرَّبّانِيُّوْنَ: نُسِبُوا إلى الرَّبِّ تَبَارَكَ وتَعَالى، وزيادة الألف والنون هنا للمبالغة، ويقال: علم لدني أي علم رباني يصل لصاحبه عن طريق الإلهام "[1].

فَوَصْفُ الحكم وسياسة الأمة بالربانية من أعظم خصائصه في القرآن الكريم، ونعني بذلك أنه متصل بالله – تعالى – خاضع تماماً للمنهج الإلهي في معالجة شئون الحياة، ملتزم بتوجيهات الحق – تعالى – لا يتقدم عليه، ولا يتأخر عنه، يسير وفق قواعد راسخة، لا تتحول، ولا تتبدل، تُصْلِحُ كل زمان ومكان، لا يد لأحد من البشر فيه، لأنه وحي من الله سبحانه ، يحدد للأئمة والحكام ملامح الحكم الفاضل المرضي عنده – سبحانه – والعبادات المقبولة بين العباد وربهم، والمعاملات الصحيحة بين الناس بعضهم البعض، ويرسم للأمة طرق العيش القويم في ظلال خطاب موجه من رب العالمين للثقلين، وهو أعلم بمن خلق، أعلم بما يصلح شئونهم، ويقوِّم سلوكياتهم، وما يُحَصِّلون به صلاح الدين والدنيا، ويوفر لهم الحياة الطيبة السعيدة.

١- تاج العروس من جواهر القاموس. ٢ / ٤٥٩ : ٤٦٢. باب الباء الموحدة فصل الراء، المعجم الوسيط ١ / ٣٢١. باب الراء مع الباء.

المطلب الثاني: الربانيون وربانية الحكم والسياسة في القرآن الكريم

كل من التزم بهذا الطريق الإلهي المرسوم للمؤمنين عبر العصور فهم الربانيون حقاً، ونقرأ في الكتاب الكريم بأوضح الألفاظ وأبينها قال الله – تعالى-: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ ﴾[1].

وقال الله – سبحانه -: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

وقال – جل جلاله -: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ ﴾[3].

هذه هي الربانية في الحكم، فقد ذكر – تعالى – في الآيتين الأوليين التوراة، والإنجيل ومدحهما؛ لما اشتملا عليه من الهدى، والنور، والخير، والنفع للبشرية، وأمر أهل الكتاب بإقامتهما واتباع ما فيهما، وتحكيمهما، وفي الآية الثالثة ذكر – تعالى – القرآن العظيم، الذي أنزله على رسوله الكريم بالصدق الذي لا ريب، أميناً وشهيداً وحاكماً على الكتب المتقدمة، وجمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، وأمره – عليه الصلاة السلام – بالحكم به، ونهاه عن مخالفته، واتباع أهوائهم؛ لأن كل حكم يخالف حكم الله هو ردة للجاهلية ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[4].

١- سورة المائدة، جزء الآية: ٤٤.

٢- سورة المائدة، آية: ٤٦.

٣- سورة المائدة، جزء الآية: ٤٨.

٤- سورة المائدة. آية: ٤٩ : ٥٠.

والحكم في القرآن الكريم ليس إلا للرب – عز وجل – فكما أنه – سبحانه – تفرد بخلقهم ورزقهم وتدبيرهم؛ فإنه – عز وجل – **تفرد بالحكم بينهم**، ولنقرأ هذا البيان الواضح في قوله – سبحانه –: ﴿ **إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ** ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[1]

وقال – تبارك وتعالى –: ﴿ **إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ** ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[2]

وشرائعه – تعالى – هي التي يجب أن تحكم هذه الأرض ، وهي التي يجب أن يتحاكم إليها الناس، وهي التي يجب أن يقضي بها الأنبياء ومن بعدهم من الحكام، يقول الله – تعالى – لداود – عليه السلام: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[3].

وقال – عزَّ من قائل –: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾[4].

وقوله – سبحانه –: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ ۚ ﴾[5].

وقوله – سبحانه – لنبيه ومصطفاه – صلى الله عليه وسلم –: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ ﴾[6].

١- سورة يوسف. من الآية: ٤٠.

٢- سورة يوسف. من الآية: ٦٧.

٣- سورة ص، آية: ٢٦.

٤- سورة الحديد، آية: ٢٥.

٥- سورة البقرة، آية: ١١٣.

٦- سورة النساء، من الآية: ١٠٥.

فليس للحكام خيار مع حكم الله، وحكم رسوله، ليس لهم مع هذه الأحكام إلا الطاعة والقبول والإذعان ، مع الرضى والثقة والاطمئنان.

قال – سبحانه –: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[1] .

وقال – تعالى –: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴾[2] .

ولاشك أن قيام الحكم – في أي أمة – على هدي من توجيهات خالقها، ومولاها لهو أعظم الضمانات على الحكم الرشيد، والعيش السعيد.

والله أسأل أن يبرم لهذه الأمة عهداً رشيداً، بالحكم الرباني، والحاكم الرباني، والرعية الربانيين.

وإلى خاصية أخرى من خصائص الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم

١- سورة النساء. آية: ٦٥.

٢- سورة الأحزاب. آية: ٣٦.

المبحث الثاني

الوسطية

المطلب الأول: تعريف الوسطية وحقيقتها

" الوَسَط بالتحريك المعتدل يقال شيء (وَسَطٌ) أي بين الجيد و الرديء و عبد (وَسَطٌ) وأمة (وَسَطٌ) ومِنْهُ قَوْلُه تَعالَى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ ، قال الزّجاجُ : فيه قَوْلانِ ، قال بَعْضُهُم : أَيْ عَدْلاً ، وقالَ بَعْضُهُم : خِيَاراً . اللَّفْظَانِ مُخْتَلِفَانِ والمِعْنَى وَاحِدٌ ، لأَنَّ العَدْلَ خَيْرٌ ، والخَيْرَ عَدْلٌ "[1].

وعلى هذا المعنى فالوسطية هي الخيرية والعدالة، هي التوازن في كل الأمور، بعيداً عن الإفراط والتفريط، في منأى عن الشطط، والغلو، والانحراف، والتقصير.

والأمة الوسط، هي الأمة الإسلامية باعتدالها، واستقامتها على أخلاق وقيم الإسلام، وبها تُعْرف دون الأمم، بل هي ميزة ميزها الله تعالى بها على غيرها، قال – سبحانه – ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: " قد خص الله تبارك وتعالى محمدًا صلى الله عليه سلم بخصائص ميّزه الله بها على جميع الأنبياء والمرسلين، وجعل له شِرْعة ومنهاجًا أفضل شرعة، وأكمل منهاج مبين، كما جعل أمته خير أمة أخرجت للناس؛ فهم يوفون سبعين أمة هم خيرها، وأكرمها على الله من جميع الأجناس، هداهم الله بكتابه ورسوله لما اختلفوا فيه

١- تاج العروس من جواهر القاموس. ٢٠ / ١٦٧. باب الطاء فصل الواو، مختار الصحاح ١ / ٧٤٠. باب الواو مع السين والطاء.

٢- سورة البقرة. من الآية: ٣٦.

من الحق قبلهم، وجعلهم وسطًا عدلا خيارًا؛ فهم وسط في توحيد الله وأسمائه وصفاته، وفي الإيمان برسله وكتبه، وشرائع دينه من الأمر والنهي والحلال والحرام "[1].

فلا تكون الأمة وسطاً حتى تحمل هذه القيم، وتحافظ عليها، وتعمل بها، وتسعى في تحقيقها؛ لتستحق بذلك أن توصف بقوله – تعالى – ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[2].

المطلب الثاني: وسطية الحكم وسياسة الأمة في القرآن

وكما أن الأمة الإسلامية أمة وسط، في عقيدتها، وعبادتها، ومعاملاتها، فهي أيضاً أمة وسط في سياساتها ونظم حكمها.

فالحكم الإسلامي ليس نظاماً جبرياً تسلطياً، أو كما يطلقون عليها ديكتاتورياً؛ كما أنه ليس نظاماً فوضوياً، بل حكم رشيد، رحيم، قائم على مرتكزات عظيمة من العدالة، والمساواة، والشورى، والكرامة الإنسانية، والحرية المنضبطة بأحكام الشرع ([3]).

والحكم الإسلامي أيضاً ليس حكماً ثيوقراطياً كهنوتياً، يحكم فيه علماء الدين، وشيوخ العلم؛ وكذلك ليس حكماً مبتوت الصلة بالدين، بل يحكم فيه أولو الأمر من الرؤساء، والأمراء، ويُستشار فيه العلماء، وتراعي فيه قواعد الشرع المنزل من رب العالمين. قال الله – تعالى – ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[4].

١- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. ١ / ٦٩. ط الأولى ١٤١٤هـ. دار العاصمة – الرياض .

٢- سورة آل عمران. جزء الآية: ١١٠.

٣- ورد ذلك كله بالتفصيل في هذا البحث بالفصل السادس. فلا نعيده هنا.

٤- سورة النساء. آية: ٥٩.

قال الله – تعالى – ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[1]

فالوسطية لا تقدم للناس دولةً كهنوتية، تلغي سلطة الساسة وتهمشهم، ولا هي تلغي دور علماء الدين؛ فهي وسط تجعل الساسة هم قادة التدبير، وتجعل لعلماء الدين دورهم في ترشيد سيرها. قال الله – تعالى – ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[2].

إن الوسطية سمة عظيمة، وخاصية جليلة، تتصف بها هذه الأمة، في التصور والاعتقاد، وفي التفكير والشعور، وفي التنظيم والتنسيق، وفي الارتباطات والعلاقات مع الآخرين، تحقق مصالح الدنيا والدين، ويتحقق معها التوازن الذي أراده الله لعباده في هذه الحياة الدنيا، وأشارت إليه آيات القرآن المجيد في عديد المواضع، ومنها:

التوسط في الإنفاق على المأكل والمشرب والملبس كما في قول الحق – سبحانه – ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴾[3].

وقوله – تعالى – ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[4]

وكذلك تحقيق التوازن داخل الأسرة، بالتوسط في المعاملة بين مختلف الزوجات، فلا ينشغل بواحدة عن الأخرى فيهملها، ويفرط في حقوقها قال – سبحانه – ﴿ وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصۡلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[5].

١- سورة النحل. من الآية: ٤٣.

٢- سورة النساء. آية: ٨٣.

٣- سورة الفرقان. آية: ٦٧.

٤- سورة الأعراف. آية: ٣١.

٥- سورة النساء. آية: ١٢٩.

ومن هذا المعنى التوازن بين الحسي والمعنوي، وبين الديني والدنيوي في قوله – تعالى – ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[1] .

وبهذه الوسطية يتعايش نظام الحكم مع غير المسلمين، يحسن ويعدل في معاملة المحسنين منهم، ولا يتعدى على المسالمين بجريرة المحاربين من دينهم. قال – سبحانه – ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[2] .

وتبلغ الوسطية حدها حين تضبط ردود فعل الأمة في أشد الأوقات، وأصعب اللحظات، في ميادين القتال، والجهاد في سبيل الله يقول – جلَّ شأنه – ﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[3] .

فليس القتل للقتل، ولا للبغي والعدوان، ولا للتشفي والانتقام، ولكن القتال للدفاع عن الدين، وإحقاق الحقوق، ونصرة المظلوم، فإن انتهى عدوان المعتدين، وارتدعوا عن طغيانهم وظلمهم؛ ينتهي القتال، ولا يطغى المجاهدون في العقاب بل يلتزمون بالتوازن والتوسط في هذه الظروف العصيبة كما قال – تعالى – ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾[4] .

١- سورة القصص. آية: ٧٧.

٢- سورة الممتحنة. آية: ٨ – ٩.

٣- سورة البقرة. آية: ١٩١ – ١٩٥.

٤- سورة النحل. آية: ١٢٦.

" وبهذه الوسطية يقبل نظام الحكم بالتعددية السياسية في المجتمع، مع التسليم به، والإقرار للجميع، بحيث لا يملك أحد سلطة حرمانهم منه، وذلك بناءً على التعددية في نوع الإنسان، وانتمائه، واختلاف مشاربه. قال الحق – تعالى – ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾[1]. وقال – سبحانه – ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ ﴾[2].

فالاختلاف حقيقة واقعة، والتسليم بالتعددية البشرية يقود بغير جهد كبير للتسليم بحق التعددية في المذهب السياسي "[3].

بمثل هذه التوجيهات، تنشأ الشخصية المسلمة – على مستوى الأفراد، والمجتمعات، والحكومات– تنشأ شخصية متوازنة، وسطية الأقوال والأفعال، ذات استقرار نفسي داخلي، وتميز مجتمعي خارجي، لا تشذ عن أحكام شريعتها، ولا تتعنت في تنفيذها، لا تحتكر الدين، أو تستخدمه لتحقيق مآربها، بل تخضع له، وتنقاد لتوجيهاته، وتؤسس حياتها على قواعده المتينة، وأحكامه الميسرة الوسطية، فتحيا حياة عزيزة كريمة.

ومن خاصية الوسطية ننتقل إلى المبحث التالي، وخاصية أخرى للحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم.

١- سورة الروم. آية: ٢٢.

٢- سورة فاطر. آية: ٢٧ – ٢٨.

٣- العوا، محمد سليم. الوسطية السياسية. ٢٩ – ٣٠. سلسلة الأمة الوسط/ ١١. الطبعة الثانية. ١٤٣٢هـ – ٢٠١١م. المركز العالمي للوسطية. الكويت. بتصرف كبير

المبحث الثالث

الواقعية

المطلب الأول تعريف الواقعية وأهميتها

أقصد بالواقعية هنا: قيام الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم بمعالجة ما تجري عليه حياة الناس، في مجالاتها المختلفة، من أنماط في المعيشة، وما تستقر عليه من عادات وتقاليد وأعراف، وما يستجد فيها من نوازل وأحداث.

أو بمعنىً آخر الواقعية هي: فهم نظام الحكم القائم للنوازل، والمتغيرات والمستجدات في واقع الناس وحياتهم وتنزيل الأحكام عليها، ووضع ما أمكن منها؛ لضبط معايش الناس ومصالحهم ([1]).

وترجع الأهمية العظيمة لهذه الخاصية في الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم إلى عدة نقاط:

١- التأكيد على اتساع قواعد التشريع الإسلامي، ومراعاتها لجميع المستجدات والمتغيرات، وأنها تشريع مُصلح لكل زمان ومكان. قال - تعالى - ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[2]. وقال - سبحانه - ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾[3].

٢- ضبط حياة الأمة كلها – أفراداً، وجماعات، ومؤسسات – بأحكام الشرع، ومقاصده. تحقيقاً لأمره - سبحانه - ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[4].

١- هذان التعريفان اختيار للباحث بعد نظر، وتتبع، خاصة لما كتب عن فقه الواقع. كما في: سلسلة رسائل التأصيل / ٣. حول فقه الواقع. من إصدارات المركز العالمي للوسطية – الكويت.

٢- سورة النحل. من الآية: ٨٩.

٣- سورة الأنعام. من الآية: ٣٨.

٤- سورة الأنعام. آية: ١٥٣.

٣- تحقيق التوازن المطلوب بين وقائع العصر المتغيرة، والأصول الثابتة، حتى يستمر تجدد الحياة، وتدفقها نحو الأمام والرقيّ، بلا ضلال ولا شطط ولا شقاء، تصديقاً لوعد الله – عالى – ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[١].

المطلب الثاني معالم الواقعية في القرآن الكريم

ميسور على الباحث أن يجد في القرآن الكريم كنزاً من نظام حكم واقعي، يتفاعل مع الأحداث، ويوجهها ويصلحها ويقومها ويلهم الدروس والعبر، ويبدو ذلك بجلاء من نزول القرآن الكريم منجماً على ثلاث وعشرين سنة، متابعاً للحوادث، مجيباً عن الأسئلة، حالّاً للمشكلات، مرشداً للحائرين، حاسماً للنزاع، حكماً فصلاً في الملمات، والوصول لواحد مما سبق أو بعضه هو غاية أماني جميع نظم الأرض الحاكمة، ولم تقتصر تفاعلية أحكام وسياسة القرآن على جانب دون آخر بل شملت جميع جوانب الدين والحياة، في العقائد والعبادات والمعاملات والحدود والأحكام.

١-إيضاح التصورات، ورد الزائف من الأقوال في العقائد

مثاله قوله – تعالى – ﴿ وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾[٢].

ونقرأ قوله تعالى ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[٣].

٢- الإرشاد لتصحيح العبادات

ومثاله قوله – تعالى – ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا مَا

١- سورة طه. آية: ١٢٣ – ١٢٤.

٢- سورة البقرة. آية: ١١٦.

٣- سورة الأنبياء. آية: ٢١-٢٢.

كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ ﴾[1].

٣- بيان المرحلية في التشريع

بما يناسب حالة المكلفين ومدى حاجتهم للأمر والنهي، فمن ذلك بيان مراحل تحريم الخمر وهي كالتالي:

قال - تعالى - ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ٦٧ ﴾[2].

ثم قال - تعالى - ﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَا ﴾[3].

ثم قال - تعالى - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ﴾[4].

ثم قال - تعالى - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[5].

بهذه الواقعية في وصف حالهم مع الخمر، وبيان اشتمالها على نفع، وإثم مع تلطف في الإشارة إلى كون مساحة الإثم فيها أكبر من تلك المنفعة، ولم يمنعهم منها لحداثة إسلامهم، وقوة تأثرهم بهذه العادة، ثم يأتي تحريم مؤقت لشرب الخمر خلال أوقات الصلاة، تهيئة لقلوبهم وعقولهم وفطماً لنفوسهم عن شربها، ثم لما ثبت الإيمان بالقلوب، واستعدت النفوس، وأدرك المسلمون مآثمها، وأغوالها، كان الحسم بالتحريم إلى يوم القيامة، وكانت الاستجابة التامة من المكلفين.

٤- الإجابات الوافية لما يقع من مشكلات أو يحل من نكبات ومحن

١- سورة البقرة. آية: ١٨٧.

٢- سورة النحل. آية: ٦٧.

٣- سورة البقرة. آية: ٢١٩.

٤- سورة النساء. آية: ٤٣.

٥- سورة المائدة. آية: ٩٠ - ٩١.

ففي غزوة أحد كمثال يقول سبحانه واصفاً لحال المسلمين ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]، ثم يكشف لهم عن موضع الخلل ومرجع الهزيمة فيقول سبحانه ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[2].

وفي نازلة أخرى مزلزلة، وهي حادثة الإفك، يطعن المنافقون في عرضه – صلى الله عليه وسلم – فيحسم القرآن المسألة حسماً، ويقطع ألسنة الخائضين والمنافقين، فينزل البيان الإلهي ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ ﴾[3].

ونماذج الواقعية وتنزيل أحكام الإسلام على أحوال الناس ومعالجة نوازلهم ومتغيراتهم كثيرة وعظيمة، وبمثل هذا التفاعل كان القرآن يتنزل على الرسول الكريم – عليه الصلاة والسلام – بيانا كافياً، ودواءً شافياً لجميع العلل، يعلم ويرشد، ويوجه ويصلح، **وهكذا يجب أن تكون أنظمة الحكم** المستمدة من القرآن الكريم، تعبر بصدق عن مجتمعاتها، وتعكس فكراً صحيحاً، وفهماً مستنيراً، لأحوال المجتمعات التي تقوم على رعايتها وتنظيم شئونها في جميع المجالات، ممتلكةً لأدوات الإصلاح، والنجاح؛ فتصبح هذه الأنظمة رحمة بشعوبها، وعوناً لهم، وتخفيفا وتيسيراً عليهم ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ

١- سورة آل عمران. آية: ١٥٢.

٢- سورة آل عمران. آية: ١٦٥.

٣- سورة النور. آية: ١١ – ١٧.

عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [1].

ومن خاصية الواقعية، ننتقل إلى خاصية المرونة وهي موضوع المبحث الرابع.

١- سورة النساء. آية: ٢٦ - ٢٨.

المبحث الرابع

المرونة

المطلب الأول تعريف المرونة ووحقيقتها

" مَرَنَ مَرَانَةً ومُرُونَةً ومُرُوناً : لاْنَ في صَلابَةٍ . ومَرَّنْتُهُ تَمْريناً : لَيَّنْتُهُ . ورُمْحٌ مارِنُ : صُلْبٌ لَدْنٌ . ومَرَنَ وجْهُهُ على الأمْرِ : صَلُبَ "[1].

هذا هو تعريف المرونة لغةً (لينٌ فيه صلابة!!!) في إشارة لغوية بليغة المعنى: أن اللين المقصود هنا ليس مراداً منه أن يكون قابلاً لما شاء الناس، من خَلْقٍ، وتشكيل بلا حدود ولا قيود. بل يراد بالمرونة هنا: " الحد الفاصل بين الثبات المطلق الذي يصل إلى درجة الجمود، والحركة المطلقة التي تخرج بالشيء عن حدوده وضوابطه، أي إن المرونة حركة لا تسلب التماسك، وثبات لا يمنع الحركة "[2].

وسر هذا المبحث أن الله – جل جلاله – لم يُرِد أن يجعل من شريعته الخالدة، وكلمته الباقية، مجرد لوائح ونصوص تنظيمية تفصيلية جامدة، وإنما جعلها منارات يهتدي بها الناس في كل زمان ومكان، في مختلف الأحوال، ومع شتى المتغيرات، ومن هنا تَكَفَّل – سبحانه – ببيان المبادئ، والغايات، مع ترك – أغلب – الوسائل والآليات لاجتهاد البشر، وإبداع الإنسان لما يحتاج إليه ويناسب زمانه وحاله، دون قيد أو تضييق.

ولا يخفى على أحد أن مجالات الشريعة تنقسم إلى ثوابت ومتغيرات، فالثوابت هي: " مسلمات عقلية وشرعية تجتمع الأمة عليها وتتميز بها عن غيرها من الأمم والشعوب، ونقصد بها هنا: كل ما جاء به الوحي من عند الله سواء بلفظ أو المعنى دون اللفظ وانقطع الوحي عن

١- القاموس المحيط. باب النون فصل الميم. ص / ١٥٩٢. المعجم الوسيط. باب الميم مع الراء والنون. ٢ / ٨٦٥.

٢- الأحمدي، أنس سليم. المرونة: ص / ٣. ومصادره. مؤسسة الأمل للنشر والتوزيع – الرياض. بدون تاريخ ولا رقم طبعة.

رسول الله ﷺ وهو لم ينسخ فهو ثابت محكم له صفة البقاء والدوام لا تغير له ولا تبديل، وهو كذلك أبداً إلى يوم القيامة "[1]. كما قوله – تعالى – ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2].

" لقد تمت كلمة الله –سبحانه– صدقاً– فيما قال وقرر وعدل فيما شرع وحكم فلم يبق بعد ذلك قول لقائل في عقيدة أو تصور أو أصل أو مبدأ أو قيمة أو ميزان، ولم يبق بعد ذلك قول لقائل في شريعة أو حكم، أو عادة أو تقليد..... الإسلام يعين قيماً ذاتية له يقررها الله سبحانه وهذه القيم تثبت مع تغير أشكال المجتمعات "[3].

والثوابت تتمثل في العقائد، وفي أركان الإسلام الخمسة، وفى المحرمات اليقينية من السحر، وقتل النفس، والزنى، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وغيرها مما يثبت بقطعي القرآن والسنة، وفي أمهات الفضائل من الصدق، والأمانة، والعفة، والصبر، وغيرها من مكارم الأخلاق، وفي شرائع الإسلام القطعية في شئون الزواج،والطلاق، والميراث والحدود، والقصاص، ونحوها من نظم الإسلام التي ثبتت بنصوص قطعية الثبوت قطعية الدلالة فهذه الأمور ثابتة، تزول الجبال ولا تزول.

والمتأمل لهذه الثوابت يجد أنها تمثل أسس وقواعد دين الإسلام، من مصادره الإصيلة من القرآن والسنة، وسيجد أيضاً – وهذا هو محل كلامنا – أنها تمثل جزءاً بسيطاً جداً في التشريع الإسلامي، وأن مساحة عظيمة جداً تُرِكَت لباب المتغيرات والمستجدات، مثل مسائل تطبيق الشورى والنظام القضائي، ونظم الحكم، والعلاقات الدولية، وغيرها تتعامل معها الشريعة الإسلامية بكامل الوسائل الكفيلة بتحقيق مصالح الناس في كل زمان ومكان. تحقيقاً لقول الحق – سبحانه – ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[4].

١– المرونة: ص / ٩. المصدر السابق.

٢– سورة الأنعام. آية: ١١٥.

٣– في ظلال القرآن. ٦ / ٦٤٠٦.

٤– سورة الأنبياء. آية: ١٠٧.

المطلب الثاني: عوامل المرونة للحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم[1].

بناء على ما سبق معنا من هذا النظم الرباني في التعامل مع الثوابت والمتغيرات، ومع هذه المساحة الكبيرة التي أُعطيت لأحكام المتغيرات والمستجدات، تعددت وتكاثرت عوامل تحقيق المرونة والفعالية في تكييف أحوال الأمة حسب القواعد والمقاصد المتفق عليها في التشريع الإسلامي ويمكن لنا أن نرصد عوامل المرونة تلك من خلال النقاط التالية:

١- سعة مساحة العفو التشريعي، في مقابل المنصوص عليه

" **العفو**: المساحة التشريعية المتروكة من الشارع قصداً ، أو هو كل ما سكت عنه الشارع أو رفع عن فاعله المؤاخذة عن طريق السكوت أصالة، أو النص المفيد نفي المؤاخذة "[2].

واتساع هذه المساحة من العفو سمة من أجلِّ سمات الشريعة وأحكامها، بما يمثله العفو التشريعي من رحمة الله تعالى بعباده، ورفع الحرج عن المكلفين، والتيسير عليهم، ويعد ذا علاقة وثيقة بمقاصد الشريعة الإسلامية، وفي هذا المعنى يقول الحق - تعالى - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ ﴾[3].

وجه الدلالة : " لما نهت الآية الكريمة عن السؤال في بعض الأشياء، دلت على أن الله . تعالى . قد سكت عن حكمها معافياً عباده منها، فكل ما سكت عنه الله . عز وجل . فهو مما أباحه وعفا عنه "[4].

وتظهر المرونة الشديدة في مساحة العفو التشريعي، وإمكانية التجديد والتطور، عندما يتبين لنا أن الأدلة الشرعية - غير الكتاب والسنة —كالقياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة،

١- مستفاد من عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية. بتصرف. القرضاوي، يوسف عبد الله. سلسلة تهيئة الأجواء / ١. اهداءات ٢٠٠٢. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب — الكويت.

٢- فوجو، ياسر اسعيد. بحث بعنوان العفو الإلهي في الأدلة التبعية. الجامعة الإسلامية — غزة. ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م

٣- سورة المائدة. آية: ١٠١

٤- تفسير السعدي. ١ / ٢٤٥. بتصرف

والاستصحاب هذه كلها تدور في فلك رحيب من العفو التشريعي ، الذي يدع الفرصة للحياة وجزئياتها وتفاصيلها وتفريعاتها، كي تتطور، وتتجدد، ويذهب عَنَتُها، وتهون نوازلها على الناس، وتؤصل للسماحة، وتحقق الراحة للمكلفين في شتى الأحوال، وعلى مر الأزمان، واختلاف البلدان.

٢- اهتمام النصوص بالأحكام الكلية

فلم تتعرض أغلب النصوص للجزئيات، والتفصيلات، والكيفيات، مما يختلف تطبيقه باختلاف الأزمنة والأمكنة، وأعراف الناس، وأحوالهم، ونجد ذلك ظاهراً في مسائل السياسة الشرعية، ومن أمثلتها:

مسألة الشورى – وقد مرت معنا – قال الله – تعالى –﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾[١]. وقال – سبحانه – ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾[٢].

فالمرونة هنا: أن قررت هاتان الآيتان مبدأ الشورى، دون تحديد المسائل التي تجرى فيها الشورى وجوباً أو جوازاً، ومن هم أهل الشورى وما هي إجراءاتها، وهل نتيجتها ملزمة أو لا، كما تُرِك الباب مفتوحاً دون تحديد شكل معين للشورى، يلتزم به الناس في كل زمان وكل مكان فيتضرر المجتمع بهذا التقيد الأبدي، إذا تغيرت الظروف بتغير البيئات أو الأعصار أو الأحوال.

ومسألة إعداد الجيوش بالتسليح قال الله – تعالى – ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[٣].

وتتمثل المرونة هنا أن الله – سبحانه – لم يحدد طريقة معينة من الإعداد، أو قوة محددة لا نحيد عنها، بل الإعداد بكل الطرق، وتجمع القوة بجميع أشكالها.

١- سورة الشورى. من الآية: ٣٨.

٢- سورة آل عمران. من الآية: ١٥٩.

٣- سورة الأنفال. آية: ٦٠.

قال السعدي " أي كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية؛ وأنواع الأسلحة ونحو ذلك، مما يعين على قتالهم. فدخل في ذلك أنواع الصناعات، التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات، من المدافع، والرشاشات، والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والقلاع، والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي والسياسة، التي بها يتقدم المسلمون، ويندفع عنهم بها شر أعدائهم، وتعلم الرمي، والشجاعة والتدبير "[1]. فمن واجبنا اليوم امتلاك كل ما أحدثه العلم من عدة السلاح: صواريخ موجهة، وقنابل ذرية، وأقمار صناعية، وكل علوم الحرب يجب أن نملكها ونصنعها.

٣- قابلية النصوص لتعدد الأفهام.

" ويتمثل في أن معظم النصوص التي تعرضت للأحكام الجزئية والتفصيلية ، صاغها الشارع الحكيم صياغة تتسع لأكثر من فهم ، وأكثر من تفسير "[2].

ويمكن ملاحظة هذه المرونة من خلال ما تتميز به التشريعات المبنثقة عن النص الشرعي من قدرة فائقة على الوفاء بحاجات كل المجتمعات الإنسانية عبر التاريخ، وعلاجها لكافة المشاكل والأزمات في شتى بقاع الأرض.

ومن هذا المعنى **حد الحرابة**، قال الله - تعالى – فيه ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ ﴾[3].

فاختلف العلماء فيمن يستحق مسمى المحاربة، ومكانها، وحكم المحارب، وتفصيل الحد متى يقتل فقط، ومتى يقطع فقط، ومتى ينفى فقط، ومتى تجمع العقوبة على المحارب([4])، كل

١- تفسير السعدي. ٢ / ٢١٢

٢- عوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية ص / ٤٩.

٣- سورة المائدة. آية: ٣٣.

٤- القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. ٦ / ٩٧ : ١٠٣. الطبعة الأولى. دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان. ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

ذلك تركه النص القرآني للأفهام العلية، من الأئمة والحكام ، يسوسون بلادهم، ويقيمون الحدود، عقوبةً وزجراً للمجرمين، وتطميناً للآمنين في دورهم، ومدنهم، وطرق أسفارهم.

٤- **رعاية الضرورات والأعذار والظروف الاستثنائية**. وبناء الحكم والسياسة على قواعد قرآنية متينة، تيسر الأمور، وتدفع المشقة، وتحقق المصالح، ومن أمثلة ذلك:

أ- **التيسير ورفع الحرج عن المكلفين** وهذه القاعدة من أعظم القواعد التي يتخرج عليها مسائل عظيمة تخفف على الناس، وتوسع عليهم.

قال - تعالى - ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾[١].

وقال - تعالى -﴿ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ ﴾[٢].

فكل حرج مرفوع، والمشقة تجلب التيسير، وإذا ضاق الأمر اتسع، و الضرورات تبيح المحظورات - عند خوف فوات الأنفس والأموال - قال - سبحانه - ﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٣].

ب- **جلب المصالح ودفع المفاسد والقبائح** قاعدة أخرى عظيمة، تدخل في جميع نواحي الحياة ويندرج تحتها جميع الأحكام، التي تحفظ الضروريات الخمس، تصديقاً لقوله - تعالى - ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[٤]. ومن الرحمة بعباده رعاية مصالحهم الدنيوية والأخروية، وكما في قوله - سبحانه - ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[٥].

١- سورة البقرة. آية: ١٥٨.

٢- سورة المائدة. آية: ٦.

٣- سورة البقرة. آية: ١٧٣.

٤- سورة الأنبياء. آية: ١٠٧.

٥- سورة النحل. آية: ٩٠.

فأمر – سبحانه – بفعل جميع ما يحقق الأمن للناس، وتوثيق صلاتهم، ويحقق مصالحهم، ويتمثل ذلك في تحقيق عدالة ناجزة، وإحسان يعم جميع المعاملات، وصلة للأرحام، وإمساك عن المفاسد والقبائح من الفواحش والمنكرات.

٥- تغير الفتوى بتغير الأزمنة والأمكنة والأعراف.

ويقع هذا في الأحكام الظنية المبنية على الاجتهاد في فهم النص، مراعاة لتغير العرف قائم، أو تغير المصلحة، تبعاً لتغير الأزمان والمكان.

ومن أمثلة هذا المعنى قول الله – تعالى – في أصناف المستحقين للزكاة ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١].

" فهؤلاء المؤلفة قلوبهم كانوا يُعْطَون من الزكاة في بداية الإسلام تشجيعاً لهم وتثبيتاً، فلما قويت شوكة الإسلام، وامتنع المسلمون أوقف الخليفة الراشد عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – هذا السهم لما رأى من إعزاز هذا الدين. وقال ابن العربي: الذي عندي أنه إذا قوي الإسلام زالوا، وإن احتيج إليهم أُعطوا سهمهم، كما كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعطيهم "[٢].

بهذه المعالم القرآنية نختم هذا المبحث، وننتقل لخاصية عظيمة للحكم والسياسة في القرآن العظيم، وهي الموضوعية.

١- سورة التوبة. آية: ٦٠.

٢- الجامع لأحكام القرآن. ٨ / ١١٥.

المبحث الخامس

الموضوعية

المطلب الأول تعريف الموضوعية ووحقيقتها

جاء في المعجم الوسيط " (الموضوعية) (في الفلسفة) منحى فلسفي يرى أن **المعرفة إنما ترجع إلى حقيقة غير الذات المدركة** (الوضع).. هيئة الشيء التي يكون عليها "[١].

وهذا التعريف اللغوي الغامض قليلاً، يتضح ويتبين المراد به حين نقف على التعريف الاصطلاحي للكلمة، فيقال : " **الموضوعية** تُعبِّر عن إدراك الأشياء على ما هي عليه دون أن يشوبها أهواء أو مصالح أو تحيزات "[٢]. أو هي: " معيار أساسي من معايير البحث، يقوم على الصِّدق والعلم والأمانة، والبُعد عن الأهواء الشخصية "[٣]. فالموضوعية بوجه خاص رؤية العقل للأشياء على ما هي عليه، فلا يشوهها بنظرة ضيقة أو بتحيز خاص، وأن يتجرد من ميوله، واتجاهاته، وعواطفه، وكل ما يؤثر في اتجاه أحكامه وتقديراته، فهي نزاهة الرأي أو الموقف وتجرده من الأهواء.

ولا يمكن تصور نظام حكم وسياسة إسلامي يتجرد من ميوله، وقيمه؛ وذلك لانطلاق المسلم في جميع أحواله من مُسَلَّمات عقدية، وقيمية راسخة، لا تتبدل، ولا تتحول؛ لأن مصدرها الله تعالى.

١- هذا المصطلح لم يعرف إلا حديثاً منذ قرنين تقريباً؛ لم نجد له ذكراً في معاجم اللغة لدى المتقدمين . المعجم الوسيط. باب الواو مع الواو والضاد. ٢ / ١٠٤٠.

٢- داتسون، لورين و غاليسون، بيتر. الموضوعية. الناشر: زون بوكس – نيويورك ٢٠١١. والرابط : http://www.albayan.ae/paths/books/2012-08-26-1.1714742

٣- عبد الله، عبد الرحمن بن صالح. الموضوعية في العلوم التربوية. ط١. دار المنارة – جدة. ١٤٠٧هـ، عبد الكريم، بليل. الموضوعية: استبدال مصطلح، وإصلاح مفهوم. الرابط : http://www.alukah.net/culture/1080/8496/

وعلى هذا يمكن من وجهة نظر الباحث أن نعرف الموضوعية كخاصية من خاصيات نظام الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم هنا فنقول ما يلي :

(هي القيام بجميع شئون الأمة، وتحقيق مصالحها، ودرء المفاسد عنها، بعيداً عن تدخل الأهواء الشخصية، والمصالح الذاتية، والعصبيات العرقية، أو الطائفية المذهبية)

المطلب الثاني معالم الموضوعية في القرآن الكريم

جاءت معالم الموضوعية في القرآن الكريم، كقواعد ضابطة لنظام الحكم، بحيث لا يميل، ولا ينحرف، ولا ينجرف في أحكامه، وقيامه بشئون الأمة، يظهر هذا جلياً في النقاط التالية:

١- **الحكم بالقسط (العدل).** وفي هذا يقول الله – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[1] فالقسط مطلوب عند إصدار الأحكام، بقطع النظر عن شخصية المحكومين، ودرجاتهم الاجتماعية، ويناقضه اللَّيُّ، وهو الذهاب إلى الظلم والزيغ والإعراض عن الحق، ورفض الحكم العدل البيِّن.

٢- **الإنصاف في التعامل مع الآخرين.** وهو من روائع المعايير الموضوعية في الحكم، ويكفي فيه أن نقرأ قول الحق – تعالى – في وصفه لأهل الكتاب ﴿ لَيْسُواْ سَوَآءًۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[2] وهكذا يكون الحكم وفق القواعد الشرعية التي وضعها الوحي لضبط إصدار الأحكام، والتعامل مع الآخر فالله – تعالى – ذكر أحوال الأمم، ومنهم أهل الكتاب، وبيَّن ما لهم وما عليهم. وهذا الخُلق، والتوجيه يقتضي التزامًا من قبل الحكام، على ألاَّ يتجاوزوا في خلافاتِهم مع الآخر الحدَّ الموضوعيَّ، كما لو أن الآخر لا يحمل سوى الشر المحض، وفي هذا العمل أعظم صور الدعوة لغير المسلمين إلى الإسلام.

١- سورة النساء. آية: ١٣٥.

٢- سورة آل عمران. آية: ١١٣ – ١١٤.

٣- **رعاية الأمانات**. وهو من أجل معايير الموضوعية في الحكم، ويكفي فيه أن نقرأ قول الحق – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾[١]. فلا خيار لأي نظام حاكم في خيانة الأمانة، التي يتحملها تجاه من يحكمهم، فلا هضم لحقوق الناس ولا بغي ولا تسلط عليهم، بل توفى إليهم حقوقهم غير منقوصة كما قال الله – تعالى – ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾[٢].

وحين يتحلى الحكم بمثل هذه المعايير، يطمئن الناس كلهم، مسلمهم وكافرهم، ويستقر أمر المجتمعات على رعاية الأمانات، وأدائها لأصحابها.

٤- **بناء الأحكام على البينات الواضحات والأدلة القاطعات**. فلابد للحكم في أي مجال من المجالات، من بناء هذا الحكم على الدليل الصحيح، فلا يقبل الأحكام المرسلة التي تكون عارية من الحجة، أو لا تستند على دليل قال الله – تعالى – ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾[٣]. وقال – تعالى – ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ﴾[٤]. فلابد من الدليل، والعلم الصحيح الصريح في الحكم، والسياسة القرآنية، وينبني على هذا المعلم ويلزم منه القاعدة التالية أيضاً وهي:

٥- **التثبت والتبين قبل إصدار الأحكام**. مَعْلَمٌ آخر من معالم موضوعية الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم، وقد ركَّز القرآن على هذا الجانب حتى لا يقعَ المسلمُ في سلسلة من الأخطاء نتيجة الفهم الخاطئ قال – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ

١- سورة الأنفال. آية: ٢٧.

٢- سورة النساء. آية: ٥٨.

٣- سورة البقرة. آية: ١١١.

٤- سورة الأنعام. آية: ١٤٨.

فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾[1]. وفي حكايته عن قول سليمان ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴾[2]. فكلُّ أحكام الشريعة قائمة على التثبُّت من الدليل، ووجه دلالته، فالصلاة لا تقوم إلاَّ بالتأكد من دخول وقتها، والحدود لا توقع إلا باليقين من الجُرم.

وبذكر هذه المعالم القرآنية للموضوعية في الحكم وسياسة الأمة؛ ننتقل للكلام على الخاصية التالية والأخيرة من خصائص الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم وهي: المصداقية.

١- سورة الحجرات. آية: ٦.

٢- سورة النمل. آية: ٢٠ - ٢١.

المبحث السادس

المصداقية

المطلب الأول تعريف المصداقية ووحقيقتها

أصل الكلمة مأخوذ من الصدق يقال " صَدَقَ صِدْقًا خِلَافُ كَذَبَ فَهُوَ صَادِقٌ وَصَدُوقٌ مُبَالَغَةٌ وَصَدَقْتُهُ فِي الْقَوْلِ يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى وَصَدَّقْتُهُ بِالتَّثْقِيلِ نَسَبْتُهُ إلَى الصِّدْقِ وَصَدَّقْتُهُ قُلْتُ لَهُ صَدَقْتَ "[1].

ويقال" (صدق) فلان في الحديث صدقا: أخبر بالواقع، وفي القتال ونحوه: أقبل عليه في قوة ..(الصدق) مطابقة الكلام للواقع بحسب اعتقاد المتكلم .. (مصداق) الأمر الدليل على صدقه "[2].

ولا يذهب المراد بالمصداقية بعيداً عن هذا المعنى اللغوي البيِّن، ولذلك فالمصداقية كخاصية من خصائص الحكم الإسلامي المستمد من القرآن الكريم، تعنى: (قيام هذا الحكم على تحري الصدق في الأقوال والأعمال، تعني حرصه الشديد على معايير الشفافية، والنزاهة، في جميع أركان المجتمع)

المطلب الثاني: المصداقية في القرآن الكريم

- المصداقية إحدى مفاخر نظام الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم، لا ريب في ذلك؛ لأن هذه الشريعة القرآنية هي كلام أصدق القائلين سبحانه، فهي أتم كلام سمعته أذن البشرية، وأعدل كلمات مسطورة محفوظة حتى يرث الله الأرض ومن عليها. قال الله عزَّ وجلَّ ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًاۚ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[3]. نعم تمت وكملت كلماته

١- المصباح المنير. كتاب الصاد مع الدال وما يثلثهما. ص / ١٢٨ .

٢- المعجم الوسيط. باب الصاد مع الدال والقاف. ١/ ٥١٠.

٣- سورة الأنعام. آية: ١١٥.

– جل جلاله – وجاءت شريعته أعظم ما تكون صدقاً وعدلاً، في البيان والإخبار، والتوجيه والأحكام.

- بل إن رسالة النبي صلى الله عليه وسلم ما كانت إلا صدقاً كلها قال سبحانه ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[1].

- وقد جعل الله أركانَ الإيمان وأركانَ الإسلامِ بمجموعها أساسها الصِدقُ قال – تعالى – ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾[2]. فهذه أركان الإسلام، وأسس الإيمان، ومكارم الأخلاق، لا يقيمها ولا يحرص عليها إلا ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾

- وأمر اللهُ عزَّ وجلَّ رسولَه صلى الله عليه وسلم بسؤاله والتضرع إليه أن يهب له مداخل الصدق ومخارجه في أمره كله، دلالة على عدم استغناء العبد عن الصدق في شئونه وأحواله قال سبحانه ﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴾[3].

- ولذلك كان مسمى الصادق الأمين علماً عليه صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها، وكان صلى الله عليه وسلم يأمر بالصدق يقول: (**إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً**)[4].

١- سورة الزمر. آية: ٣٢ – ٣٣.

٢- سورة البقرة. آية: ١٧٧.

٣- سورة الإسراء. آية: ٨٠.

٤- البخاري: كتاب الأدب. باب قول الله تعالى (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله). ص ١١٧٧.حديث رقم: ٥٧٤٣، مسلم: باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله. ص ٧٣٥. حديث رقم: ٢٦٠٧. عن ابن مسعود رضي الله عنه.

- الدين كأفكار، ومعلومات، لا يفعلُ في الإنسان فِعلَ المثل الأعلى، والقدوة الحسنة، والمعلومات والأخبار والآثار لا تحمل على السلوك القويم، كما لو رأيتَ بأُمِ عينيكَ إنساناً تعيشُ معه، تمثّلَ هذا الدين، إن موقفاً واحداً أخلاقياً يقفه مؤمن، له تأثيرٌ كبيرٌ جداً في نفسِ المشاهِد؛ ولهذا فالنظم القرآني يدعو إلى لزوم جانب الصادقين، للتأسي بهم، والاقتداء بصدقهم في الأقوال والأفعال الناس فيناديهم سبحانه فيقول عزَّ وجلَّ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1] . ويرغبهم فيه قال سبحانه ﴿ طَاعَةٌ وَقَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ فَلَوۡ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ ﴾[2] .
- والشيء الخطير أنه: إذا لم يكن نظام الحكم قائماً على الصدق، فلا بدَّ من أنه سيكونَ كاذباً، كيف؟ قال – تعالى – ﴿ لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ وَيُعَذِّبَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾[3] . من هوَ المنافق؟ الإنسان الكذّاب يقول ما لا يؤمن، يُعبّرُ عما ليسَ في نفسه، يتزيّنُ بما ليسَ في قلبه، يُظهر ما لا يُبطن، يُعلن ما لا يُخفي، دائماً بحياته في ازدواجية، له مواقف مُعلنة ومواقف مُبطّنة، له علانية مقبولة وله سريرة ممقوتة، له كلامٌ لينٌ لطيف، وله قلبٌ قاسٍ حقود حسود، والكذبُ والنِفاقُ متطابقان تماماً. فكيف إذا كانت هذه الصفات صفات نظام يسوس الناس، ويرعى مقدراتهم.
- ولا تقتصر ثمرات الصدق الطيبة على الدنيا فحسب بل تتعداها إلى أن يتحول لنعيم خالد وفوز عظيم في الآخرة ﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[4] . وقال – تعالى – ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴾[5].
- ومن المسائل المهمة أيضاً؛ أنه بجوار هذا الثناء، والإطراء، والترغيب في الصدق، فقد **جاءت آيات القرآن بتحريم الكذب، والزور، والإفك، والبهتان**. قال الله – تعالى – يبين

١- سورة التوبة. آية: ١١٩.

٢- سورة محمد. آية: ٢١.

٣- سورة الأحزاب. آية: ٢٤.

٤- سورة المائدة. آية: ١١٩.

٥- سورة الأحقاف. آية: ١٦.

عاقبة المنافقين الكاذبين﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[1]. وقوله – تعالى – ﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾[2]. كما حذرت الآيات من افتراء الكذب؛ فخاتمته وخيمة، وقال – عز وجل – ﴿ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[3]. وقال – سبحانه – ﴿ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾[4]. وقال – تعالى – ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾[5]. وقال – عز وجل – ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾[6]. وحرم وصْم الأبرياء بما لم يفعلوا وجعله من أعظم الكذب والبهتان، قال – تعالى – ﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[7].

وقَرَنَ اللهُ بين الشرك، وقول الزور لبيان شناعته، وعظم جنايته فقال – عز وجل – ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾[8].

كل هذا البناء القرآني – للصدق، ورفعة الصادقين، ونزاهتهم، وطهارتهم، وثمراته العظيمة، وأثره الجليل في معاملات الناس، مع ما أعده الله للصادقين، من حسن الثواب، وتحريم الكذب والزور والبهتان – يبين أن نظام الحياة – وليس الحكم والسياسة فقط – الذي ارتضاه القرآن للناس لا مجال فيه لكذب، أو افتراء، أو تزوير، أو ترويج لإشاعات، لذلك وجب على أي نظام أن يعتمد الصدق فقط في أحكامه، وكيفية صياغتها، والمقاصد المتوخاة منها، مع الصدق في في تنفيذ هذه الأحكام.

١- سورة البقرة. آية: ١٠.

٢- سورة التوبة. آية: ٧٧.

٣- سورة آل عمران. آية: ٩٤.

٤- سورة يونس. آية: ٦٩.

٥- سورة النحل. آية: ١٠٥.

٦- سورة العنكبوت. آية: ٦٨.

٧- سورة النساء. آية: ١١٢.

٨- سورة الحج. آية: ٣٠.

ولم تتأذَّ الأمة بمثل ما تأذت به من كذب حكامها، وقيام أنظمتهم على منظومات، وشبكات من الإفك والزور، بحيث كُذِّب الصادق، وخُوِّن الأمين، وأُلْصِقت بالأبرياء التهم والعيوب ظلماً وزوراً، وحتى صارت بلادنا تعوم على بحيرة آسنة من الأكاذيب والأراجيف والأباطيل.

والأمل معقود على فضل الله ورحمته بهذه الأمة، أن يوفق حملة دينه وشريعته، إلى القيام بأعباء هذا الواجب العظيم، والتحقق بتلك الخصائص، التي لن ير الناس خيراً، ولا استقراراً، ولا نهوضاً، ولا ازدهاراً، إلا حين تصبح هذه المبادئ والخصائص واقعاً نحياه، ونمارسه.

وبانتهاء الكلام على المصداقية، نختم فصلنا هذا عن خصائص الحكم، وسياسة الأمة في القرآن الكريم، وننتقل – بعون الله، وفضله – إلى الفصل السابع.

الفصل السابع

الحاكم والمحكوم في القرآن الكريم

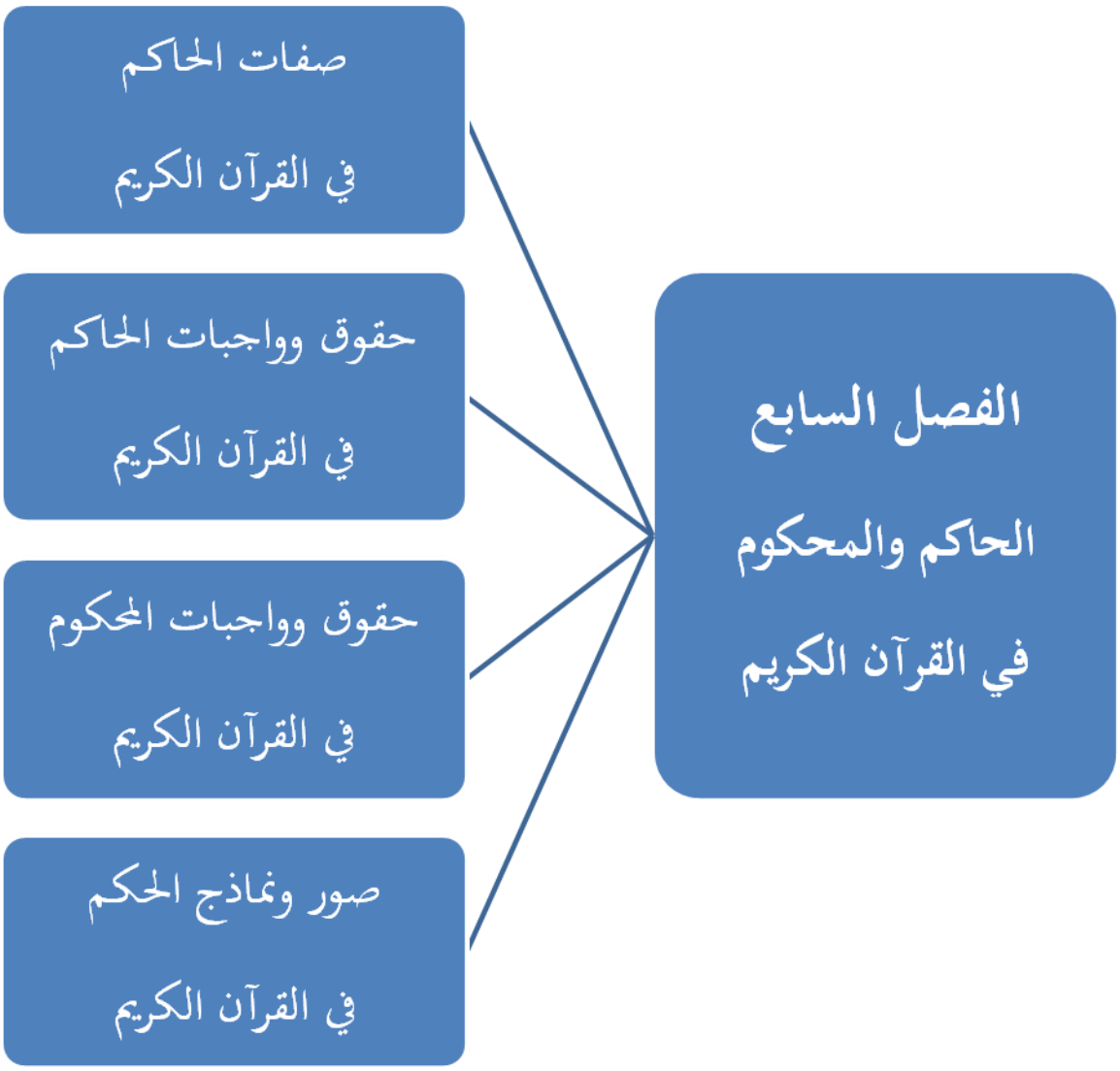
الفصل السابع
الحاكم والمحكوم
في القرآن الكريم
صفات الحاكم
في القرآن الكريم
حقوق وواجبات الحاكم
في القرآن الكريم
حقوق وواجبات المحكوم
في القرآن الكريم
صور ونماذج الحكم
في القرآن الكريم

المبحث الأول

صفات الحاكم في القرآن الكريم

يعد من نافلة القول، التأكيد على أن القرآن الكريم لم يضع صفات الحاكم المرْضيِّ في سياق مباشر، يأمر فيه باختيار محدد، أو يعين شروطاً لاختيار الحاكم المسلم، ولكن الله – تعالى – بلطفه ورحمته ساق لنا في خطابه لنبيه – صلى الله عليه وسلم – وللمؤمنين، وفي قصص قرآنه الإشارات الأكيدة واللطائف الفريدة، التي يمكن لأهل الذكر إدراكها، ولأهل العلم الاستنباط منها، واستخلاص ما ينبغي أن يتحلى به الحاكم ولي أمر المسلمين، وهذا ما سنتوقف معه من خلال النقاط التالية:

- **الإسلام**

وهذه أعظم صفة تُطْلَب في الحاكم، فلا ولاية لكافر على المسلمين؛ ولأن ولاية أمر المسلمين " موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا "[1]. وهذا لا يقوم به إلا مسلم، ومن هنا وجدنا الآيات التي تكلمت عن الطاعة والرجوع إلى (أولي الأمر) تشير إلى خصوصية هؤلاء، واتصافهم بالإسلام في قوله – سبحانه – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[2]. وقوله – تعالى – ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ ﴾[3]. وفي الآيتين تأكيد على أن أولي الأمر (منكم) (منهم) والخطاب للحاضر والغائب موجه للمسلمين، وليس لغيرهم.

وقد حذر الله – تعالى – المؤمنين من موالاة الكافرين، فلا يتخذوا منهم أنصاراً، وأعواناً، ولا يفشوا لهم أحوال المؤمنين الباطنة، وهذا يعني من باب أولى ألا يتخذوا من غير المسلمين

١– الماوردي/ علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. الأحكام السلطانية والولايات الدينية. ص / ١٣. ط١. المكتب الإسلامي – بيروت، دمشق، عَمَّان. ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.

٢– سورة النساء، من الآية: ٥٩.

٣– سورة النساء، من الآية: ٨٣.

حكاماً قال – عزَّ وجلَّ – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾[1].

والبطانة هم الخاصة المطلعون على الإسرار " وهذه الآيات تحذير للمؤمنين من عقد الصلات والصداقات العميقة مع الكافرين، والمنافقين؛ لأنها تؤدي إلى تسرب الأسرار والاطلاع على أحوال المسلمين، مما تقضي المصلحة كتمانه "[2]. فإذا كان الله نهى عباده المؤمنين عن اتخاذ مستشارين، وخواص، وأصدقاء من غير المسلمين؛ فمن باب أولى ألا يكونوا رؤساء وحكام.

وبمثل هذا المعنى نقرأ الآيات الكريمات مثل قوله – جل جلاله – ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾[3].

وقوله – عزَّ وجل –﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾[4].

وقوله – جل وعزَّ –﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُواْ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴾[5].

وقوله – جل من قائل –﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[6].

فهذه الآيات كلها لها نفس المعنى من النهي عن اتخاذ هؤلاء الكافرين أصدقاء وحلفاء مقربين، فكيف يجوز اختيار أحدهم ليكون ولياً لأمر المسلمين؟ وكيف يسمح المسلمون بتسليط كافر عليهم؟!!، والله – تعالى – هو القائل: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾[7]. والحُكْم هو أقوى سبيل للحاكم على المحكوم، والتعبير بـ (لن) المفيدة للتأبيد قرينة

١- سورة آل عمران، من الآية: ١١٨.

٢- التفسير المنير. ٢ / ٣٧٩

٣- سورة آل عمران، آية: ٢٨.

٤- سورة النساء، آية: ١٣٨ – ١٣٩.

٥- سورة النساء، آية: ١٤٤.

٦- سورة المائدة، آية: ٥١.

٧- سورة النساء، من الآية: ١٤١.

للنهي الجازم عن أن يتولى الكافر أي حكم مطلقاً على المسلمين، ومادام الله تعالى قد حرَّم أن يكون للكافرين على المؤمنين سبيل، فإنه يحرُم على المسلمين أن يجعلوا الكافر حاكماً عليهم.

- **العدالة**

" وهي عند الفقهاء عبارة عن التحلي بالفرائض والفضائل ، والتخلي عن المعاصي والرذائل ، وعما يخل بالمروءة أيضاً "[1].

إنها هَيْئَةٌ رَاسِخَةٌ فِي النَّفْسِ ، تَحُثُّ عَلَى مُلَازَمَةِ التَّقْوَى، وَالتَّحَاشِي عَنْ الرَّذَائِلِ الْمُبَاحَة.

" فلا تنعقد إمامة الفاسق وهو المتابع لشهوته المؤثر لهواه من ارتكاب المحظورات والإقدام على المنكرات لأن المراد من الإمام مراعاة النظر للمسلمين والفاسق لم ينظر في أمر دينه فكيف ينظر في مصلحة غيره "[2]. وقد نهى الله – تعالى – عبده داود – عليه السلام — عن اتباع الهوى والميل عن الحق فقال له ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[3].

والمؤثرون لأهوائهم مضيعون لعدالتهم، ضالون عن سبيل المروءات.

كما أنه – سبحانه – حين رتب الفدية على صيد البر للمحرمين بالحج أو العمرة أمر أن يكون الحكمان من ذوي العدالة فقال – جل وعز – ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْتُلُوا۟ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًۢا بَـٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّـٰرَةٌ طَعَامُ مَسَـٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾[4].

وحين أمر باتخاذ الشهود في الطلاق، والمعاملات المالية، اشترط فيهم العدالة، قال – تعالى – ﴿ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾[5]. وقال

١- رضا، محمد رشيد. الخلافة. ص / ٢٤ . الزهراء للإعلام العربي. مصر. القاهرة. بدون رقم طبعة، وسنة النشر.

٢- القلقشندي، أحمد بن عبد الله. مآثر الإنافة في معالم الخلافة. ١ / ١٩. ط٢. مطبعة حكومة الكويت. الكويت. ١٩٨٥م.

٣- سورة ص، آية: ٢٦.

٤- سورة المائدة، آية: ٩٥.

٥- سورة البقرة، من الآية: ٢٨٢.

– سبحانه – ﴿ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ﴾[1].

فإذا اشترط رب العالمين العدالة والرضا فيمن يحكم في آحاد المسائل، أو يشهد في معاملة من المعاملات؛ فاشتراطها – العدالة – فيمن يلي أمور المسلمين جميعاً، ويرعى شئونهم، أولى، وأحق.

• العلم

وهو المعرفة التي تمكن الحاكم من الاجتهاد في النوازل والأحكام، فيشترط في الحاكم القدرة على استنباط الأحكام، وأن يكون عليماً بأحوال عصره، وبيئته، وأمته، ذا عقل وحصافة رأي؛ ليستطيع اتخاذ القرارات الحكيمة في مختلف الأحوال التي تعترضه.

وفي القرآن جعل الله – تعالى – من دواعي اختيار طالوت ملكاً على بني إسرائيل تمتعه بالعلم الواسع قال – سبحانه – ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[2]. فقد بين لهم نبيهم أن الله تعالى اختار طالوت دونهم، وأهّله بزيادة في العلم وقوة الجسم ليقوم بواجبات الملك.

وحين أراد الله تعالى تأهيل داود – عليه السلام – للمُلك العظيم منحه ما يعينه على مسئوليات الملك من الحكمة والعلم، قال – جل من قائل –﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ﴾[3].

وها هو يوسف – عليه السلام – يقدم مسوغات تعيينه من الحفظ والعلم يقدمها لملك مصر في قوله – جل جلاله – ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[4].

١– سورة الطلاق، من الآية: ٢.

٢– سورة البقرة، آية: ٢٤٧.

٣– سورة البقرة، آية: ٢٥١.

٤– سورة يوسف، آية: ٥٥.

فلابد للحاكم من علم ينير له سبيله في ظلمات الحوادث، وتتابع النوازل، يفهم به الأمور، ويتصورها بالشكل الصحيح؛ حتى يستطيع إصدار أحكامه سديدة، يغلب عليها الصواب والتوفيق.

كما كان لسليمان – عليه السلام – من العلم والفهم في قوله – سبحانه –﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[1].

فتمتع كل من داود وسليمان – عليهما السلام – بالحكمة والعلم الواسع مكنهما من القيام بأعباء الملك في بني إسرائيل، فلم يكن ليتيسر لهما ذلك بغير علم عظيم.

- **القوة**

يجب أن يكون الحاكم قوياً قادراً على القيام بأعباء الحكم، والنهوض بمسئولياته، إذ إن العاجز لا يقدر على القيام بشؤون الرعية، التي بويع من أجلها.

وقد قالت الفتاة العفيفة الذكية من مدين لأبيها﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾[2].

فقد أدركت بفطرتها أن أحسن ما يكون الأجير نفعاً حين يكون قوياً أميناً، فإذا كان الناس لا يرضون من العمال إلا القوي القادر، فأولى وأحق بذلك الأمة؛ فلا تختار إلا الحاكم القوي، سليم الحواس، سليم الأعضاء، كما اشترط ذلك الفقهاء[3].

وقال – سبحانه – ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[4].

فقد أجاب نبيهم على استنكارهم أن الله – تعالى – اختار طالوت دونهم، بأنه أَهَلَه بزيادة في العلم، وقوة الجسم فاستحق القيادة في بني إسرائيل خلال هذه الظروف العصيبة التي مروا بها.

١- سورة الأنبياء، آية: ٧٩.

٢- سورة القصص، آية: ٢٦.

٣- الأحكام السلطانية والولايات الدينية. ص / ١٥. مصدر سابق

٤- سورة البقرة، آية: ٢٤٧.

وحين احتاج سليمان – عليه السلام – من يأتيه بعرش ملكة سبأ، برز له القوي من معاونيه ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾[1]. وهكذا لا يحمل المسئوليات إلا الأقوياء، القادرين على مباشرة أعمالهم، فلابد لكل مسئول – وأعظمهم خطراً الحاكم – من قوة، وسلامة جسد يقوم بها بأعباء المهام الملقاة على عاتقه.

- **الأمانة**

صفة تنصلح عليها أحوال الناس جميعاً، إنها صفة تشيع الاطمئنان، والأمان في أي مجتمع، حين يأمن الناس على حقوقهم، التي تؤدى إليهم، مُوَفَّاةً كاملة غير منقوصة. ولأهمية هذه الصفة، ما أرسل اللهُ رسولاً إلا أميناً، يأمنه الناس كلهم. قال الله – تعالى – على لسان الرسل جميعاً ﴿ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾[2]. قالها نوح وهود وصالح ولوط وشعيب – عليهم السلام – فنتأكد بذلك من خطورة هذه الصفة العظيمة التي نهى الله عباده المؤمنين عن خيانتها فقال – سبحانه – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3]. وأمرهم بأداء الأمانات جميعها إلى أصحابها، بلا حيف ولا شطط، قال الله – تعالى – ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[4]. بمثل هذه المعايير، والصفات، تطمئن وتستقر المجتمعات في ظل حاكم يرعى الأمانات، ويؤديها لأصحابها.

- **الرحمة**

الناس دوما بحاجة لكنف رحيم، يتفقد حاجاتهم، ويسعى في مصالحهم، يتقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم،رفيق في القول والعمل،لا يتنطع ولا يتشدد فيخرجهم من يسر الإسلام، وسماحة القرآن، إلى الحرج والعنت. قد برزت هذه الصفة أعظم بروز في شخصيته ورسالته – صلى الله عليه وسلم – فقال الله – تعالى – له ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[5]. وبهذا

١- سورة النمل، آية: ٣٩.

٢- سورة الشعراء، آية: ١٠٧.

٣- سورة الأنفال، آية: ٢٧.

٤- سورة النساء. آية: ٥٨.

٥- سورة الأنبياء. آية: ١٠٧.

الأسلوب، وما فيه من القصر، والحصر، يتبين للقارئ أن لُبَّ دينه، ودعوته، وشريعته – صلى الله عليه وسلم – هي الرحمة، حتى قال – صلى الله عليه وسلم – " يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة "[١].

وقال – عز وجل – له ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[٢].

وقال – سبحانه – له ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾[٣] أنها الرحمة، لا تأتي إلا بخير، تعزز أجواء الأخوة، والتكافل، والمحبة في المجتمعات، وأحب الحكام إلى الناس أرحمهم بهم ، وأيسرهم عليهم، وهكذا كانت قيادة النبي – صلى الله عليه وسلم – قال الله – تعالى – واصفاً إياه ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[٤]. وكان يقول – صلى الله عليه وسلم – (**الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحكم من في السماء**)[٥] وكذلك يجب أن يكون الحاكم رحيماً بالناس، رفيقاً في أحكامه، يحملهم على الحق بأيسر السبل، وأبعدها عن الحرج والعنت.

• التواضع

خلق جليل، لا يحسنه، ولا يتصف به إلا نبيل، يعرف حقيقة نفسه وأصله ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾[٦]. فيعرف هذا فيلزم سلوك عباد الرحمن ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ

١- رواه الحاكم في المستدرك. ١ / ٩١. كتاب الإيمان. عن أبي هريرة رضي الله عنه. حديث رقم / ١٠٠. ط١. دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١١هـ / ١٩٩٠ م. وصححه الألباني. صحيح الجامع ١ / ٤٦٣. حديث رقم ٢٣٤٥.

٢- سورة آل عمران. آية: ١٥٩.

٣- سورة الأعراف. آية: ١٩٩.

٤- سورة التوبة. آية: ١٢٨.

٥- رواه الترمذي ٢ / ١٨٠. كتاب البر والصلة. باب ما جاء في رحمة المسلمين. عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. حديث رقم / ١٩٢٩. ، وصححه الألباني. صحيح الترمذي ٢ / ١٨٠. حديث رقم ١٥٦٩. ط١. المكتب الإسلامي. بيروت. ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

٦- سورة المؤمنون. آية: ١٢.

عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾[1]. من أجل ذلك ينبغي أن يكون العبد، أي عبد، متواضعاً، معرضاً عن الكبر والمستكبرين، ويظهر هذا الخلق العظيم فيما قصَّه القرآن علينا في قصة سليمان عليه السلام حيث يقول﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾[2] نعم إنه التواضع لله تعالى العزيز وحده، بينما جمع الله له كل هذا الملك، إذا بسليمان في الدرجة القصوى من التواضع، ينكر أي فضل له، وينسب الفضل كله، والمِنَّة أجمعها لله رب العالمين.

هذا التواضع هو الحامل على قبول كلام الهدهد المتفاخر بأنه يعرف ما لا يعرفه سليمان ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾[3] فلم يعنفه، ولم يعاقبه، بل قال له بكل تواضع ﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[4].

وبهذا التواضع أُمر النبي – صلى الله عليه وسلم – أن يحيا بين الناس فقال – تعالى – ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[5]. وقال – سبحانه – ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[6] وخفض الجناح " المراد به: التواضع، واللين، مأخوذ من خفض الطائر جناحه على فرخه، إذا غطاه وضمه إليه "[7].

فكان – عليه الصلاة والسلام – قدوة الناس، وأسوتهم، ومضرب المثل في التواضع، وإن أولى من يجب عليه الاتصاف بهذه الصفات الجليلة هم الحكام وولاة الأمور، فهم أيضاً محط أنظار الناس، ومحل الاقتداء من الآخرين. وهم أحوج الناس للزوم التواضع؛ كي لا يصابوا بأمراض الكبر، والعُجْب، وحتى لا ينعزلوا عن رعيتهم، وينصرفوا عن مشاكلهم.

- **الحزم والحسم**

١- سورة الفرقان. آية: ٦٣.

٢- سورة النمل. آية: ١٦.

٣- سورة النمل. آية: ٢٢.

٤- سورة النمل. آية: ٢٧.

٥- سورة الحجر. آية: ٨٨.

٦- سورة الشعراء. آية: ٢١٥.

٧- التفسير المنير. ٧ / ٣٧٦ .

ويعني هذا اتخاذ القرار بالفعل، أو الترك، بعد إعمال العقل والتفكير، وتحتاج سياسة الأمم إلى قدر كبير من الحزم والحسم، ولا تحتمل مقدرات الشعوب التردد، في اتخاذ القرارات الحاسمة، حتى صار التردد في اتخاذ القرار من أمارات فشل سياسة الدولة. ومن أمثلة الحزم في القرآن موقف سليمان – عليه السلام – من الهدهد المتغيب بدون إذن. قال الله – تعالى – ﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴾[1] فرغم نشاط الهدهد الكبير في خدمة سليمان – عليه السلام – إلا أن الحزم الذي يؤاخذ به هو الحزم اللائق بمثل موقعه ومسئولياته، فلابد لغيابه من حجة ظاهرة، وإلا فالعقاب حاضر ناجز.

وموقف آخر لسليمان – عليه السلام – حين أتوا إليه بالأموال، والهدايا من مملكتهم الغنية، يردهم – عليه السلام – بحزم وحسم ويقول لهم بوضوح ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[2]

والحزم لا يعنى ألا يستفيد العاقل من مشاورة من يثق فى نصحهم ؛ لأن المشاورة تضىء له جنبات الموقف، ثم هو بعد هذا صاحب القرار الذى سيتحمل مسئوليته ، ولذا وجدنا فى القرآن الكريم أُمِرَ نبينا – عليه الصلاة والسلام – بهذا الحزم، والحسم،فقال الله – تعالى – له ﴿ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾[3] فلا تردد بعد المشورة، واستبيان الأمور، بل عمل جاد، وسعي مستمر ﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[4]

هذه هي الصفات الرئيسة، التي ينبغي أن تكون متوفرة، جلية فيمن يتبوأ هذا المركز الكبير، والمكانة الخطيرة ، وبعد هذه الصفات المذكورة، ننتقل لبيان حقوق وواجبات الحاكم في القرآن الكريم، وهي موضوع بحثنا التالي.

١- سورة النمل. آية: ٢٠ – ٢١.

٢- سورة النمل. آية: ٣٦ – ٣٧.

٣- سورة آل عمران. من الآية: ١٥٩.

٤- سورة التوبة. آية: ١٠٥.

المبحث الثاني

حقوق وواجبات الحاكم في القرآن الكريم

المطلب الأول: حقوق الحاكم في القرآن الكريم

أبانت آيات القرآن عن حقوق الحاكم على المحكومين وتتلخص في النقاط التالية:

١. السمع والطاعة

لا يستقيم أمر الجماعة حتى تُنَصِّب إماماً حاكما، ولا يستقيم الأمر للحاكم حتى يكون مسموعاً مطاعاً داخل حدود الشرع. قال الله – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[١] " فأمر – سبحانه – بطاعته وطاعة رسوله وذلك بامتثال أمرهما، واجتناب نهيهما. وأمر بطاعة أولي الأمر وهم: الولاة على الناس، من الأمراء والحكام والمفتين، " فإنه لا يستقيم للناس أمر دينهم ودنياهم إلا بطاعتهم والانقياد لهم، طاعة لله ورغبة فيما عنده، ولكن بشرط ألا يأمروا بمعصية الله، فإن أمروا بذلك فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. ولعل هذا هو السر في حذف الفعل عند الأمر بطاعتهم وذكره مع طاعة الرسول، فإن الرسول لا يأمر إلا بطاعة الله، ومن يطعه فقد أطاع الله، وأما أولو الأمر فشرط الأمر بطاعتهم أن لا يكون معصية "[٢] وفي الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (**السمع والطاعة حق مالم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة**)[٣] فوجب السمع، والطاعة للأئمة، ما لم يأمروا بمعصية.

٢. تلبية دعوته للجهاد

١- سورة النساء. آية: ٥٩.

٢- تفسير السعدي ص / ٢٢٨.

٣- رواه البخاري. كتاب الجهاد والسير. باب السمع والطاعة للإمام. ص / ٥٦٧ حديث رقم ٢٩٥٥.

لما شرع الله تعالى الجهاد لعباده دفاعاً عن الدين، وردعاً للمعاندين، ونصرة للمستضعفين، أوجب على المسلمين النفير وتلبية النداء للجهاد، فمتى ما نادى الحاكم المسلم بالجهاد لَبَّاه المسلمون، وسارعوا إلى نصرته.

قال الله – تعالى – ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[1]

وفي الآيتين إنكار الله على المؤمنين تكاسلهم في إجابة داعي الجهاد، وتهديدهم بالعذاب والاستبدال، ثم أكد الله بعد ذلك الأمر، وقال – جل جلاله – ﴿ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَـٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[2]

فإذا استنفرهم الحاكم المسلم للجهاد فقد وجبت تلبية ندائه ونصرته، وقد عاب على أقوام تخلفهم عن الخروج للجهاد، ومدح آخرين صادقين لَبَّوا النداء، ووعدهم بحسن الجزاء، فقال الله – تعالى – ﴿ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3]

٣. النصح للحاكم

فيجب بذل النصح له، وتوجيهه للخير، بألطف عبارة، وأحسن طريقة، والأصل في ذلك قوله تعالى ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4] رفع عنهم الحرج بإحسانهم، ونصحهم لله ورسوله، وأعظمه بذله لولي الأمر وإرشاده للخير والصواب، كما روى تميم الداري رضي

١- سورة التوبة. آية: ٣٨ – ٣٩.

٢- سورة التوبة. آية: ٤١.

٣- سورة التوبة. آية: ٨٨.

٤- سورة التوبة. آية: ٩١.

الله عنه أن النبي – عليه الصلاة والسلام – قال (**الدين النصيحة. قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**) [١]

ومعنى النصيحة لأئمة المسلمين " فحب صلاحهم، ورشدهم، وعدلهم، وحب اجتماع الأمة عليهم، وكراهة افتراق الأمة عليهم، والتدين بطاعتهم في طاعة الله عز وجل، والبغض لمن رأى الخروج عليهم، وحب إعزازهم في طاعة الله عز وجل "[٢]

المطلب الثاني واجبات الحاكم في القرآن الكريم

يلزم الحاكم المسلم في القرآن القيام بواجبات عديدة منها:

١. حفظ الدين ومنه

أ- إقامة الحاكمية لله

فلا يحكم إلا بكتابه العزيز، وشرعه الجليل، الذي أتمه، وأكمله، رضيه للناس أجمعين، قال رب العالمين لنبيه – عليه أتم الصلوات والتسليم – ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾[٣]

وقوله – سبحانه –﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾[٤]

١- رواه مسلم. كتاب الإيمان. باب بيان أن الدين النصيحة. ص / ٢٢٢ حديث رقم ٥٥.

٢- الحنبلي، ابن رجب. جامع العلوم والحكم . ص / ١٠٦. ط١. جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت . ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م

٣- سورة النساء. آية: ١٠٥.

٤- سورة المائدة. آية: ٤٨ – ٤٩.

فأعظم واجبات الحاكم المسلم قيامه بالحكم بما أنزل الله امتثالاً لأمر ربه، وتعظيماً لحكم ملك الملوك – جل وعلا – القائل ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾[1]

ومن حفظ الدين أيضاً:

ب- إقام الصلاة

ت- إيتاء الزكاة

ث- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ويجمع هذه الأقطاب العظيمة في دين المسلمين قول الحق – تعالى – ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾[2]

فأوجب الله – سبحانه – على عباده الممكنين في الأرض، إقامة معالم الدين، وإظهار شعائره، والدفاع عن عقيدته، حتى يبقى للمسلمين سمت دينهم الذي يتميزون به عن غيرهم، ويُظهرون فيه لربهم كامل أمارات الخضوع، وأتم دلالات الانقياد والاستسلام له – جل جلاله – وهذه المعاني هي جوهر الإسلام، التي أمر بها الله – تعالى – حيث يقول ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[3] ويقول – سبحانه – ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[4]

فأولى مهمات الحاكم المسلم قيامه على رعاية الشعائر بعد إقامة الشرائع، وبذل الجهود لتيسير السبل، وتذليل الصعاب، والعناية بالمؤسسات القائمة في هذه الأعمال الجليلة، حتى تؤدي رسالتها على خير الوجوه وأتمها.

٢. إقامة الحدود وحفظ الأمن

خلق الله – عز وجل- ابن آدم، وفضله على غيره من سائر المخلوقات، فهو مدني بالطبع، يحب التعايش، والاجتماع بغيره، وقد يحصل في هذا الاجتماع من الإنسان تعدٍ على بعض حقوق الآخرين، فيحتاج إلى ضبط تصرفاته، وتقويم اعوجاجه، وإنما يكون ذلك بتطبيق

١- سورة الأنعام. آية: ٥٧.

٢- سورة الحج. آية: ٤١.

٣- سورة النور. آية: ٥٦.

٤- سورة آل عمران. آية: ١٠٤.

الأحكام الشرعية عليه، يطبقها ولي الأمر، ويحكم بها بين الناس، ليحفظ للناس دينهم، ونفوسهم، وعقولهم، وأموالهم ويصون أعراضهم، ومن هذه الحدود:

أ- القصاص في القتلى لحفظ النفوس.

قال الملك القدوس ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[1]

ب- حد الحرابة لحفظ النفوس والأموال والأمن في الطرقات.

قال الجليل ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2]

ت- حد السرقة لحفظ أموال الناس.

قال الحق تعالى ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾[3]

ث- حد الزنا وحد القذف لصيانة الأعراض وحفظ الأنساب

﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ وَلَا تَأۡخُذۡكُم بِهِمَا رَأۡفَةٞ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ وَلۡيَشۡهَدۡ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةٗ وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٣ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ وَلَا تَقۡبَلُواْ لَهُمۡ شَهَٰدَةً أَبَدٗاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾[4]

ومن أعظم آثار تطبيق هذه العقوبات من الحدود، والتعزيرات، حفظُ الأمن ، فيَسْتَتِبُّ الأمن، ويأمن الناس على دينهم، وأنفسهم، وعقولهم، وأعراضهم، وعلى أموالهم، ولا شك أن الأمن مطلب شرعي جاء ذِكْرُهُ في كتاب الله – عز وجل- من دعاء إبراهيم –عليه السلام-

---

١- سورة البقرة. آية: ١٧٨ – ١٧٩.

٢- سورة المائدة. آية: ٣٣.

٣- سورة المائدة. آية: ٣٨.

٤- سورة النور. آية: ٢ – ٤.

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1] ومن ذلك أن الله –عز وجل– امْتَنَّ على أهل الحرم بالأمن كما في قول الله –عز وجل– ﴿ وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] من أجل ذلك وجب على كل حاكم مسلم أن يقوم بهذه الفريضة العظيمة، من تطبيق شريعة الرحمن، وإنفاذ أحكامها، تحصيلاً لمنافعها العظيمة،وفوائدها الجسيمة.

٣. جهاد أعداء الإسلام وينقسم إلى قسمين:

أ– جهاد الطلب

جهاد الطلب: هو طلب المشركين، ويشرع إذا كان هناك من يقف أمام الدعوة إلى الله عز وجل، ويحول دون تبليغ الإسلام، فهذا يُجَاهَد، وقبل أن يُجَاهد فهو يخير بين أمور ثلاثة: إما القتال، وإما الإسلام، وإما الجزية.

ب– جهاد الدفع

وجهاد الدفع: من المدافعة، وهو قتال العدو وصده عن بلاد الإسلام إن دخلها أو همّ بدخولها.

وفي الحالتين فواجب على الحاكم المسلم أن يعقد ألوية الجهاد، لنشر الدين، ورفع كلمة الله عالية، ولدفع الطامعين عن بلاد الإسلام، ويتوجب عليه الأخذ بكل الأسباب المفضية إلى قوة الدولة المسلمة، وإرهاب أعدائها، وسلامة مواطنيها، وحفظ أراضيها، ومقدساتها. وفي هذا الواجب نقرأ الآيات المتتابعات من القرآن الكريم تأمر بالجهاد، والثبات في مواطنه، وتوضح غاياته، وتقرب ثمراته، مثل قوله – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[3]

١– سورة البقرة. آية: ١٢٦.

٢– سورة القصص. آية: ٥٧.

٣– سورة الأنفال. آية: ١٥ – ١٦.

وقوله – سبحانه –﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1]

وقوله – جلَّ وعلا –﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2]

وقوله – تعالى –﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾[3]

وقوله – جلَّ جلاله –﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[4]

وقوله – سبحانه –﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[5]

وقوله – تعالى – ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾[6]

فهذه الآيات وغيرها، تأكيد واضح على وجوب الجهاد، ورسم لصورته الحقيقية، وذكر أسبابه، ودواعيه، والترغيب فيه، والتحذير من تركه، والتولي عنه، وما ينبغي له من الإعداد الجاد، وتوفير العدة والعتاد الكافي للنصر، والردع، مع اليقظة التامة، لتحصيل أقصى ما يمكن من ثمراته، وأعظمها نشر الإسلام، والدفاع عن المستضعفين، ونصرة المظلومين.

وهذه واجبات لا يقوم بها إلا حاكم مسلم، يعرف دين الله، ويعظم شرائعه، ويبذل في سبيل ذلك الغالي والنفيس من موارد دولة الإسلام، ليقود جيوش المجاهدين لجعل كلمة الله هي العليا، وليرهب المعاندون وأعداءُ الإسلام جانبَ دولته، ويتحاشون إغضابها، أو الإساءة إليها، فضلاً عن التفكير في التعدي على أفرادها، أو أرضها، أو مقدساتها.

١- سورة الأنفال. آية: ٣٩.

٢- سورة الأنفال. آية: ٤٥.

٣- سورة الأنفال. آية: ٥٨.

٤- سورة الأنفال. آية: ٦٠.

٥- سورة التوبة. آية: ١٣ – ١٥.

٦- سورة التوبة. آية: ٢٩.

٤. رعاية الجانب المالي للدولة جبايةً، وتوزيعاً.

وواجب آخر من واجبات الحاكم المسلم، ويتمثل في القيام التام والدائم، على رعاية الجوانب المالية للدولة المسلمة، موارد ومصاريف، جبايةً وتوزيعاً.

والأموال التي ذكرت في القرآن، والتصرف فيها من اختصاص الحاكم المسلم، على ثلاثة أصناف: الغنيمة، والصدقة، والفيء.

" **فأما الغنيمة**: فهي المال المأخوذ من الكفار بالقتال ذكرها الله في سورة الأنفال ... قال – سبحانه – ﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ﴾[١].

وقال ﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢] وفي الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه و سلم قال : (أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً، وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة)[٣].

وأما الصدقات: فهي لمن سمَّى الله – تعالى – في كتابه "[٤] ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٥].

وأما الفيء: فهو هو ما أخذ من الكفار بغير قتال. قال الله – تعالى – ﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ

١- سورة الأنفال. من الآية: ٤١.

٢- سورة الأنفال. آية: ٦٩.

٣- البخاري، كتاب التيمم. باب وقول تعالى { فلم تجدوا ماءً فتيمموا }. حديث رقم/ ٣٣٥. وكتاب الصلاة. باب قول النبي صلى الله عليه وسلم(وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً). حديث رقم ٤٣٨. ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة. رقم الحديث/ ٥٢١

٤- ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية. بتعليق العثيمين، محمد بن صالح، ص / ٩٩ – ١١٦. ط ١. ١٤٢٧هـ. مدار الوطن للنشر – الرياض. بتصرف

٥- سورة التوبة. آية: ٦٠.

أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾[1]

" وهذا مثل **الجزية** التي على اليهود، والنصارى، والمال الذي يصالح عليه العدو، أو يهدونه إلى سلطان المسلمين ...

وما يؤخذ من تجار أهل الحرب، **وهو العشر**، ومن تجار أهل الذمة، إذا اتجروا من غير بلادهم، وهو **نصف العشر**... ثم إنه يجتمع من الفيء جميع الأموال السلطانية، التي لبيت مال المسلمين : كالأموال التي ليس لها مالك معين، مثل من مات من المسلمين، وليس له وارث معين، وكالغصوب، والعواري، والودائع، التي تعذر معرفة أصحابها وغير ذلك من أموال المسلمين العقار والمنقول. فهذا ونحوه مال المسلمين "[2]

فهذه الأصناف من الأموال، واجب على الحاكم المسلم أن يرعى سبل إدارتها، منذ تحصيلها، وحتى وصولها إلى مستحقيها، وإنفاقها في مصارفها لصالح رقي البلاد، ورفاهية العباد، فيستوفي لهم حقوقهم تامة، ويؤديها إليهم كاملة، ويستثمر موارد البلاد فيما فيه مصلحة الأمة، وتقدمها، في جميع المجالات الدينية والدنيوية.

٥. الحرص على مصلحة الأمة

من خلال تعيين الولاة والموظفين ورسم السياسة العامة للدولة، فالولاية أمانة ، وعلى الإمام يقع عبء هذه الأمانة ، فيجب عليه أن يولى على كل عمل من الأعمال أصلح من يجده لهذا العمل دون محاباة ، وإلا كان خائناً مضيعاً لأمانته. قال – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3]

وقد دلت سنة النبى صلى الله عليه وسلم على أن الولاية أمانة يجب أداؤها فمن ذلك ما صح عن أبى هريرة أن النبى – صلى الله عليه وسلم – قال : (إذا ضيعت الأمانة فانتظر

١- سورة الحشر. آية: ٦ – ٧.

٢- السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية. ص / ١١٧ – ١٢٤. بتصرف.

٣- سورة الأنفال. آية: ٢٧.

الساعة. قيل : يا رسول الله : وما إضاعتها ؟ قال : إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة)[1]

وقال النبى – صلى الله عليه وسلم – لأصدق الناس لهجة : " يا أبا ذر إنك ضعيف ، وإنها يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذى عليه فيها "[2] فلهذه الأسباب وجب على الحاكم أن يعمل لمصلحة أمته، ويرعى شئونها، ويحرص على ذلك

وعلى الإمام يقع عبء رسم السياسة العامة للدولة والعمل على تنفيذها ، وذلك فى إطار الشرعية الإسلامية ومع مراعاة المبادئ الإسلامية العامة ، كمبدأ الشورى، والعدل، كما مر معنا في مواضع كثيرة من هذه الرسالة، وللإمام فى ذلك سلطة تقديرية واسعة حيث لم تأت الشريعة بتفصيلات ذلك وإنما جاءت بمبادئ عامة وقواعد كلية .

بهذه الواجبات على الحاكم نختتم هذا المبحث، ومنه – بعون الله – إلى المبحث الثالث عن حقوق وواجبات المحكومين في القرآن الكريم.

١- رواه البخاري. كتاب العلم. باب فضل العلم. رقم الحديث / ٥٩. وكتاب الرقاق. باب رفع الأمانة. حديث رقم / ٦٤٩٦.

٢- رواه مسلم. كتاب الإمارة. باب كراهية الإمارة بغير ضرورة. رقم الحديث / ١٨٢٥.

المبحث الثالث

حقوق وواجبات المحكومين في القرآن الكريم.

ينبغي القول هنا أن العلاقة بين الحاكم والمحكوم علاقة متشابكة، وصِلَةٌ وثيقة، لا يمكن الكلام على أحدهما دون التعرض للآخر؛ ولهذا سنجد عند الكلام على حقوق المحكومين، أنها واجبات على الحكام، يلتزمون بتوفيرها، ورعايتها، وأن كثيراً من الواجبات على المحكومين هي حقوق للحكام، يجب أن تؤدى لهم كذلك.

المطلب الأول حقوق المحكومين في القرآن الكريم

سبق لنا استعراض هذه الحقوق غير مرة في هذه الرسالة، في ثنايا فصولها، ومباحثها؛ فنحيل إليها ولا نعيد تفصيلها؛ دفعاً للتكرار والتطويل.

ومن هذه الحقوق التي صاغتها آيات القرآن العظيم ما يلي:

- **المساواة.**
- **الشورى**
- **الحرية.**
- **التمتع بالعدالة.**
- **التمتع بالأمن، والأمان على دينهم، وأرواحهم، وأعراضهم وأموالهم.** [1]

١- يُنظر الفصل الثاني، في المبحثين الثاني والثالث، من ص ٦٤: ١٠٤ وكذلك الفصل الخامس، في المبحث الأول، والثاني، من ص ٢٤٣: ٢٦٧. والمبحث الخامس من ص ٢٨٦: ٢٩٥ .

المطلب الثاني واجبات المحكومين في القرآن الكريم

وحين نذكر حقوق المحكومين التي يجب أن تؤدى إليهم، نجد لزاماً بيان الواجبات المترتبة عليهم تجاه حاكمهم وأوطانهم، والتي مر بعضها معنا عند الكلام على حقوق الحاكم [1]، مثل:

- ✓ **السمع والطاعة في المعروف**
- ✓ **النصح بالرفق**

ومن الواجبات أيضاً

- ✓ **البيعة للحاكم**

والمقصود بالبيعة : هو انعقاد الحكم للحاكم المسلم ليكون مسؤولا عن أهل زمانه، حيث اتفق العلماء على وجوب نصب الإمام.

قال الإمام ابن حزم: " **اتفق جميع أهل السنة على أن الأمة واجب عليها الانقياد لإمام عادل يقيم فيهم أحكام الله** " [2].

قال الله – تعالى – "﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [3]

قال الإمام الطبري: " **هم الأمراء والولاة في ما كان لله طاعة وللمسلمين مصلحة** " [4].

وقال ابن كثير عند تفسيرها: " **هم العلماء والأمراء** " [5].

١- يُنظر هذا الفصل، في المبحث الأول.

٢- الفصل في الملل والنحل: ٤ / ٨٧

٣- سورة النساء. آية: ٥٩

٤- تفسير الطبري. ٧ / ٥٠٢. مصدر سابق.

٥- تفسير ابن كثير. ١ / ٦٨٩ . مصدر سابق.

وقال صلى الله عليه وسلم: (**من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**) [1]. **وهذا الحديث واضح الدلالة على وجوب مبايعة الإمام.**

وقال الإمام النووي: " **أجمع العلماء على أنه يجب على المسلمين نصب خليفة** "[2]. **فالبيعة لخليفة المسلمين أمر معلوم من الدين بالضرورة، وعدم نصب الخليفة أو الحاكم مسلم يورث الإضرار والفوضى.**

قال ابن خلدون في مقدمته: " **اعلم أن البيعة هي العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمور نفسه وأمور المسلمين، لا ينازعه في شيء من ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكره** "[3]

وإذا كانت مبايعة الحاكم، معلوماً من الدين بالضرورة؛ فإن نقض البيعة، والنكوث يعتبر كبيرة من كبائر الذنوب، ما لم يصدر من المبايَع ما ينافي أصل الإيمان، لأن ذلك نقض للعهد، وقد توعد الله سبحانه من نقض العهد، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾[4].

وقال سبحانه: "﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[5].

وفي البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها" قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال "تؤدون**

١- رواه مسلم كتاب الإمارة. باب وجوب لزوم جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. ص / ٥٣٢. رقم الحديث / ١٨٥٠. مصدر سابق.

٢- شرح مسلم للنووي ١٢ / ٢٠٥. ط ٢. دار إحياء التراث العربي – بيروت. ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

٣- مقدمة ابن خلدون ١ / ٣٧٠. ط ٢ . دار الكتاب اللبناني – بيروت . ١٩٧٩.

٤- سورة الفتح. آية: ١٠ .

٥- سورة البقرة. آية: ٢٧ .

الحق الذي عليكم، وتسألون الله الذي لكم) [1]. فهذا الحديث وغيره يقضي بحرمة نكث البيعة والخروج على طاعة الحاكم بأي شكل من أشكال الخروج.

قال الآجري رحمه الله **"وقد ذكرت من التحذير عن مذاهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله عز وجل عن مذهب الخوارج، ولم ير رأيهم وصبر على جور الأئمة، وحيف الأمراء ولم يخرج عليهم بسيفه وسأل الله العظيم كشف الظلم عنه وعن جميع المسلمين، ودعا للولاة بالصلاح، وحج معهم وجاهد معهم كل عدو للمسلمين، وصلى خلفهم الجمعة والعيدين، وإن أمروه بطاعة، فأمكنته طاعتهم أطاعهم، ولمن لم يمكنه اعتذر إليهم، وإن أمروه بمعصية لم يطعهم، وإذا دارت بينهم الفتن لزم بيته، وكف لسانه ويده ولم يهو ما هم فيه، ولم يعن على فتنة، فمن كان هذا وصفه كان على الطريق المستقيم إن شاء الله تعالى"** [2].

وبمثل هذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في منهاج السنة (**المشهور من مذهب أهل السنة أنهم لا يرون الخروج على الأئمة وقتالهم بالسيف وإن كان فيهم ظلم، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ... ولعله لا يكاد يعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلاّ كان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته)** [3]

فالوفاء بالبيعة من الواجبات، وإذا كان للإنسان الحق في أن يتنازل عن حقوقه؛ فليس له الحق في التفريط في واجباته؛ رعايةً لصالح الأمة، وصيانةً لأحوالها من الفوضى، والاضطراب.

١- رواه البخاري. كتاب الفتن. باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (سترون بعدي أمورا تنكرونها) ص/١٣٤٩. رقم الحديث ٧٠٥٢.

٢- الآجري. أبو بكر محمد بن الحسين. الشريعة. بتحقيق د عبد الله الدميجي. باب ذكر ثواب من قاتل الخوارج. ١ / ٣٧٠. دار الوطن – الرياض. ط٢ ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٣- ابن تيمية. أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. منهاج السنة النبوية. بتحقيق د محمد رشاد سالم. ٣ / ٣٩١. ط١. جامعة الإمام محمد بن سعود. ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م

ومن الواجبات المحتمات:

✓ حراسة العقائد والفضائل

جاءت توجيهات رب الأرض والسموات، للمسلمين بحراسة عقائدهم، وفضائلهم، بكل ما يستطيعون، من ألوان الحراسة والدفاع، ومنها:

١- القيام بالدعوة إلى الله، نشراً للوعي، ودفعاً لشبهات الضالين المنحرفين.

يقول - تعالى - ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[١]

قال العلامة السعدي " أي: ليكن دعاؤك للخلق ...{ بِالْحِكْمَةِ }.... كل على حسب حاله وفهمه وقوله وانقياده، ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل والبداءة بالأهم فالأهم، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم، وبما يكون قبوله أتم، وبالرفق واللين.

فإن انقاد بالحكمة، وإلا فينتقل معه بالدعوة بالموعظة الحسنة، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب....

فإن كان المدعو يرى أن ما هو عليه حق. أو كان داعيه إلى الباطل، فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلا ونقلا." ٢

ويقول - سبحانه - ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[٣]

" هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولا. أي: كلامًا وطريقة، وحالة { مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ } **بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين،** بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها،والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصًا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام

١- سورة النحل. آية: ١٢٥.

٢- تفسير السعدي. ص / ٦٢٢. مصدر سابق

٣- سورة فصلت. آية: ٣٣.

وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ومن الدعوة إلى الله، تحبيبه إلى عباده، بذكر تفاصيل نعمه، وسعة جوده، وكمال رحمته، وذكر أوصاف كماله، ونعوت جلاله.

ومن الدعوة إلى الله، الترغيب في اقتباس العلم والهدى من كتاب الله وسنة رسوله، والحث على ذلك، بكل طريق موصل إليه، ومن ذلك، الحث على مكارم الأخلاق، والإحسان إلى عموم الخلق، ومقابلة المسيء بالإحسان، والأمر بصلة الأرحام، وبر الوالدين.

ومن ذلك، الوعظ لعموم الناس، في أوقات المواسم، والعوارض، والمصائب، بما يناسب ذلك الحال، إلى غير ذلك، مما لا تنحصر أفراده، مما تشمله الدعوة إلى الخير كله، والترهيب من جميع الشر.

ثم قال تعالى: { وَعَمِلَ صَالِحًا } أي: مع دعوته الخلق إلى الله، بادر هو بنفسه، إلى امتثال أمر الله، بالعمل الصالح، الذي يُرْضِي ربه. { وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } أي: المنقادين لأمره، السالكين في طريقه"[1]

٢- القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تطهيراً للمجتمع، وصيانته عن الفساد

" حياةُ المسلمين – المتمسكين بدينهم اليوم، المبنية على إقامة العبودية لله تعالى، وعلى الطهر والعفاف، والحياء، والغيرة – حياةٌ محفوفة بالأخطار من كل جانب، بجلب أمراض الشبهات في الاعتقادات والعبادات، وأمراض الشهوات في السلوك والاجتماعيات، وتعميقها في حياة المسلمين في أسوأ مخطط مسخر لحرب الإسلام، وأسوأ مؤامرة على الأمة الإسلامية، .....، لتذويب الدِّين في نفوس المؤمنين، وتحويل جماعة المسلمين إلى سائمة تُسَام، وقطيع مهزوز اعتقادُه، غارق في شهواته، مستغرق في ملذّاته، متبلد في إحساسه، لا يعرف معروفاً ولا يُنكر

١- تفسير السعدي. ص / ١٠٥٢ و ١٠٥٣.

منكراً، حتى ينقلب منهم من غلبت عليه الشقاوة على عقبيه خاسراً، ويرتد منهم من يرتد عن دينه بالتدريج ..... "[1].

ومن هنا وجب على المسلمين حكاماً ومحكومين القيام بكل ما يدفع عنهم مكر الماكرين ومخططاتهم، وتطهير مجتمعاتهم من سائر المخالفات، وكل ما يتعارض مع الشرع الحنيف، وأداء ما افترض ربهم عليهم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما في قوله تعالى﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[2]

ويقـــول – ســـبحانه – ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[3] .

وهاتان الآيتان الجليلتان تضمنتا عدة معاني عظيمة منها:

أ- إرشاد المؤمنين لأن يكون منهم جماعة متصدية للدعوة إلى سبيله وإرشاد الخلق إلى دينه، ويدخل في ذلك العلماء، والوعاظ، والمجاهدون في سبيل الله، والمتصدون لتفقد أحوال الناس وإلزامهم بالشرع، ومنعهم من الغش والمعاملات الباطلة.

ب- القيام بهذا الواجب الخطير من فروض الكفايات كما تدل عليه الآية الكريمة في قوله { ولتكن منكم أمة } أي: لتكن منكم جماعة يحصل المقصود بهم في هذه الأشياء المذكورة.

ت- من المعلوم المتقرر أن الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به فكل ما تتوقف هذه الأشياء عليه فهو مأمور به، كالاستعداد للجهاد بأنواع العدد التي يحصل بها نكاية الأعداء وعز الإسلام، وتعلم العلم الذي يحصل به الدعوة إلى الخير وسائلها ومقاصدها، وبناء المدارس للإرشاد والعلم، ومساعدة النواب ومعاونتهم على تنفيذ الشرع في الناس بالقول والفعل والمال، وغير ذلك مما تتوقف هذه الأمور عليه.

١- أبو زيد. بكر بن عبد الله . حراسة الفضيلة. ص: ١٠ و١١. الطبعة ١١. دار العاصمة. الرياض. ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م

٢- سورة آل عمران. آية: ١٠٤.

٣- سورة آل عمران. آية: ١١٠.

ث- القيام بهذه الفريضة هو شرط للفلاح والفوز بالخيرية في الدنيا والآخرة، والقائمون بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم خواص المؤمنين، ولهذا قال تعالى عنهم: { وأولئك هم المفلحون } الفائزون بالمطلوب وقال عنهم { كنتم خير أمة } وذلك بتكميلهم لأنفسهم بالإيمان المستلزم للقيام بكل ما أمر الله به، وبتكميلهم لغيرهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المتضمن دعوة الخلق إلى الله.

ومن الواجبات

✓ الحفاظ على موارد الأمة

ولا يكون ذلك إلا من خلال تفعيل رؤى الإسلام الاقتصادية، في الحفاظ على موارد الأمة، وثرواتها، ومنافع الأمة العامة، بالاعتدال في استخدامها، والمحافظة عليه بكافة السبل والتدابير اللازمة، والذي يعد عملا عظيماً، وهدفاً استراتيجيا، وواجبا دينيا يتماشي مع مقاصد وتعاليم الشريعة الإسلامية .

وآيات القرآن الكريم آمِرَةٌ، وموجِّهةٌ للمؤمنين بالتوسط والاعتدال في كل تصرفاتهم، وأقامت بناءهم علي الوسطية، والتوازن، والقصد، بعيداً عن الإسراف والتبذير والإفساد وتبديد الثروات والموارد، ونقرأ في كتاب ربنا قوله – تعالى – ﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ مِن رِّزۡقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴾[1] .

كما نقرأ قوله – سبحانه – ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾[2].

وقوله – سبحانه – ﴿ وَيَٰقَوۡمِ أَوۡفُواْ ٱلۡمِكۡيَالَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا تَبۡخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشۡيَآءَهُمۡ وَلَا

١- سورة البقرة. من آية: ٦٠.

٢- سورة الأعراف. آية: ٣١.

تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[1] .

وقوله – عز وجل – ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾[2] .

وقوله – تعالى – ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾[3] .

وقوله – سبحانه – ﴿ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾[4] .

هذه الآيات الكريمات كلها ترسم سلوكاً راقياً لجميع أعضاء الجماعة المسلمة، فهم متوازنون في مآكلهم ومشاربهم، وملابسهم ومراكبهم، لا يسرفون ولا يبذرون، مقتصدون متوسطون في نفقاتهم، أبعد الناس عن الإضرار بالآخرين، يصلحون في الأرض ولا يفسدون، يعتنون بنعم الله وما منَّ به عليهم من الموارد المختلفة، يستثمرونها، وينتفعون بها.

والقيام بهذه الواجبات وأداء تلك الحقوق هو أمثل السبل للعيش الهانئ الرغيد، وبه تستقيم أحوال الأمم والشعوب.

وهذا أوان الانتقال لبعض النماذج من صور الحكم في القرآن الكريم في مبحثنا الأخير من هذا الفصل.

١- سورة هود. آية: ٨٥.

٢- سورة الإسراء. آية: ٢٦ و ٢٧.

٣- سورة الإسراء. آية: ٢٩.

٤- سورة الشعراء. آية: ١٥١ و ١٥٢.

المبحث الرابع

صور ونماذج الحكم في القرآن الكريم.

أبرز القرآنُ العظيم عدةَ نماذج من صور الحكم المختلفة والمتفاوتة، ما بين حكم راقٍ رشيد، وحكم فاسد لجبار عنيد. وفيما يلي وقفة خاطفة مع بعض هذه النماذج القرآنية :

المطلب الأول: مثالان لحاكمين مستبدين

١- يقول – تعالى – ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ ﴾[1] .

" معناه هل انتهى إليك يا محمد خبر الذي حاج إبراهيم أي خاصم وجادل، وهو نمرود وهو أول من وضع التاج على رأسه، وتجبر في الأرض وادعى الربوبية؟ { أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ } أي لأن آتاه الله الملك فطغى أي كانت تلك المحاجة من بطر الملك وطغيانه، قال مجاهد: ملك الأرض أربعة، مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان وذو القرنين، وأما الكافران فنمرود وبختنصر." [2] .

فهذا **النمرود نموذج للحاكم الظالم المتجبر**، يرى الناس كلهم عبيداً لديه، مع إحساس متعاظم بالسمو، وأنه مختلف عن الناس، يجب تقديسه والخضوع له، بل ويذهب به الطغيان إلى رؤية نفسه رباً يحيي ويميت، " وكان بالموصل بالعراق والناس يأتونه، يطلبون الطعام، فإذا دخلوا عليه، قال: من ربكم؟ فيقولون: أنت! فيقول: أميروهم[1]. يعني أعطوهم الطعام "[2] .

١- سورة البقرة. آية: ٢٥٨.

٢- تفسير البغوي. ١ / ٢٧٣ و ٢٧٤.

١- من الميرة وهي الطعام يجمع للسفر ونحوه. المعجم الوسيط ٢ / ٨٣٩

٢- تفسير الطبري ٢ / ١٥٠٥: ١٥١٠. وفيه بعض التفاصيل الأخرى من خلال الروايات المذكورة بهذه الصفحات.

٢- **والنموذج الآخر لهؤلاء الحكام** يدعي الألوهية، ويستعبد الناس، ويقسم الرعية شيعاً، ويذبح حتى الأطفال، ولا يحجزه شيء من ارتكاب العظائم فقط في سبيل تأصيل هذه الفكرة التافهة بألوهيته، وارتفاعه على الناس؛ ولنقرأ سوياً قول الحق- جل جلاله – ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[1].

إنه الفرعون رمز الطغيان، جمع إلى ظلمه وبطشه بالخلق، ادعاء الألوهية والربوبية قال – سبحانه – ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2]. وقال – عزَّ وجلَّ – ﴿ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴾[3]. أستاذ المستبدين من بعده، وصاحب المشورات الوهمية والشكلية، ذو البطانة الفاسدة من وزراء وجلساء قال – تعالى – ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾[4].

وقال – سبحانه – ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴾[1].

هكذا تجري الأمور في بلاط الطغاة الظالمين، بطانة متوحشة، وملأ مجرمون، لا يشيرون بخير، ولا يأمرون بمعروف، أصحاب مصالح وأطماع، فخاب المشير والمستشير.

١- سورة القصص. آية: ٤.

٢- سورة القصص. آية: ٣٨ : ٤٠.

٣- سورة النازعات. آية: ١٧ : ٢٥.

٤- سورة الأعراف. آية: ١٠٩ : ١١٢.

١- سورة الأعراف. آية: ١٢٧.

نعم لا يعاجلهم الرب – عز وجل – بالعذاب والاستئصال، بل يمهلهم مرة بعد أخرى لعلهم يرجعون عن ظلمهم، ويتوبون إلى ربهم، ويعدلون في حكمهم، ويريهم آياته الواحدة تلو الأخرى، ويتكرر المشهد نفسه من التكذيب والجحود ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1]. وفي كل مرة يبرز دور مستشاري الخراب، ووزراء البوار يثبطون عن الحق، ويهونون من الهداية، ويحرضون على البطش بالأنبياء والمصلحين وأتباعهم.

ورأيي – والله أعلم بمراده – أن الله – جل جلاله – إنما يعاقب الحكام المتجبرين السفَّاحين بأمثال هذه الحاشية وهؤلاء الوزراء والمستشارين، ليزدادوا غروراً، ويتمادون في الغيِّ، حتى يأخذهم الله بغتة، أخذ عزيز جبار منتقم؛ فكأن القوم ما كانوا ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2].

١- سورة الزخرف. آية: ٤٨.

٢- سورة النمل. آية: ٥٢.

المطلب الثاني: أمثلة الحكم الرشيد

أوقفنا القرآن الكريم على عدة نماذج رشيدة راقية للحكام، الذين يكونون سببا في إصلاح أوطانهم، وهداية شعوبهم، ومساعدة الضعفاء ورعايتهم. ومن هؤلاء النماذج:

١- عند ذكر **النماذج المضيئة للحاكم العادل**، يتبادر إلى الذهن النبيان الكريمان **داود وابنه سليمان عليهما السلام** (١). فقد جمع الله لهما إلى جلال النبوة والرسالة، الملكَ وهيبتَه قال - تعالى - ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[٢].

فآتى اللهُ داودَ الملك وأيده بالحكمة وهي النبوة، وخصه بالمزايا التي تعينه على مباشرة الحكم، من الفهم والإصابة في القضاء بين الناس في الخصومات. قال - سبحانه -

﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾[٣].

وأوصاه تعالى بالعدل وتجنب الهوى والميل عن سواء الصراط في الحكم بين الناس. قال - عزَّ وجلَّ - ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[٤]. فحكم داود فكان أرفق الناس بالرعية، وأحرصهم على ما ينفعهم، مجاهداً في سبيل الله، ويعين المجاهدين بتصميم وصناعة الدروع التي يلبسونها في الحرب، قال - جل وعلا - ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴾[٥].

١- لا يتسع البحث، بل وليس محلاً للروايات هائلة العدد، متعددة الحكايات، الواردة في شأنهما عليهما السلام، ويمكن مراجعة تفسير الطبري كمثال في مواضع منها: ٢ / ١٤٦٠ وما بعدها و ٨ / ٦٢٧١ وما بعدها و ٨ / ٦٩٧٧ وما بعدها.

٢- سورة البقرة. آية: ٢٥١.

٣- سورة ص. آية: ١٧ : ٢٠.

٤- سورة ص. آية: ٢٦.

٥- سورة الأنبياء. آية: ٨٠.

ولما مات داود عليه السلام خلفه ابنه سليمان بسيرة عظيمة في نشر الخير، قال – سبحانه – ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾[1].

وقد استغل كل ما وهبه الله من تسخير الطير والجن والريح من أجل نصرة دين الله، كما جاء في قصة الهدهد ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾[2].

فلم يترك مكاناً يستطيع الوصول إليه ليدعو لتوحيد، أو يحارب كفاراً معاندين، إلا جاءهم ودعاهم، مع إقامة العدل، وشيوع الأمن في رعيته. قال – تعالى – ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[3].

٢- من النماذج العظيمة، نادرة التكرار في التاريخ الإنساني، **الحاكم المسلم، والمصلح الجليل ذو القرنين** الذي قال الله – تعالى – في شأنه ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ

١- سورة النمل. آية: ١٦ و ١٧.

٢- سورة النمل. آية: ٢٧ و ٣١.

٣- سورة ص. آية: ٣٠ : ٣٩.

نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا ﴾[1].

مَلَكَ الدنيا ومكنه الله من جميع أسباب القوة الداخلية والخارجية، مع النظام التام، فساح فيها شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، يظهر ما ميزه الله به، واستحق عليه المدح، من حسن سياسة في الخلق، فكان ينشر العدل، ويعاقب المجرمين، ويدرأ خطر المفسدين، ويجازي المحسنين، وييسر عليهم، ويحسن القول لهم، ويمد يد العون للمحتاجين، مستخدما ما مكَّنَه الله فيه من القوة، والفهم، ودقة القرار، مع إرادته للإصلاح، ورغبته عن الأطماع الدنيوية، كما ظهر من عدم قبوله للأجر على بناء السد العظيم لدفع ضرر يأجوج ومأجوج. ولما تم له ما أراد نسب الفضل لله وحده { قال هذا رحمة من ربي} وهذه حال الخلفاء الصالحين، إذا منَّ الله عليهم بالنعم الجليلة، ازداد شكرهم وإقرارهم، واعترافهم بنعمة الله، وفيه أعظم الدلالة على كونه من الملوك الصالحين، والأولياء العادلين العالمين، حيث وافق مرضاة الله في معاملة كل أحد، بما يليق بحاله.وإذا ذهبنا نعدد غير هذه الأمثلة، سيطول بنا المقال، وربما نخرج عن مقتضى البحث، ولذا نكتفي بهذه الوقفات الخاطفة، التي نختتم بها هذا الفصل السابع، ومن ثم أنتقل إلى الفصل الثامن والأخير، راغباً إلى الله أن ييسره، متضرعاً إليه أن يمدني بفضله وفتحه، وعلى الله اعتمادي.

١- سورة الكهف. آية: ٨٣ : ٩٨.

الفصل الثامن

إدارة السياسة الداخلية والخارجية في القرآن الكريم

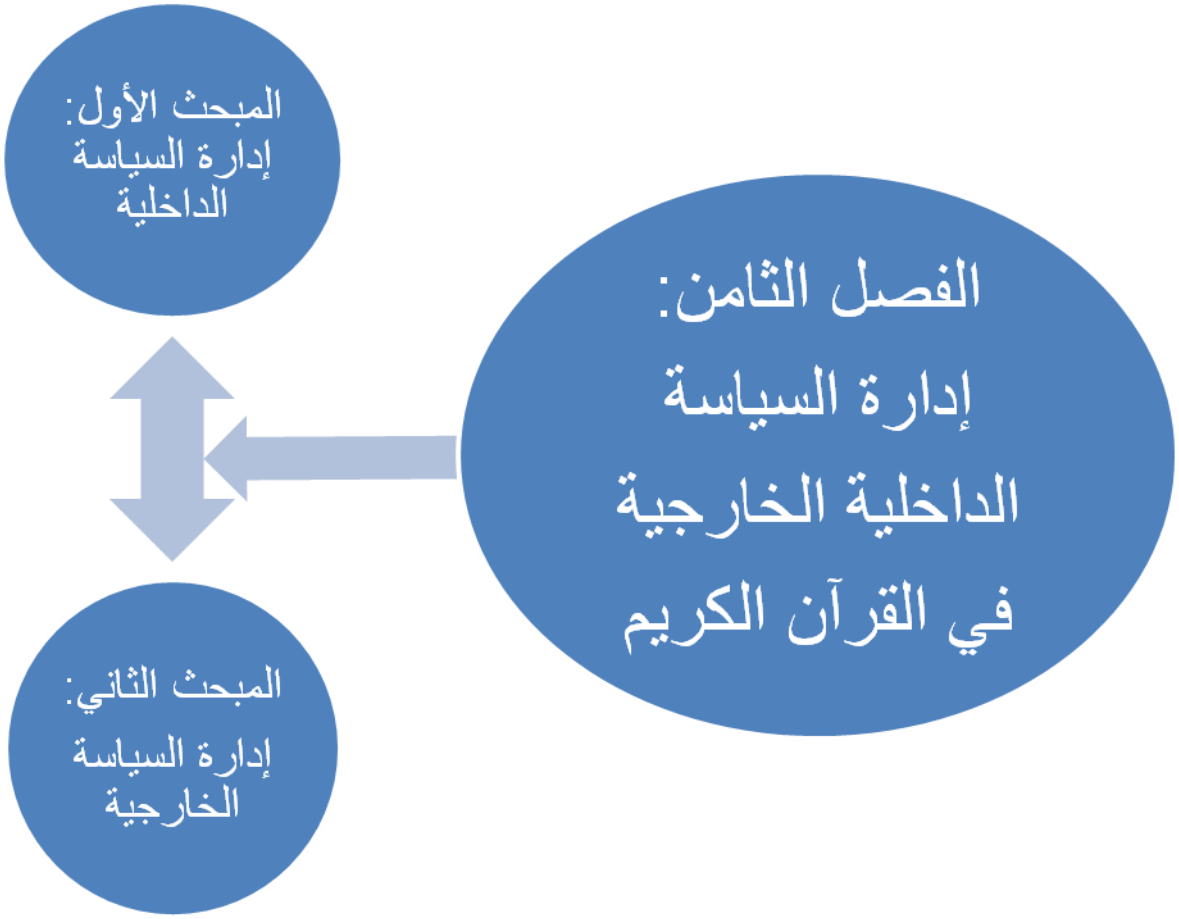
الفصل الثامن:
إدارة السياسة
الداخلية الخارجية
في القرآن الكريم
المبحث الأول:
إدارة السياسة
الداخلية
المبحث الثاني:
إدارة السياسة
الخارجية

إدارة السياسة الداخلية والخارجية في القرآن الكريم

نعيد التأكيد على أن كتاب الله العزيز هو كتاب هداية، ومنهج حياة متكاملة، وليس كتاباً متخصصا في السياسة، أو الاقتصاد، أو الاجتماع، ولكنه لما كان كلمة الله الباقية للبشرية حتى قيام الساعة؛ فقد اشتمل على القواعد العامة التي تنصلح عليها المجتمعات الإنسانية، وحوى التوجيهات التي تستقيم بها حياة الناس أجمعين.

" والإسلام بهذه السياسة تصلح أصوله أن تكون أسساً للنظم العادلة وتتسع لتحقيق مصالح الناس في كل زمان وفي أي مكان.... وهذه الأسس والقواعد قلما تختلف فيها أمة من أمة، أو زمان من زمان. أما التفصيلات التي تختلف فيها الأمم باختلاف أحوالها وأزمانها فقد سكت عنها لتكون كل أمة في سعة من أن تراعى فيها مصالحها الخاصة وما تقتضيه حالها [1]".

وفصْلُنا هذا وقفة نتلمس فيها تلك القواعد والإرشادات القرآنية التي يمكن لنا من خلالها القيام بإدارة شئون السياستين الداخلية والخارجية، وعلى الله اعتمادي.

١- خلاف. عبد الوهاب. السياسة الشرعية في الشئون الدستورية والخارجية والمالية

المبحث الأول

إدارة السياسة الداخلية في القرآن الكريم

بالعودة قليلاً لتعريف السياسة نعلم أن السياسة هي القيام بتدبير شئون الدولة ورعاية مصالحها.

كما أن هذا البحث قد أبان في فصوله السابقة عن مقاصد، ومبادئ، وخصائص الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم، مما يسهل معه استخراج كيفية إدارة السياسة الداخلية للدولة المسلمة من غير تطويل وإطناب.

مكونات السياسة الداخلية:

١- الدستور

٢- الحكومة والوزراء

٣- الخطوط العريضة للسياسة الداخلية

٤- القضاء

٥- التشريع

وسوف نقف مع كل مُكَوِّن، من هذه المكونات، في مطلب خاص به فيما يلي:

المطلب الأول : الدستور

القرآن الكريم هو المصدر الرئيس، والأول للدستور في الإسلام، وهذه الأحكام، والقواعد الكلية الواردة في القرآن الكريم، هي قواعد، وأحكام فوق دستورية، تلتزم السلطة التأسيسية التي تضع الدستور في كل دولة إسلامية باحترامها، فالدستور قابل للتعديل والتغيير وأحكام القرآن الكريم ليست كذلك.

ويعرف الدستور بأنه " **مجموعة الأحكام التي تبين شكل الدولة ونظام الحكم فيها ، وسلطاتها ، وطريقة توزيع هذه السلطات ، وبيان اختصاصاتها ، وبيان حقوق المواطنين وواجباتهم**"[1].

وقد قررت النصوص القرآنية مبادئ أساسية، يقوم عليها كل نظام دستوري عادل، وهي الشورى، والعدل، والمساواة، وتطرقت بعض الآيات القرآنية لأحكام دستورية معينة، مما يعتبر من المسائل المهمة التي يرجع إليها عند وضع دستور إسلامي.

ونذكر فيما يلي بعض هذه الآيات وما قررته في المجال الدستوري:

١- الشورى، مثل قوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ﴾[2].

٢- العدل، مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾[3].

٣- المساواة، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[4].

٤- ضرورة الحكم بما أنزل الله، مثل قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾[5].

١- السديري. توفيق بن عبد العزيز. الإسلام والدستور. ١ / ٢٥. ط ١. وكالة المطبوعات والبحث العلمي وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - السعودية. ١٤٢٥هـ.

٢- آل عمران. من الآية: ١٥٩.

٣- النساء. من الآية: ٥٨.

٤- الحجرات. من الآية: ١٠.

٥- المائدة. من الآية: ١٠.

٥- تأسيس نظام القضاء والتقاضي بين الناس، وأنهم سواء أمام ساحة القضاء، مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[١].

٦- أسس أحكام السلم والحرب، مثل قوله تعالى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٢]. وقوله: ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴾[٣].

٧- الولاء لدولة الإسلام، مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾[٤].

٨- السلم للمسالمين مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾[٥].

٩- حسن الجوار والعلاقة مع غير المسلمين، مثل قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[٦].

١٠- الالتزام بالمعاهدات والوفاء بها، مثل قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُواْ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[٧].

١١- حقوق الحاكم والمحكوم ، مثل قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

١- المائدة. الآية: ٨.

٢- الأنفال. الآية: ٦١.

٣- النحل. الآية: ١٢٦.

٤- الممتحنة. من الآية: ١.

٥- النساء. من الآية: ٩٠.

٦- الممتحنة. من الآية: ٨ و ٩.

٧- التوبة. الآية: ٤.

أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[1].

١٢- حفظ الكرامة الإنسانية، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[2].

١٣- تقرير حق الحياة، مثل قوله تعالى: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ ﴾[3].

١٤- رعاية حق الملكية، مثل قوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾[4].

١٥- صيانة الأموال العامة، مثل قوله تعالى: {﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[5].

ونكتفي بما تمت الإشارة إليه من الآيات، ومعانيها، للتأكيد على وصفنا من اشتمال القرآن على القواعد الكلية التي يمكن على هديها وضع دستور للأمة يكفل لها الخير، والرقي، والازدهار، والمرونة في مواجهة تغيرات الزمان والمكان، وتجدد النوازل. وبعد هذه الوقفة الخاطفة ننتقل للمطلب التالي، وهو:

المطلب الثاني في: تشكيل الحكومة واختيار الوزراء

والأصل في هذا الأمر " أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه وإمضاءها على اجتهاده ، وليس يمتنع جواز هذه الوزارة ، قال اللَّه تعالى حكاية عن نبيه موسى عليه الصلاة والسلام : ﴿ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ﴿٣١﴾ ﴾[6]. **فإذا جاز ذلك في النبوة كان في الإمامة أجوز** ، ولأن ما وكل إلى الإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه

١- النساء. الآية: ٥٨ و ٥٩.

٢- الإسراء. من الآية: ٧٠.

٣- البقرة. من الآية: ١٧٩.

٤- البقرة. من الآية: ٢٧٩.

٥- آل عمران. الآية: ١٦١.

٦- طه. الآية: ٢٩ : ٣١.

إلا باستنابة ، ونيابة الوزير المشارك له في التدبير أصح في تنفيذ الأمور من تفرده بها ليستظهر به على نفسه وبها يكون أبعد من الزلل وأمنع من الخلل "[1].

ويجد المتتبع لآي القرآن العزيز الإشارات الكثيرة، والتوجيهات الأكيدة، التي تحكم عملية اختيار العاملين في الدولة، وخاصة في ناحية بيان الصفات الواجب توافرها في هؤلاء العمال والقائمين على رعاية شئون البلاد في الوظائف التنفيذية، وقد توقفنا عند بعض هذه الصفات عند الكلام على الصفات الواجب توافرها في ولي الأمر حاكم المسلمين ولذلك لن نطيل في ذكرها بل نشير إشارات فقط ومن أهم هذه الصفات ما يلي:

١- العلم

وهو شرط ضروري، في كل من يتولى رعاية شئون الدولة، من أعلى درجة، وحتى صغار العمال، كي يتمكن كل منهم من القيام بواجباته، والاجتهاد في عمله، تحصيلاً لأقصى المنافع لأمته، وفي هذا المعنى يأتي قوله تعالى على لسان يوسف ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[2].

وبحفظ يوسف، وعلمه، وقدرته على التنظيم، والتخطيط، تمكنت مصر من تجاوز أزمة الغذاء في السنين العجاف، بل وكانت مصدر عون، وإغاثة لغيرها مما حولها من البلدان.

وقوله سبحانه في قصة طالوت يبين سبب اختياره له وتقديمه على غيره لقيادتهم وهو تمتعه بزيادة في العلم وقوة البدن ﴿ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ۖ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[3].

وعلى هذا كان اختيار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم للعاملين له على الولايات اختيارًا دقيقًا، فالملاحظ في عُمَّالِهِ أنه كانت تتوافر فيهم بعض الشروط؛ أهمها: أن يكون خبيرًا في العمل

١- الأحكام السلطانية. ص / ٣٩. مصدر سابق

٢- يوسف. الآية: ٥٥.

٣- البقرة. الآية: ٢٤٧.

المكلَّف به، كما أرسل معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن[١]، وأبا عبيدة بن الجراح إلى نجران [٢]، وجعل خالد بن الوليد غير مرة أميراً على الجيش وفيه السابقون الأولون لخبرته ودهائه في الحروب[٣]

٢- القوة والأمانة

وهما من أبرز الصفات التي يطلب توافرها في جميع العاملين من جميع المستويات الوظيفية ويمكن لنا استنباط ذلك المعنى في قول بنت الرجل الصالح في مدين تحث أباها على استئجار موسى عليه السلام، لتمتعه بهاتين الصفتين. قال الحق – تعالى – ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾[٤].

ولما رأى الملِكُ يوسفَ عليه السلام وسمع كلامه، وبانت له قوته وأمانته قال ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾[٥].

وبمثل هذا قال جليس سليمان، يعرض خدماته، ويبرز تمتعه بهاتين الصفتين الجليلتين، القوة، والأمانة: ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾[٦].

ومن أعظم دلالات صدق الرسل في رسالاتهم تمتعهم جميعاً بالأمانة التي لا يرقى إليها شك ونجدهم جميعا يقول كل واحد منهم لقومه: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾[٧].

١- البخاري. كتاب الزكاة. باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس. رقم الحديث / ١٤٥٨. عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٢- البخاري. كتاب فضائل الصحابة. باب مناقب أبي عبيدة. رقم الحديث / ٣٧٤٥. عن حذيفة رضي الله عنه.

٣- البخاري. كتاب المغازي. باب أين ركز النبي الراية يوم الفتح. رقم الحديث / ٤٢٨٠ . عن ابن عباس رضي الله عنهما.

٤- القصص.الآية: ٢٦.

٥- يوسف.الآية: ٥٤.

٦- النمل. من الآية: ٣٩.

٧- الشعراء. من الآية: ١٠٧.

وحتى الرب تعالى لم يرض لحامل وحيه جبريل إلا أن يكون قوياً أميناً فقال سبجانه ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾[1].

وعلى هذا النّحو كان اختيار النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم لعُمَّالِهِ، يتخيرهم بدقة متناهية، ويراقبهم، ويحاسبهم، لدرجة أن الواحد منهم كان يخاف من غضب النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم أو وَجْده عليه، فعَنْ سُوَيْدِ بْنِ غَفَلَةَ قَالَ: «سِرْتُ مَعَ مُصَدِّقِ النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم فَعَمَدَ رَجُلٌ مِنَ المتَصَدِقِينَ إِلَى نَاقَةٍ كَوْمَاءَ -عَظِيمَةُ السَّنَامِ- قَالَ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا قَالَ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَأْخُذَ خَيْرَ إِبِلِي قَالَ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا قَالَ فَخَطَمَ لَهُ أُخْرَى دُونَهَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا ثُمَّ خَطَمَ لَهُ أُخْرَى دُونَهَا فَقَبِلَهَا وَقَالَ إِنِّي آخِذُهَا وَأَخَافُ أَنْ يَجِدَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ لِي عَمَدْتَ إِلَى رَجُلٍ فَتَخَيَّرْتَ عَلَيْهِ إِبِلَهُ»[2]. وكان قد نهاهم النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم عن أن يأخذوا كرائم أموال الناس.

وعندما كان يحيد أحدهم عما كُلِّف به يجد التوجيه الحازم ، ففي يومٍ أرسل صلى الله عليه وسلم أحد صحابته عاملاً على الصَّدقة فجاء حين فرغ من عمله فقال: يا رسول الله هذا لكم وهذا أُهْدِيَ لي، فما كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن صعد المنبر عشيَّةً بعد الصَّلاة وقال: «أَمَّا بَعْدُ فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي فَهَلاَّ قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَيَنْظُرَ أَيُهْدَى لَهُ أَمْ لاَ....»[3]. وكان الخليفة عمر رضي الله عنه لا يتخذ العامل حتى يكون كُفؤًا، قويًّا، مهابًا، أمينًا، وكان شديد المراقبة لعماله وولاته، ومن أمانة ولاته أنه لما أرسل سعدٌ الخُمُسُ من غنيمة كسرى إليه في المدينة وكان فيها لباس كسرى فنظر عمر إليه ثم قال: إنَّ قومًا أدّوا هذا لأُمَنَاء.[4]

١- التكوير. من الآية: ١٩ : ٢١.

٢- رواه أبو داود. كتاب الزكاة. باب زكاة السائمة. رقم الحديث/ ١٥٧٩عن سويد بن غفلة. ط١. دار السلام – ٢٠٠٩م

٣- البخاري. كتاب الأيمان والنذور. باب كيف كانت يمين النبي. رقم الحديث / ٦٦٣٦. عن أبي حميد الساعدي.

٤- البداية والنهاية. ٧ / ٧٨

بهذه الثلاثية العظيمة، من الصفات المطلوبة، والمتوخاة فيمن يُكلَّفون بالمناصب، تكتسب الأمة إدارة داخلية لشئونها، تتمتع بالتخصص، والخبرة في مجالها الذي تعمل به، مع قوة وسلامة بالحواس، تمكنهم من تصريف شئون أوطانهم، وأداء ما كُلِّفوا به من الأعمال، مع الأمانة الداعية للوفاء بجميع حقوق الأمة، والأفراد، على الوجه لا نقول الذي يرضيهم فقط، بل على الوجه الذي يحبه الله، ويرضاه. وبالطبع يمكن الكلام عن عديدٍ من الصفات الأخرى، غير أن ما ذكرنا هنا فيه كفاية، ويغني عن غيره، ويجمع المحاسن كلها. وما سبق كان في كيفية اختيار الأشخاص، وخاصة الوزراء، كبار الموظفين بالدولة، والمطلب التالي في بيان ضوابط سياسة هؤلاء العاملين.

المطلب الثالث الخطوط العريضة الحاكمة للسياسة الداخلية

وهي الضوابط الحاكمة للسياسة الداخلية التي تحكم العاملين بها وهو ما سأعرضه في النقاط التالية:

١- **التقيد بأحكام الشريعة الربانية** التي أنزلها على خير البشرية محمد – صلى الله عليه وسلم – قال الله – تعالى – ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴾[1].

بيان واضح لا لبس ولا خفاء بالحكم بشريعة رب الأرباب وترك ما عداها من نظم وقوانين.

٢- **تحصيل مقاصد الشريعة الإلهية** من خلال توفير الأمن، والأخذ على يد الخارجين على القانون، وحفظ الأنفس، والأنساب، والأعراض، والأموال، ولا يتأتى هذا إلا بطريقين:

١- المائدة. من الآية: ٤٨ : ٤٩.

أ) **صيانة الأخلاق، ونشر مكارمها**، بالنصح والدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي هذا يقول سبحانه ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾[1].

وقال تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾[2].

فهذه الآيات منهاج، وطريق مستقيم، لكل المجتمعات إلى مكارم الأخلاق، وجميل الفعال، والاستقامة على الخير، والبعد عن الفواحش وكبائر الذنوب والمعاصي.

ومع هذه الوصايا، يأتي الفرض الجليل بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، تطهيراً للمجتمعات مما ينوبها من الفساد، أو يعتريها من الممارسات المنحرفة، يقول الله تعالى يصف المجتمع المسلم ﴿ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1]

١- الفرقان. الآية: ٦٣ : ٧٢.

٢- الإسراء. الآية: ٣١ : ٤٨.

١- التوبة. الآية: ٧١.

بـــل إن قولـــه تعـــالى ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1]. يفتح المجال واسعاً لإنشاء المؤسسات المتخصصة في صيانة أخلاق المجتمع، وحمايته من المفسدين، كما كان نظام الحسبة قديماً، وهو ما ينبغي أن تقوم به أجهزة الشرطة هذه الأيام. ومع هذا الجانب الرقابي والتوجيه يأتي عنصرنا التالي لتحصيل مقاصد الشريعة الإسلامية التي ذكرناها وهو:

ب) **إقامة الحدود** (الحرابة – القصاص – قطع يد السارق – جلد الزاني البكر – رجم الزاني المحصن – جلد قاذف المحصنات – شارب الخمر)[2].

وإنـزال العقوبـة بـالمجرمين دون محابـاة لأحـد، والتـزام تـام بضـوابط إقامـة الحـدود والعقوبـات التعزيرية، وهي كالتالي:

" شروط إقامة الحد:

- الأهلية ويقصد بها العقل، والبلوغ، والرضا لحديث (رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلاَثَةٍ عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ وَعَنِ الْمُبْتَلَى حَتَّى يَبْرَأَ وَعَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَكْبَرَ)[3].
- الإقامة في دار الإسلام، لكن لو ارتكب المسلم الجريمة الموجبة للحد خارج البلاد الإسلامية ثم عاد لبلاد المسلمين، فإن الحد يقام عليه، إن جاء معترفاً مقراً به.
- الصحة، إذا كان الحد غير القتل، لأن المريض غالبا لا يحتمل الجلد، فيؤجل الحد حتى يزول المرض ، أما إن كان المرض لا يرجى برؤه ، فإنه يحتال لإقامة الحد عليه ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم ، في المريض الذي زنا: (خذوا له عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه به ضربة واحدة)[1].

١- آل عمران. الآية: ١٠٤.

٢- سبق لنا تناول إقامة الحدود بالفصل الثاني، والفصل السابع من هذا البحث.

٣- أبو داود.كتاب الحدود. باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً. برقم / ٤٣٩٩ . عن عائشة رضي الله عنها .

١- ابن ماجه.كتاب الحدود. باب الكبير والمريض يجب عليه الحد. برقم / ٢٥٧٤ . عن سعيد بن سعد بن عبادة. وصححه الألباني. صحيح ابن ماجة برقم / ٢٠٨٧. ٢ / ٨٥. ط٣. مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض. ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.

- انتفاء الحمل، واستغناء المولود عن أمه التي سيقام عليها الحد، لما ثبت من قصة الغامدية.
- انتفاء الشبهة، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن كان له مخرج فخلوا سبيله، فإن الإمام إن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة) [1].
- العلم بالتحريم، لقول عمر رضي الله عنه: (لا حد إلا على من علمه) [2]."[3].

٣- الالتزام بضوابط المعاملات المالية

وما رسمه القرآن من القواعد والتوجيهات في المعاملات المالية يتضح فيما يلي:

✓ **محاربة الربا**، فكان تحريمه صريحاً، والوعيد عليه لا نظير له قال الله – تعالى – ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢٧٥ يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرۡبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ٢٧٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴾[1].

١- الترمذي. كتاب الحدود . باب ما جاء في درء الحدود. برقم / ١٤٢٨. ط١. دار ابن حزم. بيروت. ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م

٢- مصنف عبد الرزاق. ٧ / ٤٠٢. برقم ١٣٦٤٢. ط٢ . المكتب الإسلامي – بيروت. ١٤٠٣هـ. بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي.

٣- العتيبي. سعود بن عبد العالي البارودي. الموسوعة الجنائية الإسلامية المقارنة. ١/ ٣٤٥و ٣٤٦. ط٢ / ١٤٢٧هـ بدون دار نشر..

١- البقرة. الآية: ٢٧٥ : ٢٧٩.

بهذا الحسم والتحذير القوي، وبيان العاقبة الوخيمة للمعاملات الربوية جاء كلام ربنا – سبحانه – في كتابه العزيز، مصوراً تلك المعاملات المحرمات الربوية، بحرب يخوضها المرابون ضد رب الأرباب، وقد خاب وخسر من كان محارباً، وعدواً لله رب العالمين جل جلاله.

فما لبلادنا تناست أو تعامت عن كتاب ربها، وسبب عزها، وشرفها، وسر سعادتها؛ فسقطت فريسة لأعدائها، ينهبون ثراواتها، ويتلاعبون بمقدراتها، ولم تجن أمتنا وشعوبنا من وراء تعاملها بالربا إلا الفقر، وضياع الأموال، وحق علينا قول ربنا ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾.

✓ **منع الغش، والغرر، والخداع،** واعتبار ذلك كله أكلاً لأموال الناس بالباطل، قال سبحانه ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[1]. وقال – تعالى – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾[2]. فلفظ (الباطل) يشمل كل البيوع والمعاملات المحرمة، وقد جاء في السنة النهي عن ذلك، فعن جابر قال (لعن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم آكلَ الربا وموكلَه وكاتبَه وشاهديه وقال هم سواء)[3]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر)[4].

✓ **بناء المعاملات على التراضي،** قال – سبحانه – ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾[5]. ، والآية أصل في إباحة المعاملات ، وأنواع التجارات، ووجه الاستدلال : أن الأصل في العقود رضا المتعاقدين

ولقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: (إنما البيع عن تراض)[1].

١– البقرة. من الآية: ١٨٨.

٢– النساء. من الآية: ٢٩.

٣– مسلم. كتاب المساقاة. باب لعن آكل الربا وموكله. برقم / ١٥٩٨ .

٤– مسلم. كتاب البيوع. باب بطلان بيع الحصاة والبيع الذي فيه غرر. برقم / ١٥١٣ .

٥– النساء. من الآية: ٢٩.

١– رواه ابن ماجه، كتاب التجارات، باب بيع الخيار، برقم / ٢١٨٥. من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

✓ **حفظ حقوق الناس**، كما في كتابة الدين، والرهن مثلاً، وفيهما أنزل الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِۢبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِۢبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۖ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِۢبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٨٢﴾ وَإِن كُنتُمۡ عَلَىٰ سَفَرٖ وَلَمۡ تَجِدُواْ كَاتِبٗا فَرِهَٰنٞ مَّقۡبُوضَةٞۖ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥۗ وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَۚ وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴾[1]. فقد اشتملت هاتان الآيتان الكريمتان على طرق توثيق الدين، وكتابته، والإشهاد عليه، فإن لم يُوجَد كاتب، فالرهن توثيق أيضاً، وفي الآيتين أهمية الإشهاد على الديون، والتحذير من الإضرار بالشهود، والتحذير أيضاً من كتم الشهادة؛ لما في ذلك من ضياع أموال الناس وفقدان حقوقهم.

ومن هذه الضوابط الحاكمة للسياسة الداخلية ننتقل إلى مطلبنا التالي وهو:

المطلب الرابع عن القضاء

وهو من أعمدة السياسة الداخلية، فلا استقرار، ولا عيش مطمئن بدونه، وذلك أن الحياة الإنسانية مع اختلاطها، ومعاملاتها،لا تخلو من خلافات تحدث بين البشر، وتقع بينهم الخصومات حول شتى الموضوعات، في كل زمان ومكان، لا يخلو من هذا الحال عصر واحد، ويحتاج الناس لمن يحكم بينهم، ويفصل في المنازعات، ويكون قوله فصلاً حاسماً للنزاع، مطاعاً من الجميع، ولخطر هذا الأمر، وعلو شأنه كان من مهام الرسل أيضاً، إلى جانب دعوتهم

١- البقرة. الآية: ٢٨٢ : ٢٨٣.

أنهم يقضون بين الناس بالحق. قال الله – تعالى – ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾[1].

ولابد للقضاء من التجرد من الهوى والميل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا۟ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓا۟ أَوْ تُعْرِضُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[2].

وقال سبحانه لنبيه داود عليه السلام ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾[3].

ويلزم القضاء الحكم بالعدل والقسط لا يفرط فيهما قال سبحانه لنبيه محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾[4].

﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾[5].

وفي توجيه لأهل الإيمان يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[6].

ومع وضع أساس القضاء للفصل بين الناس بالعدل، والقسط، جاء في القرآن بعض الملامح القضائية كرفع الدعوى، والمدَّعي، والمدَّعى عليه، والأدلة والبينات، والحكم في بعض مسائل النزاع، والاستئناف أو النقض.

١- البقرة. الآية: ٢١٣.

٢- النساء. الآية: ١٣٥.

٣- ص. الآية: ٢٦.

٤- المائدة. الآية: ٤٢.

٥- النساء. الآية: ٥٨.

٦- المائدة. الآية: ٨.

وقد حكى القرآن العديد من صور القضاء في المنازعات، والفصل في الخصومات[1] كما في قوله تعالى ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾[2].

وهذه الآيات تتمثل فيها مشاهد قضائية – إن جاز التعبير– وهي:

- رفع الدعوى للقاضي.
- تمتع القاضي بحسن الخلق كالصبر والحلم.
- حضور الخصوم إلى مجلس القضاء.
- مرافعات الخصوم، يتكلمان، أو يتكلم أحدهما والآخر يقره.
- إصدار الحكم بعد سماع المرافعة.

وقوله سبحانه ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾[3].

وهنا صور أخرى من مشاهد قضائية وهي

- الأحكام القضائية قابلة للاجتهاد، لتفاوت أنظار القضاة.
- اشتراك أكثر من قاض في الحكم يسهل من الوصول إلى أصوب الأحكام.
- إرادة كل من القاضيين للعدل، وإيصال الحق لأهله، يقرب وجهات نظريهما.
- تنازل أحد القاضيين عن رأيه إذا رأى غيره أصوب.

١- مستفاد من: البشايرة. د أحمد سليمان. صور من قضايا القضاء في القرآن. المجلة الأردنية في للدراسات الإسلامية، المجلد السابع ١٤٣٣هـ/ ٢٠١١م

٢- ص. الآية: ٢١ : ٢٤.

٣- الأنبياء. الآية: ٧٨ : ٧٩.

- عدم الاستهانة برأي الأصغر مع وجود الأكبر.
- ضرورة أن يكون القاضي ممن هو أهل للنظر والاجتهاد.

وقوله جل جلاله ﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴾[1].

﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾[2].

﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾[3].

وهذه ثلاثة مشاهد يوسفية مليئة باللمحات والإجراءات القضائية والتي نلخصها في النقاط التالية:

- الإفادة من القرائن في القضاء.
- ضرورة استقلال القضاء وحياديته، فلا يكون الخصم هو القاضي.
- التوقيف الإداري، وطمس الحقيقة.
- من مساوئ القضاء ترك الشريف الجاني، ومعاقبة الضعيف البريء.
- أهمية إظهار براءة البريء ورد اعتباره.
- إعادة المحاكمة.

١- يوسف. الآية: ٢٥ : ٢٨.

٢- يوسف. الآية: ٣٣ : ٣٥.

٣- يوسف. الآية: ٥٠ : ٥٤.

- الإقرار وموقعة بين أدلة الإثبات.

وقوله عز وجل في قصة إبراهيم ﴿ قَالُوا مَن فَعَلَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا أَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِن كَانُوا يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ ﴾[1].

وفي قصة إبراهيم هذه أيضاً مشاهد قضائية، منها:

- معاينة مسرح الأحداث (الجريمة).
- استدعاء المتهم بقرينة من سوابقه المعروفة.
- عقد مجلس القضاء علنياً بحضور الناس.
- مواجهة المتهم بالتهم المنسوبة إليه.
- دفع الدعوى بطريق غير مباشر بإيراد الحجج المبطلة لدعوى الخصم.
- ليس دائماً (الحكم عنوان الحقيقة) خاصة حين تموت الضمائر وتفسد العقول، وهذا ما وقع للخليل إبراهيم حين قالوا ﴿ حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴾[2].

وقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِن بَعْدِ الصَّلَاةِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنِ ارْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَادَةَ اللَّهِ إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰ أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِن شَهَادَتِهِمَا وَمَا

١- الأنبياء. الآية: ٥٩ : ٦٩.

٢- الأنبياء. الآية: ٦٨.

ٱعۡثَرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا ٱلۡأَوۡلَيَٰنِ فَيُقۡسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعۡتَدَيۡنَآ إِنَّآ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ أَوۡ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيۡمَٰنُۢ بَعۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡمَعُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴾[1].

وفي الآيتين بيان لركن عظيم من أركان الإجراءات القضائية وهي شهادة الشهود تحت القسم، وتدافع الشهود، وجواز نقض هذه الشهادة ببينة، وتقديم شهادة أخرى أولى من الأولى.

ومن هذه المشاهد القضائية ننتقل إلى ركن من أركان السياسة الداخلية، وقسيم ضروري لابد منه للنظام القضائي، وهو موضوع مطلبنا التالي وهو:

المطلب الخامس التشريع

ويراد به سَنُّ القوانين اللازمة التي تسير عليها الدولة، وتنظم العلاقات في المجتمع بين الأفراد بعضهم البعض، وبين المؤسسات المختلفة، ويلتزم بها الجميع، ممن يعيشون تحت سلطانها.

ويلاحظ أن مساحة الأحكام الثابتة التي لا تتغير في شريعتنا الإسلامية مساحة ضئيلة جداً إذا ما قورنت بالأحكام المتغيرة بتغير الزمان والمكان، والأحوال والنوازل المستجدة.

وهذه المساحة الكبيرة المرنة والمتغيرة في التشريعات هي مجال عمل أفكار المشرعين المسلمين الذين ينوبون عن الأمة في هذا المجال العظيم، ينظرون في مصالح أمتهم، وما تحتاجه من تشريعات في السياسة، والاقتصاد، والاجتماع، والتعليم، فيسنونها، ويضعونها جلباً للمنافع، ودفعاً للمضار عن أمتهم.

والمشرعون المسلمون، ليسوا كغيرهم، الذين يضعون القوانين من عند أنفسهم ابتداءً، ولكنهم يلتزمون دوماً، موافقة الشريعة الإلهية في مصدريها الكتاب والسنة، فإن لم يجدوا المسألة النازلة عندهم اجتهدوا في سن التشريع اللازم لها، شريطة ألا تخالف المصادر الرئيسة للتشريع.

١- المائدة. الآية: ١٠٦ : ١٠٨.

والناظر في القرآن الكريم يجد ثروة تشريعية عظيمة تمثل القاعدة الأعظم للقوانين على مر البشرية، ولم تتوقف هذه الثروة عند مجال معين، بل تنوعت وشملت جميع نواحي الحياة، والتي نستعرض جانباً منها فيما يلي:

تشريعات الأحوال الشخصية في القرآن الكريم:

ولعل من نافلة القول، الإشارة إلى غزارة هذا الجانب التشريعي في القرآن، وزيادة تفاصيله، مقارنة بالجوانب الأخرى، وفي هذا بيان للأهمية العظمى التي أولاها الشرع الحنيف للأسرة المسلمة، لكونها هي أساس المجتمع، وسر استقراره، ولا يقوم المجتمع بدونها، ولذلك تولى اللطيف الخبير رسم هذه التشريعات، ولم يدعها لفكر بشري يخطئ ويصيب، لتبقى هذه الأحكام أبد الدهر، مُصْلِحَةً لكل زمان ومكان، دالة على الصورة المرضية للأسرة والمجتمع عند رب البرية سبحانه.

وتتمثل هذه الأحكام في تشريعات الزواج، والعشرة بين الزوجين، والرضاعة، وتربية الأبناء، والمواريث، والوصية، والطلاق، والعدة للمطلقة، والمتوفي عنها زوجها، والخلع، والإيلاء.

وفيما يلي بعض هذه المواطن في القرآن نشير إليها إشارة: قال تبارك وتعالى يبين المحرمات في النكاح ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾[1]. وفي الآيتين:

١. تحريم الزواج بهذه الأربعة عشر من النساء.

١- النساء. الآية: ٢٣ : ٢٤.

٢. إيجاب المهر على الزوج لزوجته.

وقال الله تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾[1]. واشتملت الآيتان على

١. تحديد عدد الزوجات بأربع.
٢. وجوب المهر على الزوج للزوجة.

وقال سبحانه ﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يَتَرَاجَعَا إِن ظَنَّا أَن يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[2].

وفي الآيات عدة تشريعات، وهي:

١. حكم الإيلاء (وهو أن يحلف الرجل ألا يطأ زوجته).
٢. عدة المطلقة.
٣. تحريم كتمان المطلقة لحملها.
٤. للرجل – في الطلاق الرجعي – حق إرجاع مطلقته ما دامت بالعدة.
٥. جواز الخلع (وهو افتداء المرأة نفسها بعطية أو تنازل عن حق لها مقابل الطلاق).
٦. تقييد عدد الطلقات بثلاث لا تحل له بعدها المطلقة حتى تنكح زوجاً غيره.

١- النساء. الآية: ٣ : ٤.

٢- البقرة. الآية: ٢٢٦ : ٢٣٠.

وقال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرٗا ۝١ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٖ وَأَشْهِدُواْ ذَوَيْ عَدْلٖ مِّنكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجٗا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٖ قَدْرٗا ۝٣ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرٗا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ۝٥ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٖ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۖ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٖۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ۝٦ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٖ يُسْرٗا ﴾[1].

واشتملت الآيات على بعض أحكام الطلاق وما يترتب عليه، ومنها:

١. وجوب العدة ولزوم ضبط بدايتها ونهايتها.
٢. حق المطلقة الرجعية في السكنى.
٣. طلب الشهود على الطلاق.
٤. اشتراط العدالة بالشهود.
٥. عدة العجوز اليائسة من المحيض.
٦. عدة الصغيرة التي لم تحض.
٧. عدة الحامل.
٨. نفقة المطلقة الحامل وسكناها
٩. نفقة المرضعة.

١- الطلاق. الآية: ١ : ٧.

وقال عز وجل ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾[1].

هاتان آيتان عظيمتان هما أصل أحكام المواريث، وفيهما:

١- ميراث الذكور والإناث إذا اجتمعوا.
٢- ميراث النساء المنفردات بالتركة.
٣- ميراث الأب والأم إذا انفردا بالتركة أو كان للميت أبناء، أو إخوة.
٤- ميراث الزوج من زوجته.
٥- ميراث الزوجة من زوجها.
٦- ميراث الكلالة، والإخوة لأم.
٧- تقديم الوصية والدين قبل قسمة التركة

ومن تشريعات الأحوال الشخصية ونماذجها في القرآن الكريم ننتقل لنقطتنا التالية وهي:

التشريعات المالية:

والخاصة بتنظيم اقتصاد الأمة، وضبطه لمصلحة مجموع الأمة، وليس فئة محتكرة، وتتمثل هذه التشريعات في حل البيع، والشراء، وبيان لبعض أنواع البيوع، وتحريم الربا، والمطاعم المحرمة،

١- النساء. الآية: ١١ : ١٢.

وتشريع الزكاة، والفيء، وغيرها من الأحكام، التي تعرضنا لبعضها خلال هذا البحث، ونتكلم على بعضها اختصاراً هنا فيما يلي:

١- تشريع الحلال والطيبات، والتحذير من الحرام والخبائث.

رجال الاقتصاد الغربيون ومن وافقهم من العرب المسلمين لا عبرة لديهم بحلٍّ أو حرمةِ النشاط الاقتصادي، بل بما يأتي به من ربح، فلا حرج لديهم من أنشطة الدعارة، ومصانع السجائر، وتجارة الخمور، وغيرها، فليس هناك ما يفصل بين الخير والشر عندهم، سوى وجود المنفعة، أو انعدامها. وهذا بلا ريب؛ خلاف ما عليه دين المسلمين، قال الله تعالى ﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ۚ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١].

وقد حدد الله تعالى من ضمن مهمات الرسول، وضرورات رسالته، عليه الصلاة والسلام، أنه يحل الطيبات، ويحرم الخبائث، قال سبحانه ﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾[٢].

وجاء في القرآن أصناف من المحرمات، والخبائث، ومن هذا قوله تبارك وتعالى﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ﴾[٣].

ومنه قوله سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[١].

وفي الوقت نفسه يأمر سبحانه بالأكل من الطيبات، والإنفاق من أطيب المكاسب، يستوي في ذلك المرسلون والمؤمنون قال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[١].

١- المائدة. آية: ١٠٠

٢- الأعراف. آية: ١٥٧

٣- المائدة. آية: ٣

١- المائدة. آية: ٩٠

وقال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾[٢].

ومع الأمر بالطيبات أكلاً، وإنفاقاً، يأبى القرآن على أصحاب الأهواء، والمفتئتين أن يحرموا الحلال، وينكر عليهم، فيقول تعالى ويقول سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[٣].

٢- تشريع بعض طرق التوزيع العادل للثروات.

وذلك حتى لا يظل المال دائراً في وَسَطٍ واحد فقط بين التجار أو الأغنياء، بل ينتشر فتكثر الثمرة، وتعم الفوائد، وتنعدم -أو تكاد- الأحقاد والحسد، من أجل ذلك أبان الله تعالى في القرآن عن بعض الوسائل، لتوزيع الثروات في المجتمع المسلم. ومن هذه الطرق:

أ- الزكاة ومصارفها الثمانية

يقول تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[٤].

فتؤخذ الزكاة من أغنياء المسلمين، وترد على فقرائهم. وكما ورد في زكاة الزروع والثمار قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[١].

١- المؤمنون. آية: ٥١

٢- سورة البقرة. آية: ٢٦٧

٣- سورة المائدة. آية: ٨٧

٤- سورة التوبة. آية: ٦٠

١- سورة الأنعام. آية: ١٤١

ب- **ومنها الوصية**، يقول سبحانه ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾[1].

ت- **ومنها المواريث**، كما سبق معنا، فأعطى سبحانه كل ذي حق حقه، وتوعد من خالف ذلك بالعذاب المهين فقال سبحانه ﴿ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾[2].

ث- **ومنها تقسيم الفيء**، وفيه قوله جل شأنه ﴿ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَي لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[3] فتولى سبحانه توزيع الفيء على هذه الأصناف المذكورة، وذكر العلة من هذا التوزيع، كي لا يبقى المال دائراً فقط بين الأغنياء، فيزداد الفقير فقراً، بينما يزداد الغني غِنَىً، ويقع من هنا الخلل في موازين المجتمع، وعلاقة طبقاته بعضهم ببعض.

٣- تشريع الوفاء والعدالة في المعاملات، مع تحريم بخس حقوق الناس.

وهذا كله مما يساعد على تكوين مناخ اقتصادي مستقر، تسوده الأمانة، والإنصاف، والاطمئنان، فيزدهر به الاقتصاد، وتنمو به الأسواق، ويعم النفع على الجميع.

يقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾[4].

ويبدو هذا الأمر واضحاً جلياً في سياق **قصة شعيب** عليه السلام مع قومه. قال الله تعالى ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ

١- سورة البقرة. آية: ١٨٠

٢- سورة النساء. آية: ١٤

٣- سورة الحشر. آية: ٧

٤- المائدة. آية: ١.

وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[1]. فهاهنا شعيب عليه السلام حين أمر قومه بعبادة الله وحده، أَتْبَعَ ذلك بالنهي "عن نقص المكيال والميزان وهو التطفيف إذا أعطوا الناس، ثم أمرهم بوفاء الكيل، والوزن بالقسط آخذين ومعطين"[2].

وقال تعالى ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾[3].

٤- تشريع وإباحة كثير من المعاملات المالية والبيوع المختلفة .

وتشريعها وإباحتها مما يساعد على قضاء حوائج الناس، وتلبية متطلباتهم، وقد جاء بالقرآن الإشارة لإباحة أنواع منها:

- **التداين، وجواز الاقتراض** من أعظم الرخص والتيسيرات في باب المعاملات المادية، ونزلت في وصفه وأحكامه أطول آية في القرآن قال سبحانه ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[1].

فهذه أطول آية في القرآن، وقد جاءت كلها في شأن من شئون الاقتصاد، حول الديون وتوثيقها والإشهاد عليها، وجاءت بمثل هذا الأداء اللغوي المتنوع المبدع، لا تشعر لها بطول

١- سورة هود . آية: ٨٤- ٨٥

٢- تفسير ابن كثير ٢ / ٥٨٩- ٥٩٠

٣- المطففين. آية: ١ : ٣

١- سورة البقرة. آية: ٢٨٢

أو جمود، بل نص كريم، ينضح بالحيوية، والسلاسة، واليسر، والوضوح والتمام في المعنى، والكمال في الحكم.

- **الرهن**، وهو إحدى هذه التشريعات بغرض التيسير على المكلفين، وحفظ حقوقهم قال الله تعالى ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[1].
- **والإجارة**، وهي إحدى المعاملات الضرورية للخلق منذ بداية الخلق، جاءت الإشارة إليها في قصة كليم الله موسى مع الرجل الصالح من مدين، وفيها يقول الله تعالى ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾[2].

وفي الآية "دليل على أن الإجارة بينهم وعندهم مشروعة معلومة ، وكذلك كانت في كل ملة ، وهي من ضرورة الخليقة ، ومصلحة الخلطة بين الناس"[3].

كما ورد في قصة موسى والخضر ذكر أخذ الأجرة في مقابل العمل فقال الله تعالى﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾[1].

- **والجعالة** وهي: " نوع من الإجارة ، لكن الفرق بين الجعالة والإجارة أن الإجارة يتقدر فيها العوض والمعوض من الجهتين ، والجعالة يتقدر فيها الجعل، والعمل غير مقدر"[2].

١- سورة البقرة. آية: ٢٨٣

٢- القصص. آية: ٢٦ : ٢٨.

٣- ابن العربي. القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر. أحكام القرآن. ٣ / ٣٩٨. ط١. المكتبة العصرية . بيروت ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م

١- الكهف. آية: ٧٧ .

٢- أحكام القرآن. ٣ / ٦٥

قال الله سبحانه في قصة يوسف حين تحايل ليأخذ أخاه ﴿ قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴾[1].

فتضمنت هذه الآية الكريمة النص على **جواز الجعالة** { ولمن جاء به حمل بعير } كما تضمنت جواز **الضمان والكفالة** في قوله { وأنا به زعيم } يعني ضامن وكفيل به

٥- البيوع المحرمة

- ورد النهي في الشرع عن البيع في وقت صلاة الجمعة، فإذا انتهت الصلاة عادت الإباحة لأصلها قال عز وجل ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[2].
- وجاء النهي عن أكل الربا والغش والخداع والغرر كما سبق معنا في المطلب الثالث. قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾[3].

وقال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[4].

- وورد النهي أيضاً عن بيع المحرمات من المآكل والمشارب قال الله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

وقال تعالى ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[2].

١- يوسف. آية: ٧٢ .

٢- الجمعة. آية: ٩ و ١٠ .

٣- آل عمران. آية: ١٣٠ .

٤- النساء. آية: ٢٩ .

١- المائدة. آية: ٣ .

٢- الأنعام. آية: ١٤٥ .

وقال سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾[1]. وملخص ما تضمنته الآيات " أن المحرمات في الشرع نوعان: المحرمات من الأعيان: كالميتة، والدم، ولحم الخنزير، والخبائث، والنجاسات ونحوها.

المحرمات من التصرفات: كالربا، والميسر، والقمار، والاحتكار، والغش، وبيوع الغرر ونحو ذلك ... من المعاملات الخطرة المدمرة المحرمة، التي أفقرت بيوتاً تجارية كبرى، وسببت ثراء قوم بلا جهد، وفقر آخرين بالباطل، فكان الانتحار، والعداوة، والبغضاء، وهذا كله من عمل الشيطان "[2].

وإلى هذا الحد من التشريعات المالية نتوقف وننتقل إلى العنصر الأخير معنا من عناصر التشريع في القرآن، وهو:

التشريع السياسي:

وهذا النوع هو محور حديثنا، في هذا البحث، وقد تناولناه عبر الفصول الماضية، مثل الكلام على مقاصد، ومبادئ، وخصائص الحكم، والبيعة، واختيار الحاكم، ومنهج الحكم، والقبول بالتعددية، وحرية الرأي المسئولة، وغير ذلك من تشريعات القرآن مما مر معنا فلا نعيده هنا. وننتقل للمبحث التالي في الكلام عن السياسة الخارجية في القرآن الكريم

١- المائدة. آية: ٩٠ : ٩١ .

٢- التويجري. محمد بن إبراهيم بن عبد الله. مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة. ص / ٧١٣ و ٧١٧. ط ١١. دار أصداء المجتمع. المملكة العربية السعودية. ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م. بتصرف.

المبحث الثاني

إدارة السياسة الخارجية في القرآن الكريم

ونقطة انطلاقنا لاستجلاء هذه المسألة الخطيرة، تبدأ بنظرة إلى طبيعة هذا الدين العظيم، وهذه الرسالة السمحة، التي حملها النبي الكريم محمد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إلى البشرية كلها؛ فقد جاءت الرسالة المحمدية بالأسس المتينة لبناء علاقات بشرية سوية، وقوية. ويمكن لنا أن نقسم الكلام في مبحثنا هذا على عدة مطالب نوردها فيما يلي:

المطلب الأول عالمية الرسالة المحمدية:

- كانت الرسل تُبعث إلى أقوامهم خاصة، وبُعث النبي محمد – صلى الله عليه وسلم – إلى الناس عامَّة، خِتاماً لمسيرة الأنبياء على مر العصور، يقول تعالى ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[1].

قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ، وَأُحِلَّتْ لِي الْغَنَائِمُ ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً)[2].

أرسله للناس بشيراً ونذيرا يقول سبحانه ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[3].

١- الأحزاب. آية: ٤٠ .

٢- البخاري. كتاب التيمم. باب ١ بدون عنوان. رقم الحديث / ٣٣٥. عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

٣- سبأ. آية: ٢٨ .

- وحمل الوحي المنزل عليه البشارة إلى الدنيا كلها، بأن الله رضي لهم الإسلام ديناً واحداً، تاماً، وكاملاً، فقال سبحانه ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].
- أرسله ربه بالرفق والتيسير والرحمات للبشرية كلها ، فقال جل ثناؤه ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[2]. وقال ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[3].

وقد دلت هذه الآيات من الذكر الحكيم، على أنه خاتم النبيين، وأنه مبعوث إلى الناس أجمعين، رسالته عامة، وشريعته ناسخة لسائر الشرائع ، طاعته واتباعه لازمان، واجبان على الجميع قال تعالى ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[4].

ويقول صلى الله عليه وسلم (مثلي ومثل الأنبياء ، كرجل بنى دارا ، فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة فيها ، فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون : لولا موضع هذه اللبنة ، فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين)[5].

" وقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم إلى كل أفق، وتغلغل في كل نفق، ولم يُبْقِ الله أهل مدر، ولا وبر، ولا سهل، ولا جبل، ولا بحر، ولا بر في مشارق الأرض، ومغاربها إلا وقد ألقاه إليهم، وملأ به مسامعهم، وألزمهم به الحجة، وهو سائله عنهم يوم القيامة "[6].

١- المائدة. آية: ٣ .

٢- الأنبياء. آية: ١٠٧ .

٣- الأعراف. آية: ١٥٧ .

٤- آل عمران. آية: ٨٥ .

٥- البخاري. كتاب المناقب. باب خاتم النبيين. رقم الحديث / ٣٥٣٥. عن أبي هريرة رضي الله عنه

٦- الشربيني. شمس الدين محمد بن أحمد . تفسير السراج المنير. ١ / ٤١٦. دار الكتب العلمية. بيروت- لبنان

المطلب الثاني أسس العلاقات الدولية من القرآن الكريم [1]:

يمكن لنا بناء العلاقات الدولية على أسمى الفضائل الإنسانية التي ذكرها القرآن، وأمر بها وحث عليهاومنها عدة عناصر فيما يلي:

- **المساواة بين الناس في الأصل:**

ترجع الإنسانية كلها لأصل واحد، فلا تفاضل بين البشر بسبب اللون، أو الجنس، أو اللغة، فالكل ينتمون إلى آدم، وآدم من تراب، وفي ذلك يقول الحق -تبارك وتعالى- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ [2].

فقد دلت الآية الكريمة على أن الخالق واحد، والنفس الإنسانية واحدة، كما وجهت أيضًا الخطاب للناس جميعًا؛ لأنه في شأن عالمي إنساني، وليس خاصًّا بمجتمع إقليمي أو زمني.

ويقول النبي – صلى الله عليه وسلم- مقررًا هذا الأصل: (إن الله -عز وجل- قد أذهب عنكم حمية الجاهلية، والفخر بالآباء، مؤمن تقي، وفاجر شقي، الناس بنو آدم، وآدم خلق من تراب) [3].

- **العدالة للجميع**

والعدالة هي الأساس الذي تعتمد عليه الأمم في تقدمها وبقائها، ومن ثَمَّ جاء التوجيه في القرآن الكريم إليها؛ إعلاءً لشأنه، وتمسكاً بها، يقول سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [4].

١- مستفاد من: أبي زهرة. محمد أحمد مصطفى. العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٩٥. من ص ٢٠ : ٥٠. بتصرف كبير وصياغة جديدة

٢- النساء. آية: ١ .

٣- أبو داود. كتاب الأدب. باب في التفاخر بالأحساب. رقم الحديث / ٥١١٦. عن أبي هريرة رضي الله عنه

٤- المائدة. آية: ٨ .

فهذه الآية نداء إلهي جليل، لأهل الإيمان أن يكونوا دوماً ، مخلصين لله وحده، قاصدين للقسط، وهو العدل، على القريب والبعيد، والصديق والعدو، وكلما حرصتم على العدل واجتهدتم في العمل به، كان ذلك أقرب لتقوى قلوبكم، فإن تم العدل كملت التقوى.

وهنا يرسي الإسلام قاعدة عظيمة أن مبدأ العدالة ليس خاصاً بعرق دون عرق، أو دين دون دين، ولكنه مبدأ إنساني، يجب أن يتعامل به الناس جميعاً، بلا تفريق بينهم؛ ولذلك لما أمر بالعدل في موضع آخر قال تعالى﴿ وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾[1]. ولم يقل سبحانه بين المسلمين، أو المؤمنين، ولا بين العرب، بل بين الناس، مسلمهم وكافرهم، عربيهم وعجميهم، أبيضهم وأسودهم وأحمرهم، من دون تمييز.

إنه عدل مطلق، لا يُقَيَّد بنسب، ولا حسب، ولا وجاهة، ولا قوة، ولا ضعف، ولا غنى ولا فقر وبهذا جاء القرآن ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾[2].

▪ التراحم

من أصول الفضائل الإنسانية، ومن أعظم وسائل توثيق عرى الاتصال البشري، التراحم بين بني الإنسان، ولذلك كان شعار دين محمد صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[3]. وأكده صلى الله عليه وسلم بقوله (الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)[4]. وحين فقد الإنسانية هذه الفضيلة تحولوا إلى وحوش ضوار، يقتل بعضها بعضاً، وتسلط الأقوياء على الضعفاء، واستغل الأغنياء الفقراء، وأصبح العالم غابة، يرتع فيها أهل الظلم، والعدوان، بلا رقيب، ولاحسيب، ولا ضمير.

١- النساء. آية: ٥٨ .

٢- النساء. آية: ١٣٥ .

٣- الأنبياء. آية: ١٠٧ .

٤- أبو داود. كتاب الأدب. باب في الرحمة. رقم الحديث / ٤٩٤١. عن عبد الله بن عمرو. رضي الله عنهما

▪ التسامح الديني

ويظهر هذا جلياً في أن الإسلام لم يجبر أحداً على الدخول فيه، أو بمعنى آخر لم يُكره أحداً على ترك دينه وما يعتقده، ولم يعرف التاريخ تسامحاً كتسامح المسلمين مع مخالفيهم، وأساس ذلك في كتاب ربهم العزيز حيث يقول سبحانه ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾[1].

ويقول تعالى لنبيه ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴾[2]. ورغم ما تمتع به النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم من قبول وتأثير في الناس، فلم يكن له سلطة إجبار أحد أو إكراهه على الإسلام، بل مهمته تقف عند حد الدعوة والتبليغ. قال سبحانه ﴿ فَإِنۡ حَآجُّوكَ فَقُلۡ أَسۡلَمۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسۡلَمۡتُمۡۚ فَإِنۡ أَسۡلَمُواْ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾[3].

ومن التسامح أيضاً، هذه الدعوة الكريمة لأهل الكتاب، حيث يقول الحق عز وجل ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾[4].

وعلى هذا التسامح سار المسلمون في علاقاتهم مع غير المسلمين، والأمثلة في تاريخنا كثيرة وكثيرة منها على سبيل المثال:

معاهدة النبي مع اليهود بالمدينة ترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين والمال.(٥)

" وصالح عمر رضي الله عنه أهل إيلياء من الأمان أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا

١- البقرة. من آية: ٢٥٦ .

٢- يونس. آية: ٩٩ .

٣- آل عمران. آية: ٢٠ .

٤- آل عمران. آية: ٦٤ .

٥- هارون. عبد السلام. تهذيب سيرة ابن هشام. ص / ١٣٤ : ١٣٨. ط٤. دار البحوث العلمية. الكويت. ١٣٩٦ هـ / ١٩٧٦م

ينتقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ....." [1]. وهكذا على مر التاريخ حافظت دولة الإسلام على هذا التسامح الديني، وضربت أروع الأمثلة في حسن الجوار، والإحسان للمخالفين.

- **الوفاء بالعهود والالتزام بالمواثيق**

وهي صفة عظيمة، وأساس قوي مكين، لإقامة علاقات دولية متميزة، تعزز مناخ الثقة بين الشعوب، وتفتح مجالات التعاون على مصراعيها.

وقد تلظت الإنسانية من أخلاق أقوام، وشعوب، خانوا عهودهم، ونقضوا مواثيقهم، وغدروا بمن عاهدوهم، وحوادث التاريخ تشهد بذلك، وحذر القرآن العظيم من حال هؤلاء الفاسقين الخاسرين، فقال سبحانه ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[2]. وبين الله تعالى مآل هؤلاء فقال ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾[3].

وشدد القرآن في وصف هؤلاء الغادرين الناقضين للعهود والمواثيق حتى جعلهم شر الخلق طُرَّاً. فقال سبحانه ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾[4].

وبضد هذا الغدر ونقض العهود يرشد القرآن ويأمر بالوفاء، ويحث على إتمام ما أُبرم من اتفاقات، والالتزام بالمواثيق، وعدم نقضها بأية حال ما دام الطرف الآخر مقيماً على عهده، موفيا به. قال ذو الجلال والإكرام ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[5].

١- الطبري. محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك. ٢ / ٤٤٩. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ١٤٠٧ هـ

٢- البقرة. آية: ٢٦-٢٧ .

٣- الرعد. آية: ٢٥.

٤- الأنفال. آية: ٥٥ - ٥٦.

٥- التوبة. آية: ٤.

وقال تعالى ﴿ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[1].

فرأس صفات أولي الألباب الوفاء بالعهد، والالتزام بالمواثيق، وقد قدمت على غيرها من خشية الله، والصبر والصلاة والإنفاق لما يترتب عليها من إشاعة الاطمئنان في النفوس، وتوثيق العلاقات بين الناس.

وقال سبحانه ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[2].

وقال تعالى ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[3].

فالتزام الناس بهذا الأساس المتين في العلاقات الدولية، لا يجلب لهم فقط أكبر المنافع المادية، من الأرباح والمكاسب، بل والمعنوية أيضاً من الثقة، والأمن، والطمأنينة.

▪ التعاون لا التطاحن واحترام الاختلاف

الاختلاف من سنن الله تعالى في خلق الإنسان، وآياته العظيمة الدالة على قدرته سبحانه قال عز وجل ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾[4]. وهذا الاختلاف لا يمنع الإنسان من التعايش والتواصل مع الآخرين، بل يجعله قوياً، يتكيف مع بيئته، ويتجاوب مع مجتمعه، وفي هذا يقول الحق تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[5].

١- الرعد. آية: ١٩ : ٢٢.

٢- النحل. آية: ٩١.

٣- الإسراء. آية: ٣٤.

٤- الروم. آية: ٢٢ .

٥- الحجرات. آية: ١٣ .

هذه الآية المفصلية العظيمة، ترسم الغاية من اختلاف الناس لوناً، ولساناً، وثقافة، وتبين أن اختلاف الناس شعوبًا وقبائل لم يكن ليتقاتلوا، أو يختلفوا، ولكن ليتعارفوا، ويتعاونوا، ويأتلفوا، فينتفع كل فريق بما عند الآخر من الخير، بالتعاون والتعارف الإنساني.

- **شمولية الخطاب التشريعي في القرآن للناس أجمعين**

لما كانت دعوة الإسلام دعوة عالمية، فإن أوامر القرآن، ونواهيه، جاءت موجهةً إلى الناس كافة، فلا تختص بها أمة دون أمة، أو جنس دون جنس، بل يطالب بهذه الأوامر جميع الأجناس والطوائف، دون نظر إلى ما بينهم من فوارق شخصية.

وفي هذا المعنى يقول الله -تبارك وتعالى- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[1].

ويقول سبحانه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴾[2].

ويقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾[3]

ويقول تبارك وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلۡحَقِّ مِن رَّبِّكُمۡ فَـَٔامِنُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴾[4].

ويقول سبحانه ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾[1]

١- سورة البقرة آية: ٢١

٢- سورة الحج آية: ١

٣- سورة البقرة آية: ١٦٨

٤- سورة النساء آية: ١٧٠

١- سورة يونس آية: ١٠٨

هذا النداء الإلهي العام للخلق بقوله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ تكرر تسع عشرة مرة في القرآن، واشتمل على العديد من القضايا، التي تدل على شمولية وعالمية الرسالة في القرآن الكريم.

فالله – سبحانه وتعالى– أمر الناس جميعًا بالتوحيد، وإفراده بالعبادة، وأمرهم بالتقوى، والإذعان لدينه، واتباع رسوله، وطاعته، والاهتداء بالقرآن، والانقياد للحق، والأكل من الطيبات، وتجنب مسالك الزيغ والضلال الشيطانية.

ولن تُبلَّغ هذه الرسالة ولن يصل القرآن بنوره للناس من دون اتصال واختلاط وعلاقات بين المسلمين وغيرهم، ولهذا نجد في السيرة ما سمي بعام الوفود، وإرسال النبي صلى الله عليه وسلم الرسل إلى الفرس والروم وأطراف الجزيرة العربية، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستقبل وفود القبائل العربية، ووفود أهل الكتاب من نجران، وخيبر.

هذه بعض الأسس التي أقام عليها الإسلام وكتابه القرآن الكريم العلاقات بين الناس المختلفين، والشعوب المتفرقين، وهي أسس جليلة تكفل تواصلاً نافعاً، وعلاقات مفيدة لجميع البشرية، يسودها الأمن والأمان، وهما غاية أماني بني الإنسان.

وهذا أوان الانتقال للمطلب التالي وهو:

المطلب الثالث العلاقات الدولية بين الدول المسلمة

ما كان لنا أن نكتب هذا العنوان، لولا تفريط المسلمين في الرابطة التي تجمعهم، والاتحاد الذي يضمهم، تحت راية واحدة للمسلمين، تحقيقاً لقول الرب تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾[1].

وقوله سبحانه ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾[2].

١- سورة الأنبياء آية: ٩٢.

٢- سورة المؤمنون آية: ٥٢.

وقد فُرِض على المسلمين أمر واقع بسبب ضعفهم، وتشرذمهم، وغلبة الأهواء على كثير من طوائف الحكام، والبعد عن دينهم، والإعراض عن شريعة ربهم. فرض عليهم تجزئة بلاد المسلمين، وتقسيم شعوبها شيعاً، بلا وزن، ولا قيمة تذكر بالمحافل الدولية.

وإذا كان الأمر الواقع لحال المسلمين لا يسر إلا العِدا، ويؤلم الصديق، فليس أقل من أن يراعي المسلمون تلك التوجيهات القرآنية الكريمة، التي تجمع وتؤلف بينهم، وتجنبهم الكثير من ويلات التقسيم، ومصائب ووهن الخلاف والتدابر، ونورد فيما يلي بعضاً من هذه التوجيهات الربانية:

١- توثيق العلاقات بين الشعوب المسلمة

والعمل الدؤوب لاجتماعهم واتحادهم. يقول الله تعالى ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[1]. وهذه آية عظيمة، جليلة القدر، تأمر بالاتحاد، وتحث عليه، وعلى التمسك برابطة الإيمان، والإسلام بين الموحدين.

٢- الولاء والنصرة لأهل الإسلام

فلهم المحبة والتأييد والعون في مواجهة الأخطار والتحديات والأعداء. يقول الله سبحانه ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[2].

" فأداة الحصر في قوله { إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا } تدل على أنه يجب قصر الولاية على المذكورين، والتبري من ولاية غيرهم، ثم ذكر فائدة هذه الولاية فقال: { وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ } أي: فإنه من الحزب المضافين إلى الله إضافة عبودية وولاية، وحزبه هم الغالبون الذين لهم العاقبة في الدنيا

١- سورة آل عمران آية: ١٠٣.

٢- سورة المائدة. آية: ٥٥ و ٥٦.

والآخرة، كما قال تعالى: { وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ } وهذه بشارة عظيمة، لمن قام بأمر الله وصار من حزبه وجنده، أن له الغلبة، وإن أديل عليه في بعض الأحيان لحكمة يريدها الله تعالى، فآخر أمره الغلبة والانتصار، ومن أصدق من الله قيلا "[1].

ويقول تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾[2].

عقد موالاة ومحبة، عقدها اللّه بين المهاجرين، الذين آمنوا وهاجروا، وجاهدوا في سبيل اللّه، وبين الأنصار الذين آووا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، وأعانوهم في بأموالهم، وأنفسهم، وأما هؤلاء الذين آمنوا ولم يهاجروا، فليست لهم هذه المنزلة، ولكنهم إن استغاثوا بكم، لقتال من قاتلهم لأجل دينهم فالواجب نصرتهم والقتال معهم.

وبالعلاقة بين المسلمين بعضهم بعضاً، نختم مطلبنا هذا، وننتقل للمطلب التالي وهو:

المطلب الرابع: سِلْمٌ أم حرب؟

بعد أن تكلمنا عن الأسس القرآنية، التي يبني عليها الإسلام علاقاته الدولية، وسياسته الخارجية، يرد هنا السؤال المزمن، سؤال كل حديث في المسألة، سؤال يشاغب به مشاغبون، أو يثيره الماكرون، طعناً في الدين، وإثارة للشبهات حول الإسلام والمسلمين.

والسؤال باختصار: هل الأصل في علاقة المسلمين بغير المسلمين هي علاقة سلم أم حرب؟

ويتفرع عن هذا السؤال فرية عظيمة يروجها أعداء الدين وهي: أن الإسلام انتشر بالسيف، ويتفرع على هذه الفرية موقف مخز منهزم، ينكر أن يكون الإسلام دين قوة، ويحصر الإسلام داخل دائرة ضيقة تدور بِسِلْمٍ مبني على ضعف وخَوَر.

١- تفسير السعدي. ص / ٣٠٢ و ٣٠٣.

٢- سورة الأنفال. آية: ٧٢.

وهذا ما سأحاول – بعون الله – أن أرد عليه، والله أسأل السداد والإصابة.

التدرج القرآني في مسألة السلم والحرب

لابد للمتكلم في هذه المسألة الأساسية أن يقف على تناول القرآن لقضية القتال والجهاد في سبيل الله، والتدرج الحاصل فيها، وتطور الأمر بها، طبقاً للحوادث المعاصرة لنزول الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم، وسيكون الكلام محصوراً في نقطتين أساسيتين وهما:

١- المرحلة المكية

وهي مرحلة دعوة، وتربية، استمرت ثلاثة عشر عاماً، بنى فيها القرآن والرسول نفوس أتباعه من الصحب الكرام على العقيدة الصحيحة، وأساسها شهادة التوحيد وأصول الإيمان الستة، مع التحلي بمكارم الأخلاق، وجميل الأفعال، من الصدق، والصلة والبر، ورغم ما تعرض له المسلمون من العدوان، والتعذيب، والنكال، والاستضعاف، رغم هذا كله كان القرآن يتنزل على النبي صلى الله عليه وسلم يأمره بالصبر، وأن يواجه تعنت المشركين، وعدوانهم بالصفح والإعراض عنهم، يقول تعالى ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۛ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[١].

ويقول سبحانه ﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾[٢].

ويقول عز وجل ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[٣].

ويقول جل جلاله ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴾[٤].

ويقول تعالى ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾[٥].

١- سورة هود. آية: ٤٩.

٢- سورة الروم. آية: ٦٠.

٣- سورة الأحقاف. آية: ٣٥.

٤- سورة الحجر. آية: ٨٥.

٥- سورة الزخرف. آية: ٨٩.

ويقول سبحانه ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾[1].

ويقول جل ثناؤه ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

على هذا النحو من التشبيت، والتسلية، والأمر بالصبر، والصفح، تنزل الوحي الشريف، ولم يكن ثمة ذكر للقتال، ولو حتى دفاعاً عن النفس، ودفعاً للظلم، حتى أذن الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في الهجرة من مكة إلى المدينة ليبدأ عهد جديد للإسلام، يمكن لنا أن نسميه عهد بناء الدولة الإسلامية، وهي المرحلة التالية في كلامنا:

٢- المرحلة المدنية

وبدأت من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وفيها أصبح للمسلمين دولة مستقلة، وكان المهاجرون من أصحابه صلى الله عليه وسلم قد تركوا خلفهم في مكة أموالهم، وديارهم، وربما نساءهم، وأطفالهم، فأنزل الله تعالى الإذن بقتال الظالمين الذين بغوا واعتدوا على المؤمنين؛ لمجرد كونهم أسلموا لله رب العالمين، قال سبحانه ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾[3].

ثم أمر الله عباده المؤمنين بقتال من قاتلهم، فقال تعالى ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[4].

وقال سبحانه ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[5].

١- سورة يونس. آية: ١٠٩.

٢- سورة هود. آية: ١١٥.

٣- سورة الحج. آية: ٣٩-٤٠.

٤- سورة البقرة. آية: ١٩٣.

٥- سورة الأنفال. آية: ٣٩.

وقوله تعالى { وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ } هذا هو " المقصود من القتال والجهاد لأعداء الدين، أن يدفع شرهم عن الدين، وأن يذب عن دين اللّه الذي خلق الخلق له، حتى يكون هو العالي على سائر الأديان"[1].

وهنا لابد لنا من وقفة مع **دوافع القتال** التي جاءت في آي القرآن، ونوردها في النقاط التالية:

أ) الدفاع عن المستضعفين

شرع الله تعالى القتال لعباده المسلمين، ليدفعوا عن إخوانهم المستضعفين الظلم والعدوان، يأتي هذا المعنى جلياً في قوله تعالى ﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾[2] فهذه الآية استنفار للمؤمنين، لنجدة إخوانهم المستضعفين رجالاً ونساءً وأطفالاً، وإغاثتهم من الذل والهوان، ومحاولات الظالمين فتنتهم عن دينهم. وقد أوجب الله نصرتهم على إخوانهم المسلمين فقال سبحانه ﴿ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ﴾[3].

ب)الدفاع عن النفس

وشرع الله القتال لكي يدفع العباد عن أنفسهم، ودينهم، شر الأشرار، وظلم الفجار، فقال العزيز الجبار ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[4].

ج) عقاب المجترئين على العدوان

١- تفسير السعدي. ص / ٤٣١

٢- سورة النساء. آية: ٧٥.

٣- سورة الأنفال. آية: ٧٢.

٤- سورة البقرة. آية: ١٩٠ : ١٩٢.

لابد لدولة الإسلام من قوة تحفظ هيبتها، وتعين على رد العدوان وردع المعتدين، قال تعالى ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

ولابد للأمة من حشد قوتها، في وجه محاولات النيل من سيادتها، واستقرارها، قال سبحانه ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾[2].

ويجب على الأمة إجابة النفير، ولا يجوز للقادرين التقاعس عن الإجابة، بالنفس والمال. قال الله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾[3]. وفي الآيات مع الأمر بالنفير، تهديد واضح للمتخلفين بالعذاب، والاستبدال.

د) عقاب الخائنين للعهود الغادرين بالمسلمين

وشرع القتال في هذه الحال، عقوبة لأهل الغدر، ولئلا تصبح عادة كلما هوى قوم نقض عهد نقضوه، **كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع يهود بني النضير** حين غدروا بالعهد وهموا بقتله غيلة صلى الله عليه وسلم ، لولا نزول الوحي يكشف خطتهم الدنيئة، ويأمر بإجلائهم، قال الله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ

١- سورة البقرة. آية: ١٩٤.

٢- سورة التوبة. آية: ٣٦.

٣- سورة التوبة. آية: ٣٨ : ٤١.

بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1].

وكما فُعِل مع يهود بني النضير حين غدروا بالعهد، عوقب أبناء عمومتهم بنو قريظة، لما نقضوا عهدهم وتحالفوا مع المشركين بالأحزاب ضد المسلمين، حاصرهم المسلمون حتى استسلموا، فقتل البالغون منهم، وسُبِيَ النساء والأطفال، قال سبحانه ﴿ وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾[2].

وأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بعقاب هؤلاء الناكثين الغادرين الخائنين، حين تتبين خيانتهم، فيرد إليهم عهدهم ويعلمهم بالنقض، وأنه حرب عليهم، ولا سلم معهم ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴾[3].

بل إن عدم القتال في هذه الحال يعد أمراً مستنكراً، لا يسوغ للمسلمين التهاون في القيام به، يقول تعالى ﴿ وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾[4].

١- سورة الحشر. آية: ٢ : ٤.

٢- سورة الأحزاب. آية: ٢٦ - ٢٧.

٣- سورة الأنفال. آية: ٥٥ - ٥٨.

٤- سورة التوبة. آية: ١٢ - ١٥.

فإذا تبينت لنا دوافع القتال من القرآن، وليس من بينها بسط نفوذ، أو إرادة تسلط، أو بغي، أو عدوان، يتبين لنا بكل جلاء أن الإسلام كاسمه دين سلام، دين متسامح، لا يبدأ الناس بالعدوان، ولا يقهر الآخرين لاعتناقه، وهذه هي الأسس التي يقيم بها علاقاته مع الآخرين.

ولكنه في الوقت ذاته دين قوة، وعزة، لا يقبل استعلاء أحد عليه، ولا يسكت عن انتهاك لأي مقدساته، أو عدوان على أي أجزائه.

وفي هذا المعنى يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا ﴾[1].

" يأمر تعالى عباده المؤمنين بأخذ حذرهم من أعدائهم الكافرين. وهذا يشمل الأخذ بجميع الأسباب، التي بها يستعان على قتالهم ويستدفع مكرهم وقوتهم، من استعمال الحصون والخنادق، وتعلم الرمي والركوب، وتعلم الصناعات التي تعين على ذلك، وما به يعرف مداخلهم، ومخارجهم، ومكرهم، والنفير في سبيل الله "[2].

فمسالمة الناس وموادعتهم لا تعني أبداً –كما يفهم بعضهم – لا يعني أبداً ترك الاستعداد وتحصيل أسباب القوة، التي يرتدع بها البغاة، ويعمل لها الأعداء ألف حساب وحساب، بل لابد من تحصيل أسباب حماية الأمة، بكل سلاح مشروع، وإخافة العابثين، من أعدائها، ويؤكد هذا المعنى قوله سبحانه ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ٦٠ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴾[3].

وقوله تعالى { تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ }من أكبر الأدلة على أن قوة المسلمين ليست للبغي والعدوان، ولكنها للردع، لأن العدو حين يدرك قوة خصمه، واستعداده للنزال، وقدرته على إلحاق الضرر به، يمنعه ذلك من المغامرة بالبدء بالحرب لما حصل له من الخوف والرهب.

١- سورة النساء. آية: ٧١.

٢- تفسير السعدي. ص / ٢٣١

٣- سورة التوبة. آية: ٦٠ – ٦١.

لكن أعجب من هذا، أن نجد – بعد هذه الآية العظيمة التي تأمر بالاستعداد والتيقظ للأعداء – نجد بعدها مباشرة قوله تعالى {وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا} ليقضي على أي توهم يزعم أن قوة المسلمين للقهر والظلم، بل هي قوة للسلام، السلام الذي لا يصنعه إلا الأقوياء، وكل سلم بين منتصر ومهزوم هو استسلام، وكل سلم بين قوي وضعيف هو استذلال، واستضعاف، واستكبار.

فالدولة المسلمة – دولة القرآن – هي دولة قوية مرهوبة الجانب، وهي مع قوتها دولة – من الأصل – تسالم الناس فلا بغي ولا عدوان، فإن تعدى أحد على دينها، أو انتقص من سيادتها، أو تعرض لرعاياها بسوء؛ فهي الحصن الحصين للمستضعفين، والأسد الحامي للعرين، وهي الأمة التي تتعبد ربها بالقتال في سبيله، وتجاهد بكل ما تملك من غالٍ ونفيس، كما جاء في القرآن ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

بهذه الآية العظيمة، وهذا المبحث الجليل نختم هذا الفصل الأخير من بحثنا حول الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم، وننتقل إلى الكلام على الخاتمة – أحسن الله خاتمتنا أجمعين – خاتمة البحث، ومن ثم التوصيات.

١- سورة التوبة. آية: ١١١.

الخاتمة والتوصيات

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات التي توصلتُ إليها من خلال البحث

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، أحمده سبحانه على عظيم مِنَّته، وكريم عطيته، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أهل الثناء والمجد، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آل بيته، وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين..... أما بعد،،،

فلابد لكل عمل من خاتمة، تُعَدَّد فيها نتائج العمل، وتُبْرَز فيها الفوائد الحاصلة من خلاله، وكان من **أهم النتائج التي خرج بها الباحث من هذه الأطروحة ما يلي:**

١- **اليقين بأن عطاء القرآن الكريم يظل متدفقاً، وافياً بحاجات المسلمين بما تضمن من القواعد والأصول، التي ترتب جميع مناحي الحياة.**
٢- **اليقين بأن حالة الاضطراب، وربما الاحتراب التي تتلظى به أمتنا في عصرنا الحاضر، هو حصاد مر للبعد عن معين القرآن الكريم والسنة النبوية.**
٣- **الحكم غير المؤسس على قواعد وتوجيهات القرآن الكريم يظل تائهاً ضالاً عن إسعاد البشر بشكل حقيقي.**
٤- **لابد لأي نظام حكم من معرفة مقاصد الحكم وسياسة الأمة في القرآن الكريم لتتسق أفعاله وسياساته، وحتى يمتلك المعيار الحقيقي للحكم والسياسة.**
٥- **غياب الأصالة والذاتية النابعة من قيم الإسلام ومبادئه، عن نظم الحكم في أمتنا أصابها بآفات الرؤى العلمانية والإلحادية، وما تقدمه النظم الغربية من تشريعات فاسدة ومنحرفة.**
٦- **أن الوصول إلى الحكم الإسلامي المستمد من الكتاب والسنة هو المخرج من حالة الضياع والقلق والاضطراب، التي تسود بلاد الإسلام.**
٧- **أن الحاجة ما تزال قوية، وضرورية إلى استلهام تطبيقات الحكم القرآني، في النظم السياسية التي تنتسب للإسلام.**

٨- **أن الدعوة إلى الإسلام، وتوضيح صورته الناصعة، وإبراز محاسنه وثمراته للناس من أعظم الدواعي لصياغة نظم حكم وسياسة إسلامية، لتظهر للعالم خصائص ومبادئ وفوائد أحكام القرآن، وتوجيهاته للحياة الإنسانية.**

٩- **أن الضمانة الحقيقية لكرامة الإنسان، تتمثل في تطبيق سياسة إسلامية منضبطة بتعاليم القرآن، توفر له طرق التكريم، وحفظ الاعتبار الإنساني.**

١٠- **أن الحرية الحقيقية المسئولة، تتحقق بامتثال أحكام القرآن والسنة، واحترام الجميع لسنة الاختلاف والتعددية بين البشر.**

فهذه عشرة كاملة، من النتائج التي استبانت للباحث من خلال بحثه، والتي ينبني عليه مجموعة من التوصيات، يقدمها الباحث رجاء أن ينفع الله بها، وأن تكون مفتاح خير، وطليعة بحوث تؤسس، وتعزز، وتساهم في رسم خريطة أساسية، لما ينبغي أن تكون عليه أنظمة الحكم والمؤسسات السياسية في عالمنا الإسلامي.

التوصيات

من أهم التوصيات التي خرج بها الباحث من هذه الأطروحة ما يلي:

١- الدعوة لمزيد من الاتصال بالقرآن الكريم، وتدبر عطاءاته، وكشف كنوزه، ونشرها بين العالمين، وإخراجها في أبهى صورة، واضحة نقية، وميسرة.

٢- الاهتمام بالقالب الذي تصاغ فيه الأحكام القرآنية، وتعرض به التشريعات الربانية، بحيث تتوافق والقوالب العصرية، تقنيةً، وسهولةً، وانتشاراً.

٣- وجوب القيام بمجهود إسلامي كبير، على مستوى الدول، ثم على مستوى المؤسسات، والهيئات، ودور العلم من المعاهد والجامعات، لدعم الدراسات العديدة لنظم الحكم الإسلامي وتطويرها لتناسب حاجات العصر.

٤- تأصيل البحث في نظم الحكم والسياسة، بردها لمصادرها الأصلية من الكتاب والسنة، كي يكون الأساس متيناً، والقواعد واضحةً، وكي تدرك الجماهير الفروق الجوهرية بين حكم القرآن، والإسلام، وبين نظم الحكم الغربية الوضعية، بما فيها من قصور، وعوار، وربما فساد، وأضرار.

٥- إعداد الكوادر الإسلامية، وتأهيلها، للتعبير عن رسالة الإسلام والقرآن بحيث تلم بجميع الأدوات اللازمة للحكم وسياسة الأمة.

٦- لابد من اعتبار الدعوة للعودة لتطبيق أحكام القرآن، وشرائع الإسلام، هي جهاد العصر، تُوَجَّه إليها الطاقات، والقدرات، والعقول، وتُوضَع لها الخطط، التي تكفل تعريف الناس بشريعة ربهم، ورفع الجهالة عنهم.

٧- العمل الجاد الحقيقي لتهيئة الأجواء، وتنقية النظم التشريعية والقضائية من جميع المخالفات الشرعية، التي تتعارض وأحكام القرآن وتوجيهاته.

٨- القيام بعمل جماعي بجهد جهيد، بعقد المؤتمرات، والمجامع العلمية العظيمة، لبيان إشراقات أحكام القرآن، ومحاسن الشريعة الإسلامية، وتيسيرها، وتحصيلها لجميع منافع البشرية، وإصلاحها لكل مكان وزمان.

٩- الاجتهاد في تتبع شبهات المغرضين، وطعون المجرمين في أحكام القرآن، وتفنيدها، والرد عليها.

١٠- وهي الأخيرة : أن يعمل كل واحد فينا على التزام شرائع الإسلام وأحكام القرآن في أقواله وأفعاله، وجميع معاملاته. فوالله لن ينصلح حالنا إلا بما انصلح به حال المسلمين الأوائل، الذين تمثلوا القرآن قولاً وعملاً، فسادوا الدنيا، وحكموا البلاد، وانصلحت بصلاحهم أحوال العباد.

وبهذه التوصيات، أختتم البحث، حامداً لله حمداً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه، حمداً يملأ السماء والأرض وما بينهما، ومصلياً على النبي الأكرم صلى الله عليه وسلم.

فما كان من خير في هذا البحث، فهو محض فضل الله وكرمه، وما كان من غير ذلك فمِنِّي، وأسأل الله أن يتجاوز عنِّي.

المصادر والمراجع

- الآجري. أبو بكر محمد بن الحسين. الشريعة. بتحقيق د عبد الله الدميجي. دار الوطن – الرياض. ط٢ ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- الآمدي، علي بن محمد. الإحكام في أصول الأحكام. دار الكتاب العربي – بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٠٤هـ
- الأحمدي، أنس سليم. المرونة. مؤسسة الأمل للنشر والتوزيع – الرياض. بدون تاريخ ولا رقم طبعة.
- إدارة المعلومات، مجلس الشورى بالمملكة العربية السعودية. الشورى في الإسلام رؤية نيابية. طبعة خاصة. ١٤٢٤هـ.
- الأشقر، د عمر سليمان، العقيدة في الله، ط ٨، دار النفائس بالأردن ومكتبة ابن الجوزي بالكويت ١٩٩١.
- الأصفهاني. الحسين بن محمد. مفردات ألفاظ القرآن، ، دار المعرفة، بيروت – لبنان.
- الألباني، محمد ناصر الدين؛ صحيح الترمذي ، ط الأولى، المكتب الإسلامي – بيروت، ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م، و صحيح ابن ماجة ط٣. مكتب التربية العربي لدول الخليج. الرياض. ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
- الألوسي محمود البغدادي تفسير روح المعاني. طبعة ٤. دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م
- الإمام، د أحمد علي. الشورى والمؤسسات التشريعية الحديثة. طبعة المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث. ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. (بحث مقدم للدورة السادسة عشر للمجلس– اسطنبول).
- البخاري، محمد بن إسماعيل؛ الصحيح المسند.ط .بيت الأفكار الدولية ١٩٩٨.
- البشايرة. د أحمد سليمان. صور من قضايا القضاء في القرآن. المجلة الأردنية في للدراسات الإسلامية، المجلد السابع ١٤٣٣هـ/ ٢٠١١م

- البغوي، الحسين بن مسعود؛ تفسير معالم التنزيل، ط الأولى، دار طيبة – الرياض ٢٠٠٢م.
- البيهقي. أحمد بن الحسين. السنن الكبرى . مجلس دائرة المعارف النظامية – الهند – حيدر آباد. الطبعة الأولى . ١٣٤٤ هـ
- الترمذي، محمد بن عيسى؛ سنن الترمذي، ط الأولى، دار بن حزم – بيروت، ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠٢ م.
- التويجري. محمد بن إبراهيم بن عبد الله. مختصر الفقه الإسلامي في ضوء القرآن والسنة. ط ١١. دار أصداء المجتمع. المملكة العربية السعودية. ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.
- ابن تيمية، الإمام تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم؛ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح. ١ / ٦٩. ط الأولى ١٤١٤هـ. دار العاصمة – الرياض، ومجموع الفتاوى، الطبعة الثالثة. دار الوفاء – مصر. ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م.، والسياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية. بتعليق العثيمين، محمد بن صالح. ط١. ١٤٢٧هـ. مدار الوطن للنشر – الرياض، ومنهاج السنة النبوية. بتحقيق د محمد رشاد سالم. ط١. جامعة الإمام محمد بن سعود. ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م
- الجبوري، د سلمان عبود. حجية الإجماع بين النفي والإثبات. مجلة الفتح. العدد٤١. ص ٨٩. أب / ٢٠٠٩
- الجرجاني. الإمام علي بن محمد. التعريفات. ط الأولى. ١٤٠٥هـ. دار الكتاب العربي– بيروت.
- الجزائري، أبو بكر جابر ؛ نداءات الرحمن لأهل الإيمان. ط الثالثة. مكتبة دار العلوم والحكم، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦ .
- الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي. أحكام القرآن. دار احياء التراث العربي – بيروت – ١٤٠٥هـ
- الجوهري،،، أبو نصر إسماعيل ؛الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية –، ط دار العلم للملايين – بيروت ١٩٧٩م

- الجيزاني، محمد بن حسين معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة.. ص / ٣٠٥. ط ١ جمعية إحياء التراث الإسلامي ٢٠٠٥م.
- الحاكم. أبو عبد الله النيسابوري. المستدرك على الصحيحين. ط١. دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١١هـ / ١٩٩٠ م.
- ابن حبان. أبو حاتم ، محمد بن حبان بن أحمد. صحيح ط ٢. مؤسسة الرسالة – بيروت – ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .
- حسين، محمد الخضر، شيخ الأزهر. الحرية في الإسلام. دار الاعتصام. محاضرة ألقيت في ١٧ ربيع الثاني ١٣٢٤هـ.
- الحنبلي، ابن رجب. جامع العلوم والحكم . ط١. جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت . ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م
- الحنبلي صفي الدين قواعد الأصول ومعاقد الفصول. ط الأولى. من مطبوعات جامعة أم القرى – مكة المكرمة. ١٤٠٩هـ
- الحنفي. إسماعيل حقي. تفسير روح البيان ، طبعة دار إحياء التراث العربي . بيروت – لبنان
- الحنفي. ابن نجيم. البحر الرائق شرح كنز الدقائق. الطبعة ١. المطبعة العلمية . بدون تاريخ
- خلاف. عبد الوهاب. السياسة الشرعية، هدية مع مجلة الأزهر عدد ذي القعدة ١٤٢٣هـ.
- ابن خلدون العلامة عبد الرحمن المغربي. المقدمة. ط٢. دار الكتاب اللبناني – بيروت ١٩٧٩م
- الرازي،،، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر؛ مختار الصحاح طبعة مكتبة لبنان، ١٩٨٩م.
- رضا، محمد رشيد. الخلافة. الزهراء للإعلام العربي. مصر. القاهرة. بدون رقم طبعة، وسنة النشر.

- الزبيدي،،، هو السيد مرتضى بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق، تاج العروس.. ط وزارة الإعلام الكويتية. ١٩٨٤ م
- الزحيلي،،، د وهبة؛ التفسير المنير.. ط٨. دار الفكر – دمشق. ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥
- الزرقاني،،، العلامة محمد عبد العظيم؛ مناهل العرفان في علوم القرآن. – طبعة دار الكتاب العربي.
- الزركشي،،، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر؛ البرهان في علوم القرآن.. ط دار الكتب العلمية.
- أبو زهرة. العلامة محمد أحمد مصطفى. العلاقات الدولية في الإسلام، دار الفكر العربي – القاهرة ١٩٩٥
- السبكي، علي بن عبد الكافي. الإبهاج شرح المنهاج. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٠٤هـ
- السجستاني،،، الإمام سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير الأزدي؛ سنن أبي داوود. دار السلام – الرياض. ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م
- السديري. توفيق بن عبد العزيز. الإسلام والدستور. ط ١. وكالة المطبوعات والبحث العلمي وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – السعودية. ١٤٢٥هـ.
- أبو السعادات، المبارك الجزري، "النهاية في غريب الحديث والأثر" تحقيق: الزاوي، والطناحي. المكتبة العلميَّة– بيروت. ١٣٩٩هـ.
- السعدي،،، العلامة عبد الرحمن بن ناصر؛ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ط إحياء التراث الإسلامي– الكويت. ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م
- سلسلة رسائل التأصيل / ٣. حول فقه الواقع. من إصدارات المركز العالمي للوسطية – الكويت.
- السلمي. عياض بن نامي. أصول الفقه الذي لا يسع الفقيهَ جهلُه. مخطوط، بكلية الشريعة بالرياض

- السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد المروزى التميمي الحنفي ثم الشافعي.قواطع الأدلة في الأصول. الطبعة الأولى دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ١٤١٨هـ/١٩٩٩م٠
- السيوطي،،، الإمام جلال الدين عبد الرحمن؛ الإتقان في علوم القرآن. طبعة مجمع الملك فهد – المملكة العربية السعودية .
- الشاطبي،،، الإمام إبراهيم بن موسى بن محمد أبو إسحاق اللخمي الغرناطي؛ الموافقات – دار ابن عفان – السعودية – الخبر ١٩٩٧. بتحقيق الشيخ مشهور حسن .
- الشافعي،،، الدكتور حسين محمد؛ الدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ط٣ – دار السلام للنشر والتوزيع عام ٢٠٠٨م
- الشافعي، الإمام محمد بن إدريس. الرسالة. دار التراث. القاهرة. ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
- الشربيني. شمس الدين محمد بن أحمد . تفسير السراج المنير. دار الكتب العلمية. بيروت– لبنان
- الشحود، علي بن نايف. مفهوم الحرية بين الإسلام والجاهلية. طبعة المؤلف. الطبعة:الأولى. ١٤٣٢ هـ – ٢٠١١ م.
- الشنقيطي. محمد الأمين المختار. مذكرة في أصول الفقه. الطبعة الأولى ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩ م. مكتبة ابن تيمية – القاهرة
- الشيباني،،، الإمام أبو عبد الله أحمد بن حنبل؛ المسند.ط/ بيت الأفكار الدولية. ١٩٩٨م
- الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي. اللمع في أصول الفقه. دار الكتب العلمية – بيروت. الطبعة الأولى. ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.
- الشوكاني، محمد بن علي، "فَتْح القدير الجامع بين فنَّيِ الرواية والدراية من علم التفسير". ط ٤. مؤسسة الريان–بيروت.١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م

- الصَّلاَّبي. عَلي محمد محمد. الشورى فريضة إسلامية.. الناشر: دار ابن كثير – سوريا.
- الصنعاني. الإمام عبد الرزاق. المصنف. ط٢ . المكتب الإسلامي – بيروت. ١٤٠٣هـ. بتحقيق حبيب الرحمن الأعظمي
- الطبراني،،، الإمام أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللَّخمي الشامي؛ المعجم الأوسط.
- الطبري، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب؛ جامع البيان في تأويل القرآن. ط٣. دار السلام – القاهرة. ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨، و تاريخ الأمم والملوك. ٢ / ٤٤٩. ط١. دار الكتب العلمية. بيروت لبنان. ١٤٠٧ هـ
- ابن عاشور، محمد بن الطاهر التونسي . تفسير التحرير والتنوير. الطبعة الأولى. مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان. ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.
- عبد الله، عبد الرحمن بن صالح. الموضوعية في العلوم التربوية. ط١. دار المنارة – جدة. ١٤٠٧هـ
- العتيبي. سعود بن عبد العالي البارودي. الموسوعة الجنائية الإسلامية المقارنة. ط٢. ١٤٢٧هـ بدون دار نشر
- ابن العربي. القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر. أحكام القرآن. ط١. المكتبة العصرية . بيروت ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م
- العجوز، أحمد محيي الدين. مناهج الشريعة الإسلامية. طبعة مكتبة المعارف.بيروت ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ابن عطية،،، الإمام محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. ط١ مؤسسة التاريخ العربي – بيروت. ٢٠٠٠م.
- العوا، محمد سليم. الوسطية السياسية. سلسلة الأمة الوسط/ ١١. الطبعة الثانية. ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م. المركز العالمي للوسطية. الكويت.
- ابن فارس. أبو الحسين أحمد بن زكريا. معجم مقاييس اللغة. دار إحياء التراث العربي – بيروت – الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

- فوجو، ياسر اسعيد. بحث بعنوان العفو الإلهي في الأدلة التبعية. الجامعة الإسلامية – غزة. ١٤٣١هـ / ٢٠١٠م
- الفيروزآبادي،،، العلامة مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب؛ القاموس المحيط الطبعة الثانية ١٩٨٧م – مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان. وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز.
- الفيومي،،، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي الحموي؛ المصباح المنير ، طبعة مكتبة لبنان، ١٩٩٠م.
- القرضاوي،،، العلامة د يوسف عبد الله؛ ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده.. ط الثالثة. مكتبة وهبة. القاهرة. ٢٠٠١، وعوامل السعة والمرونة في الشريعة الإسلامية. سلسلة تهيئة الأجواء / ١. اهداءات ٢٠٠٢. المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت.
- القرطبي،،، الإمام هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي؛ الجامع لأحكام القرآن. ط دار الكتب العلمية – بيروت. ١٩٨٨م
- القطان،،، د مناع؛ مباحث في علوم القرآن.. مكتبة المعارف. الرياض. ١٩٨٨.ط٨.
- قطب، الأستاذ سيد؛ في ظلال القرآن، ط / ١٢ دار الشروق. القاهرة ١٩٨٦ .
- القلقشندي، أحمد بن عبد الله. مآثر الإنافة في معالم الخلافة. ط٢. مطبعة حكومة الكويت. الكويت. ١٩٨٥م.
- ابن قيم الجوزية،،، الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز؛ الطرق الحكمية في السياسة الشرعية. بتحقيق نايف بن أحمد الحمد. دار عالم الفوائد، وكتاب إعلام الموقعين عن رب العالمين ٢ / ٨٨. الطبعة الأولى. دار ابن الجوزي. السعودية.١٤٢٣ هـ .
- ابن كثير،،، الإمام عماد الدين إسماعيل بن عمر . تفسير القرآن العظيم ط١ مكتبة دار الفيحاء . دمشق، ومكتبة دار السلام. الرياض.

- ابن ماجة. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. السنن. ط٢ – شركة الطباعة السعودية – الرياض. ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤
- الماوردي. علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي. الأحكام السلطانية والولايات الدينية. ط١. المكتب الإسلامي – بيروت، دمشق، عَمَّان. ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م.
- المباركفوري،،، صفي الرحمن؛ الرحيق المختوم..دار المؤيد للنشر والتوزيع بالرياض. ٢٠٠٤م
- مجموعة مؤلفين،،، المعجم الوسيط الطبعة الثانية ١٩٨٩م – مؤسسة دار الدعوة – إستنبول – تركيا- مجمع اللغة العربية – القاهرة
- مجموعة مؤلفين،،، موسوعة العلوم السياسية، إصدار جامعة الكويت بالتعاون مع مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
- مجموعة مؤلفين،،، مقالات في الدعوة والإعلام الإسلامي.. كتاب الأمة – قطر. عدد: ٢٨.
- منظور، الإمام أبو الفضل جمال الدين، لسان العرب. ط الثالثة. دار إحياء التراث العربي- بيروت
- المهدي، حسين بن محمد. الشورى في الشريعة الإسلامية دراسة مقارنة بالديمقراطية والنظم القانونية. طبعة خاصة بوزارة الثقافة – اليمن. ٢٠٠٦.
-
- الناصر د عبد الله بن إبراهيم. مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي. بحث منشور على شبكة الإنترنت. ورابطه
www.kantakji.com/fiqh/Files/Economics/7807.doc
-
- النيسابوري الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج؛ الصحيح. ط الأولى. دار ابن حزم – القاهرة ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨ م
- هارون،،، الأستاذ عبد السلام؛ تهذيب سيرة ابن هشام .. دار البحوث العلمية بالكويت ١٩٧٦م.

• مواقع على الشبكة العنكبوتية

✓ مجمع المصحف الشريف
/http://www.qurancomplex.org

✓ الموسوعة المعرفية الشاملة:
http://mousou3a.educdz.com

✓ موقع العلامة د يوسف القرضاوي
http://www.qaradawi.net

✓ موقع قصة الإسلام على هذا الرابط :
/http://www.islamstory.com

✓ الموقع العالمي للاقتصاد الإسلامي
http://isegs.com/forum/index.php

✓ منتديات مكتبتنا العربية
http://www.almaktabah.net/vb/index.php

✓ مكتبة صيد الفوائد الإسلامية
http://saaid.net/book/list.php?cat=1

✓ مقال للأستاذ محمد بن شاكر الشريف على هذا الرابط
http://www.saaid.net/Doat/alsharef/6.htm

✓ مفهوم قاعدة الاستخلاف في الاقتصاد الإسلامي. د عبد الله بن إبراهيم الناصر...
www.kantakji.com/fiqh/Files/Economics/7807.doc

✓ مفاهيم تنظيم المجتمع موقع منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة
..http://www.fao.org/wairdocs/af199a/af199a02.htm

✓ الكرامة الإنسانية في القرآن الكريم. د. عبدالحكيم درقاوي
: http://www.alukah.net/Sharia/0/27723/#ixzz2WOHeUtWE.

✓ داتسون، لورين وغاليسون، بيتر. الموضوعية. الناشر: زون بوكس – نيويورك ٢٠١١:
http://www.albayan.ae/paths/books/2012-08-26-1.1714742

✓ عبد الكريم، بليل. الموضوعية: استبدال مصطلح، وإصلاح مفهوم.
http://www.alukah.net/culture/1080/8496/

فهرس الآيات

(السور على ترتيبها في المصحف الشريف وتحتها الآيات مرتبة ١، ٢، ٣ .... إلخ)

م	سورة الفاتحة	رقم الآية	أرقام الصفحات بالرسالة
-١	﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾	٥	٢٦٣
	سورة البقرة		
-٢	﴿ الٓمٓ ﴾	١	١٣٥
-٣	﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ﴾	٢	١٣٥
-٤	﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾	٣	١٣٥
-٥	﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ ﴾	٤	١٣٥
-٦	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾	٥	١٣٥
-٧	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ﴾	٦	١٣٥
-٨	﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ ﴾	٧	١٣٥
-٩	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾	٨	١٣٥
-١٠	﴿ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾	٩	١٣٥
-١١	﴿ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ ﴾	١٠	١٣٥و٣٠٢
-١٢	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ ﴾	١٣	٢٢٤و٢٢٧
-١٣	﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ ﴾	٢٠	٢٧٩
-١٤	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ﴾	٢١	٩٨و٣٧٩
-١٥	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا ﴾	٢٦	٣٧٧
-١٦	﴿ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾	٢٧	٢٧و٣٧٧
-١٧	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾	٣٠	٩٦و٩٨و٢٤٥و٢٥٥
-١٨	﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾	٣١	٢٥٦
-١٩	﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾	٣٦	٢٧٨

-٢٠	﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ ﴾	٤٤	٤٠
-٢١	﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَـٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾	٤٩	٢٦٠
-٢٢	﴿ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ ﴾	٥٩	١١٧
-٢٣	﴿ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ ﴾	٦٠	٣٣٢
-٢٤	﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ﴾	٧٣	٥٩
-٢٥	﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾	١٠٢	٧١
-٢٦	﴿ وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ﴾	١١١	٥٩و٧١و٢٦٥و٢٩٧
-٢٧	﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ ﴾	١١٣	٥٣و٢٧٦
-٢٨	﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَـٰنَهُۥ ﴾	١١٦	٢٨٤
-٢٩	﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١١٧	٤٢
-٣٠	﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾	١٢٤	٤٥
-٣١	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾	١٢٦	٣٢٠
-٣٢	﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ﴾	١٣٨	٢٦٩
-٣٣	﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾	١٤٣	٢٠٢
-٣٤	﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾	١٤٤	٢٦٩
-٣٥	﴿ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾	١٥٠	٥٩
-٣٦	﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾	١٥٨	٢٩٣
-٣٧	﴿ وَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	١٦٣	١٦٦
-٣٨	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا ﴾	١٦٨	٣٧٩
-٣٩	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ ﴾	١٧٢	٦٥و١٠٩
-٤٠	﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ ﴾	١٧٣	٦٦و٢٩٣
-٤١	﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ﴾	١٧٧	١١٥و٣٠٠
-٤٢	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ﴾	١٧٨	٦٥و٩٢و١٧٣و٣١٩
-٤٣	﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾	١٧٩	٤٩و٦٥و٩٢و٣١٩و٣٦٤

٤٤-	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾	١٨٠	٣٦٧
٤٥-	﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ ﴾	١٨٣	٦٠و١٧٠و١٩٥
٤٦-	﴿ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا ﴾	١٨٤	٦٦
٤٧-	﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ﴾	١٨٧	٢٨٥
٤٨-	﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ﴾	١٨٨	٨٢و٣٥٤
٤٩-	﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾	١٩٠	٦٢و٣٨٥
٥٠-	﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ ﴾	١٩١	١٢٠و٢٨١و٣٨٥
٥١-	﴿ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	١٩٢	١٢٠و٢٨١و٣٨٥
٥٢-	﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ﴾	١٩٣	١٢٠و٢٨١و٣٨٤
٥٣-	﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾	١٩٤	١٢٠و٢٨١و٣٨٦
٥٤-	﴿ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾	١٩٥	٢٨١
٥٥-	﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾	٢٠٤	١١٦
٥٦-	﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ﴾	٢٠٥	١١٦
٥٧-	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ﴾	٢٠٦	١١٦
٥٨-	﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾	٢١٣	٩٩و٣٥٦
٥٩-	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ﴾	٢١٧	٦٣و١٥١
٦٠-	﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ﴾	٢١٩	٥٩و٢٨٥
٦١-	﴿ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾	٢٢٦	٣٦٢
٦٢-	﴿ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	٢٢٧	٣٦٢
٦٣-	﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾	٢٢٨	٢١٥و٣٦٢
٦٤-	﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾	٢٢٩	١٧٢و٣٦٢
٦٥-	﴿ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِن بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾	٢٣٠	٣٦٢
٦٦-	﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ﴾	٢٣٣	٢٤٦
٦٧-	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ ﴾	٢٤٦	١٥٦

-٦٨	﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ ﴾	٢٤٧	١٥٥و٣٠٩و٣١٠و٣٤٧
-٦٩	﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ ﴾	٢٥١	٣٨و١١٩و٣٠٩و٣٣٧
-٧٠	﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾	٢٥٥	٩٥
-٧١	﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾	٢٥٦	٦٢و٢٦١و٣٧٦
-٧٢	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾	٢٥٨	١٥٦و٣٣٤
-٧٣	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ ﴾	٢٦٧	١٠٩و٣٦٦
-٧٤	﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾	٢٦٩	٣٨
-٧٥	﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا ﴾	٢٧٥	٨٢و١٠٩و١٧٢و١٩٦و٣٥٣
-٧٦	﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾	٢٧٦	٨١و٣٥٣
-٧٧	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾	٢٧٧	١٠٣و٣٥٣
-٧٨	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ ﴾	٢٧٨	٨٢و١٧٧و٣٥٣
-٧٩	﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾	٢٧٩	٨٢و١٧٧و٣٤٦و٣٥٣
-٨٠	﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾	٢٨٠	٨٣و١٧٧
-٨١	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ ﴾	٢٨٢	١٧٣و٢٣٨و٣٨٠و٣٥٥و٣٦٨
-٨٢	﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ ﴾	٢٨٣	١٢٣و١٧٣و١٧٤و٣٥٥و٣٦٩
-٨٣	﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	٢٨٥	٥٨و١٠٢
	سورة آل عمران		
-٨٤	﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾	٣	١٦٧و١٧٩
-٨٥	﴿ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾	٤	١٧٩
-٨٦	﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾	٧	٣٧و٢٥٧
-٨٧	﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾	١٨	٢٣٤
-٨٨	﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾	١٩	٢٦٩
-٨٩	﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ ﴾	٢٠	٣٧٦
-٩٠	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾	٢٣	١٨٠

-٩١	﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ ﴾	٢٦	٤١و١٥٥
-٩٢	﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ ﴾	٢٨	١٤٦و٣٠٧
-٩٣	﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي ﴾	٣١	١٨٨
-٩٤	﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ﴾	٦٢	١٧٠
-٩٥	﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾	٦٤	٣٧٦
-٩٦	﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾	٧٢	٦٣
-٩٧	﴿ وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾	٨١	١٨٧
-٩٨	﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾	٨٥	٢٦٩و٣٧٣
-٩٩	﴿ فَمَنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ ﴾	٩٤	٣٠٢
-١٠٠	﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ مَّقَامُ إِبۡرَٰهِيمَۖ ﴾	٩٧	٨٦و١٧٠و١٩٥
-١٠١	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾	١٠٢	١٤١
-١٠٢	﴿ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾	١٠٣	١٣٨و١٤١و١٤٩و٢٠٤و٢٧٠و٣٨١
-١٠٣	﴿ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾	١٠٤	٦١و١١٤و١٤١و٢٦٦و٣١٨و٣٣١و٣٥٢
-١٠٤	﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ ﴾	١٠٥	١٤١و١٥٠و٢١٦و٢٧٠
-١٠٥	﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ ﴾	١١٠	٦١و١٤٤و٢٠٣و٢٦٦و٢٧٩و٣٣١
-١٠٦	﴿ لَيۡسُواْ سَوَآءٗۗ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ أُمَّةٞ قَآئِمَةٞ ﴾	١١٣	٢٩٦
-١٠٧	﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾	١١٤	٢٩٦
-١٠٨	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ ﴾	١١٨	٣٠٧
-١٠٩	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضۡعَٰفٗا ﴾	١٣٠	٣٧٠
-١١٠	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ ﴾	١٣٦	٦٠
-١١١	﴿ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا ﴾	١٤٥	٢٦٣
-١١٢	﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم ﴾	١٥٢	٢٨٦
-١١٣	﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا ﴾	١٥٤	١٥٥
-١١٤	﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡ ﴾	١٥٩	١٧٥و٢١٣و١٤٩و٢٦٧و٢٩١و٣١٢و٣١٤و٣٤٤

-١١٥	﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ﴾	١٦١	٣٤٦
-١١٦	﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ ﴾	١٦٤	١٨٦
-١١٧	﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ﴾	١٦٥	٢٨٦
-١١٨	﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١٨٩	٤٢
-١١٩	﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	١٩٠	٦٩
-١٢٠	﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ ﴾	١٩٥	٢٢٨
	سورة النساء		
-١٢١	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم ﴾	١	٧٤و١٢٩و١٧١و٢٢٥و٣٧٤
-١٢٢	﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ﴾	٢	١٧١
-١٢٣	﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ ﴾	٣	٧٥و١٧١و٢٣٨و٣٦٢
-١٢٤	﴿ وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾	٤	١٧١و٣٦٢
-١٢٥	﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ﴾	١١	٣٦٤
-١٢٦	﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ ﴾	١٢	٣٦٤
-١٢٧	﴿ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ ﴾	١٤	١٩٢و٣٦٧
-١٢٨	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا۟ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًا ﴾	١٩	١٧١
-١٢٩	﴿ وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾	٢٢	٧٥
-١٣٠	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ﴾	٢٣	٧٥و٣٦١
-١٣١	﴿ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾	٢٤	٧٥و٣٦١
-١٣٢	﴿ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا ﴾	٢٥	٧٥
-١٣٣	﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ ﴾	٢٦	٢٨٧
-١٣٤	﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ ﴾	٢٧	٢٨٧
-١٣٥	﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾	٢٨	١٥٣
-١٣٦	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم ﴾	٢٩	٦٤و١٧٣و٣٥٤و٣٧٠
-١٣٧	﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ ﴾	٣٥	٣٠و١٧١و٢٤٦

١٣٨-	﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ ﴾	٤١	١٩١
١٣٩-	﴿ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾	٤٢	١٩١
١٤٠-	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ ﴾	٤٣	٢٨٥
١٤١-	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾	٥٨	٣٥و٥٥و٩٠و١٢٢و١٧٥و٢٣٦و٢٩٧و٣١١و٣٤٤و٣٤٦و٣٥٦و٣٧٥
١٤٢-	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾	٥٩	١٢٢و١٥٧و١٨٩و١٩٧و٢٠٤و٢٧٩و٣٠٦و٣١٥و٣٢٦و٣٤٦
١٤٣-	﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ﴾	٦١	٩٩
١٤٤-	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ ﴾	٦٤	١٩٠
١٤٥-	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ ﴾	٦٥	١٧و٥٥و٤٣و١٩٠و٢٧٧
١٤٦-	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ ﴾	٧١	١٢١و٣٨٨
١٤٧-	﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ ﴾	٧٥	٦٦و٣٨٥
١٤٨-	﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾	٨٠	١٨٩و٢٦٢
١٤٩-	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ﴾	٨٢	٤٩
١٥٠-	﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ﴾	٨٣	١٥٧و١٩١و٢١١و٢٨٠و٣٠٦
١٥١-	﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ﴾	٩٠	٣٤٥
١٥٢-	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ﴾	٩٢	٦٥
١٥٣-	﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾	٩٣	٦٥و٩٢
١٥٤-	﴿ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ ﴾	١٠١	٦٦
١٥٥-	﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	١٠٣	١٧٠
١٥٦-	﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾	١٠٥	١٥و٥٣و١٨١و٢٠٩و٢٧٦و٣١٧
١٥٧-	﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ﴾	١١٢	٣٠٢
١٥٨-	﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ﴾	١١٥	١٥٠و١٩٢و٢٠٣
١٥٩-	﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ﴾	١٢٤	٢٢٨
١٦٠-	﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ ﴾	١٢٧	٢٣٩
١٦١-	﴿ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا ﴾	١٢٨	١٧٢

-١٦٢	﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ﴾	١٢٩	٢٣٨و٢٨٠
-١٦٣	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ﴾	١٣٥	١٢٤و٢٣٧و٢٩٦و٣٥٦و٣٧٥
-١٦٤	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ﴾	١٣٦	٥٩و١٨٨
-١٦٥	﴿ بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾	١٣٨	١٤٧و٣٠٧
-١٦٦	﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾	١٣٩	١٤٧و٣٠٧
-١٦٧	﴿ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ ﴾	١٤١	٣٠٧
-١٦٨	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ ﴾	١٤٤	١٤٧و٣٠٧
-١٦٩	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾	١٥٠	١٦٧
-١٧٠	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ ﴾	١٥٢	١٦٧
-١٧١	﴿ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ﴾	١٦١	٨٤
-١٧٢	﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾	١٦٣	١٦٧
-١٧٣	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾	١٧٠	٣٧٩
-١٧٤	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا ﴾	١٧٤	٥٤
-١٧٥	﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ ﴾	١٧٥	٥٤
	سورة المائدة		
-١٧٦	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾	١	٢٠و١٧٣و٣٦٧
-١٧٧	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ ﴾	٢	١١٥
-١٧٨	﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ﴾	٣	٢٥و١٠٩و١٨٣و٣٦٥و٣٠٧و٣٧٣
-١٧٩	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ ﴾	٦	٢٩٣
-١٨٠	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾	٨	١٧٤و٢٣٧و٣٤٥و٣٥٦و٣٧٤
-١٨١	﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ﴾	١٠	٣٤٤
-١٨٢	﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ ﴾	١٥	٥٤و١١٣و١٣٧
-١٨٣	﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾	١٦	٥٤و١١٣و١٣٧
-١٨٤	﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾	٣٢	٩٢

-١٨٥	﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ ﴾	٣٣	٩١و١٧٤و٢٦٤و٢٩٢و٣١٩
-١٨٦	﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا ﴾	٣٨	٨٤و٩٣و١٧٤و١٩٦و٢٢٩و٣١٩
-١٨٧	﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ ﴾	٤٢	٣٥و١٢٤و٢٣٧و٣٥٦
-١٨٨	﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ ﴾	٤٣	٥٥
-١٨٩	﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ﴾	٤٤	١٩و٥١و١٨١و٢٧٥
-١٩٠	﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ﴾	٤٥	١٩و١٨١
-١٩١	﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾	٤٦	١٩و٥١و٢٧٥
-١٩٢	﴿ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ﴾	٤٧	١٩و١٨١
-١٩٣	﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾	٤٨	٢و١٩و٥٢و١١٤و١٦٤و١٨١و٢٧٥و٣١٧و٣٥٠
-١٩٤	﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ ﴾	٤٩	١٨و١٩و١١٤و١٨١و٢٧٥و٣١٧و٣٥٠
-١٩٥	﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	٥٠	١٦و١٩و١١٤و١٨١و٢٧٥
-١٩٦	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ﴾	٥١	١٤٧و٣٠٧
-١٩٧	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ ﴾	٥٤	١٥١
-١٩٨	﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٥٥	١٤٨و١٦٩و٣٨١
-١٩٩	﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾	٥٦	١٤٨و١٦٩و٣٨١
-٢٠٠	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا ﴾	٥٧	١٦٩
-٢٠١	﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾	٦٤	١١٧
-٢٠٢	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾	٦٧	١٨٩و١٩٤
-٢٠٣	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾	٨٧	١١٠و٣٦٦
-٢٠٤	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ ﴾	٩٠	٦٧و٨٤و١٠٩و٢٨٥و٣٦٥و٣٧١
-٢٠٥	﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ ﴾	٩١	٦٧و٨٤و٢٨٥و٣٧١
-٢٠٦	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ ﴾	٩٥	٣٠٨
-٢٠٧	﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾	٩٩	١٩٤
-٢٠٨	﴿ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ ﴾	١٠٠	١٠٨و٣٦٥

-٢٠٩	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ ﴾	١٠١	٧٣و٢١٧و٢٩٠
-٢١٠	﴿ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ ﴾	١٠٢	٧٣
-٢١١	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ ﴾	١٠٦	١٧٥و٣٦٠
-٢١٢	﴿ فَإِنۡ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسۡتَحَقَّآ إِثۡمٗا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ ﴾	١٠٧	١٧٥
-٢١٣	﴿ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجۡهِهَآ ﴾	١٠٨	١٧٥و٣٦٠
-٢١٤	﴿ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ ﴾	١١٩	٣٠١
	سورة الأنعام		
-٢١٥	﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ ﴾	١	٢٥٨
-٢١٦	﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ ﴾	٣٨	٢و٦و٢٨٣
-٢١٧	﴿ قُلۡ أَرَءَيۡتَكُمۡ إِنۡ أَتَىٰكُمۡ عَذَابُ ٱللَّهِ ﴾	٤٧	٢٤٢
-٢١٨	﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ ﴾	٥٠	٤٩
-٢١٩	﴿ وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾	٥٢	٢٢٣
-٢٢٠	﴿ قُلۡ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبۡتُم بِهِۦۚ مَا عِندِي مَا ﴾	٥٧	١٧و١٧٥و٣١٨
-٢٢١	﴿ وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ ﴾	٨٠	٤٩
-٢٢٢	﴿ وَكَيۡفَ أَخَافُ مَآ أَشۡرَكۡتُمۡ ﴾	٨١	٨٨
-٢٢٣	﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾	٨٢	٨٨و١٩٧
-٢٢٤	﴿ وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ ﴾	٨٣	١٦٧
-٢٢٥	﴿ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ ﴾	٨٤	١٦٧
-٢٢٦	﴿ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَ ﴾	٨٥	١٦٧
-٢٢٧	﴿ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗا ﴾	٨٦	١٦٧
-٢٢٨	﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾	٨٩	٣٨
-٢٢٩	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ فَمُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞۗ ﴾	٩٨	٢٢٥
-٢٣٠	﴿ قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡ ﴾	١٠٤	٢٦٢
-٢٣١	﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾	١٠٥	٢٦٢

-٢٣٢	﴿ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾	١٠٦	٢٦٢
-٢٣٣	﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾	١٠٧	٢٦٢
-٢٣٤	﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا ﴾	١١٤	٣٠و١٨٢
-٢٣٥	﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾	١١٥	١٨٢و٢٨٩و٢٩٩
-٢٣٦	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ ﴾	١٤١	٨٣و١١٠و١٧٧و٣٦٦
-٢٣٧	﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ ﴾	١٤٥	٣٧٠
-٢٣٨	﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾	١٤٨	٥٩و٧٠و٢٦٥و٢٩٧
-٢٣٩	﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ ﴾	١٥١	٦٤و٩٢
-٢٤٠	﴿ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ﴾	١٥٢	٢٣٩
-٢٤١	﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾	١٥٣	٢٨٣
-٢٤٢	﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ ﴾	١٥٥	١٧٩
-٢٤٣	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ ﴾	١٥٩	١٥٠
-٢٤٤	﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ ﴾	١٦٤	١٧٦
-٢٤٥	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾	١٦٥	٤٤
	سورة الأعراف		
-٢٤٦	﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾	٣١	٦٥و١١١و٢٨٠و٣٣٢
-٢٤٧	﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾	٣٣	٧٢
-٢٤٨	﴿ قَالَ ٱدْخُلُواْ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم ﴾	٣٨	٢٢٩
-٢٤٩	﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	٥٤	١٥٥و١٦٦
-٢٥٠	﴿ وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ﴾	٥٦	١١٦
-٢٥١	﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ ﴾	٧٥	١٣٢و٢٢١
-٢٥٢	﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ ﴾	٧٦	١٣٢و٢٢١
-٢٥٣	﴿ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ ﴾	٨٦	١١٨
-٢٥٤	﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ ﴾	٩٦	٨٨

-٢٥٥	﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا ﴾	٩٧	٨٨
-٢٥٦	﴿ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى ﴾	٩٨	٨٨
-٢٥٧	﴿ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ﴾	٩٩	٨٨
-٢٥٨	﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ ﴾	١٠٣	١١٨
-٢٥٩	﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴾	١٠٩	٣٣٥
-٢٦٠	﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾	١١٠	٣٣٥
-٢٦١	﴿ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴾	١١١	٣٣٥
-٢٦٢	﴿ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾	١١٢	٣٣٥
-٢٦٣	﴿ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ ﴾	١٢٧	٣٣٥
-٢٦٤	﴿ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا ﴾	١٤٢	٩٥
-٢٦٥	﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ ﴾	١٥٧	١٠٩و٣٦٥و٣٧٣
-٢٦٦	﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾	١٥٨	١٨٨و٢٦٨
-٢٦٧	﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾	١٧٢	٥٧
-٢٦٨	﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾	١٧٦	١٧٠
-٢٦٩	﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ ﴾	١٨٥	٢٠٩و٢٥٧
-٢٧٠	﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾	١٨٩	١٢٨
-٢٧١	﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾	١٩١	١٦٨
-٢٧٢	﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾	١٩٢	١٦٨
-٢٧٣	﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ ۚ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ﴾	١٩٣	١٦٨
-٢٧٤	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾	١٩٤	١٦٨
-٢٧٥	﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ ﴾	١٩٥	١٦٨
-٢٧٦	﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ﴾	١٩٨	٢٢٥
-٢٧٧	﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾	١٩٩	١٦٩ و ٣١٢
	سورة الأنفال		

-٢٧٨	﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ وَلِتَطۡمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمۡ ﴾	١٠	٩٠
-٢٧٩	﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةٗ مِّنۡهُ ﴾	١١	٩٠
-٢٨٠	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ ﴾	١٣	١٩٢
-٢٨١	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ﴾	١٥	٣٢٠
-٢٨٢	﴿ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا ﴾	١٦	٣٢٠
-٢٨٣	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾	٢٠	١٨٩
-٢٨٤	﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ ﴾	٢٦	٨٦
-٢٨٥	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ ﴾	٢٧	١٢٣و٢٩٧و٣١١و٣٢٣
-٢٨٦	﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ ﴾	٣٩	٦٢و٣٢١و٣٨٤
-٢٨٧	﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ ﴾	٤١	١٧٨و٣٢٢
-٢٨٨	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةٗ فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ﴾	٤٥	٣٢١
-٢٨٩	﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾	٤٦	١٥٠و١٨٩و٢٧١
-٢٩٠	﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾	٥٥	١٧٦و٣٧٧و٣٨٧
-٢٩١	﴿ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ ﴾	٥٦	١٧٦و٣٧٧و٣٨٧
-٢٩٢	﴿ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم ﴾	٥٧	١٧٦و٣٨٧
-٢٩٣	﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ ﴾	٥٨	١٢٠و١٧٦و٣٢١و٣٨٧
-٢٩٤	﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾	٦٠	٤٩و٦٣و١٢١و٢٩١و٣٢١
-٢٩٥	﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ ﴾	٦١	١٧٦و٢٤٥
-٢٩٦	﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ ﴾	٦٢	١٤٥
-٢٩٧	﴿ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ ﴾	٦٣	١٤٥و٢٧٠
-٢٩٨	﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ ﴾	٦٧	٢١٢
-٢٩٩	﴿ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ ﴾	٦٩	٣٢٢
-٣٠٠	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ ﴾	٧٢	٦٦و١٤٩و١٧٦و٣٨٢
-٣٠١	﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ ﴾	٧٣	١٤٩و٣٨٥

	سورة التوبة		
-٣٠٢	﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾	٤	١٧٦و٣٤٥و٣٧٧
-٣٠٣	﴿ وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ ﴾	١٢	٣٨٧
-٣٠٤	﴿ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّواْ ﴾	١٣	١٢٠و٣٢١و٣٨٧
-٣٠٥	﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ ﴾	١٤	٣٢١و٣٨٧
-٣٠٦	﴿ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ ﴾	١٥	٣٢١و٣٨٧
-٣٠٧	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ ﴾	٢٣	١٤٧
-٣٠٨	﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾	٢٩	١٩٢و٣٢١
-٣٠٩	﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا ﴾	٣١	١٨
-٣١٠	﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا ﴾	٣٦	١٢٠و٣٨٦
-٣١١	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى ﴾	٣٨	٣١٦و٣٨٦
-٣١٢	﴿ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾	٣٩	٣١٦و٣٨٦
-٣١٣	﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ ﴾	٤٠	٣٨٦
-٣١٤	﴿ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ ﴾	٤١	٣١٦و٣٨٦
-٣١٥	﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ ﴾	٤٣	٢١٣
-٣١٦	﴿ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا ﴾	٦٠	١٧٧و٢٩٤و٣٢٢و٣٦٦و٣٨٨
-٣١٧	﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ ﴾	٧١	١٤١و١٤٩و٣٥١
-٣١٨	﴿ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ ﴾	٧٧	١٧٥و ٣٠٢
-٣١٩	﴿ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ ﴾	٨٨	٣١٦
-٣٢٠	﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ ﴾	٩١	٣١٦
-٣٢١	﴿ وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾	١٠٥	١٠٧و٣١٤
-٣٢٢	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾	١١١	٣٨٩
-٣٢٣	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	١١٩	٣٠١
-٣٢٤	﴿ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ﴾	١٢٢	٢١١

-٣٢٥	﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ ﴾	١٢٨	٣١٢
	سورة يونس		
-٣٢٦	﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ﴾	٤	٢٣٥
-٣٢٧	﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾	١٣	٩٧
-٣٢٨	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	١٤	٩٧
-٣٢٩	﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ ﴾	٣١	٥٩
-٣٣٠	﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ ﴾	٣٢	٥٩
-٣٣١	﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ ﴾	٣٩	١١٨
-٣٣٢	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ﴾	٤٧	٢٣٥
-٣٣٣	﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٥٤	٢٣٥
-٣٣٤	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ ﴾	٥٧	١٦٥
-٣٣٥	﴿ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴾	٦٩	٣٠٢
-٣٣٦	﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ ﴾	٩٩	٦٢و٢٦٢و٣٧٦
-٣٣٧	﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ﴾	١٠٨	٣٧٩
-٣٣٨	﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾	١٠٩	٢٠و٣٨٤
	سورة هود		
-٣٣٩	﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾	١	٣٧و١٦٤
-٣٤٠	﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا ﴾	٦	١٠٦و٢٦٣
-٣٤١	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾	١٨	٢٤٠
-٣٤٢	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾	٢٥	١٣٢
-٣٤٣	﴿ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾	٢٦	١٣٢
-٣٤٤	﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ ﴾	٢٧	١٣٢و٢٢١
-٣٤٥	﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى ﴾	٢٨	١٣٢
-٣٤٦	﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾	٢٩	١٣٢

-٣٤٧	﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ﴾	٤٩	٣٨٣
-٣٤٨	﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا ﴾	٥٠	٩٩
-٣٤٩	﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾	٦١	٢٥٥
-٣٥٠	﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	٨٤	١٣٢و٣٦٨
-٣٥١	﴿ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ﴾	٨٥	١٣٢و٢٣٨و٣٣٣و٣٦٨
-٣٥٢	﴿ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	٨٦	١٣٢
-٣٥٣	﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	١١٥	٣٨٤
	سورة يوسف		
-٣٥٤	﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	٢	٦٩
-٣٥٥	﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ﴾	٣	١٧٠
-٣٥٦	﴿ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ ﴾	٢٥	٣٥٨
-٣٥٧	﴿ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ ﴾	٢٦	٣٥٨
-٣٥٨	﴿ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾	٢٧	٣٥٨
-٣٥٩	﴿ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ﴾	٢٨	٣٥٨
-٣٦٠	﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ﴾	٣٣	٣٥٨
-٣٦١	﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾	٣٤	٣٥٨
-٣٦٢	﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴾	٣٥	٣٥٨
-٣٦٣	﴿ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ ﴾	٤٠	١٦و٣٦و١٥٤و١٧٥و٢٧٦
-٣٦٤	﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ ﴾	٤٣	١٥٦
-٣٦٥	﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ ﴾	٥٠	٣٥٨
-٣٦٦	﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ﴾	٥١	٣٥٨
-٣٦٧	﴿ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴾	٥٢	٣٥٨
-٣٦٨	﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾	٥٣	٣٥٨
-٣٦٩	﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ ﴾	٥٤	٣٤٨و٣٥٨

-٣٧٠	﴿ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴾	٥٥	٣٠٩و٣٤٧و٣٥٨
-٣٧١	﴿ وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ ﴾	٦٧	١٦و١٧٥و٢٧٦
-٣٧٢	﴿ قَالُواْ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمۡلُ بَعِيرٖ ﴾	٧٢	٣٧٠
-٣٧٣	﴿ فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَبَوَيۡهِ وَقَالَ ٱدۡخُلُواْ ﴾	٩٩	٨٧
-٣٧٤	﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي ﴾	١٠٨	٦١و١٤٤
-٣٧٥	﴿ لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾	١١١	١٦٢و١٧٠
	سورة الرعد		
-٣٧٦	﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ ﴾	١٩	١٠٤و١٣٤و٣٧٨
-٣٧٧	﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلۡمِيثَٰقَ ﴾	٢٠	١٠٤و١٣٤و٣٧٨
-٣٧٨	﴿ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ﴾	٢١	١٠٤و١٣٤و٣٧٨
-٣٧٩	﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ ﴾	٢٢	١٠٤و١٣٤و٣٧٨
-٣٨٠	﴿ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ ﴾	٢٣	١٠٤و١٣٤و٣٧٨
-٣٨١	﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾	٢٤	١٠٤و١٣٤و٣٧٨
-٣٨٢	﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ ﴾	٢٥	٣٧٧
-٣٨٣	﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ ﴾	٣١	١٥٥
-٣٨٤	﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ حُكۡمًا عَرَبِيّٗا ﴾	٣٧	٣٦
-٣٨٥	﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ نَنقُصُهَا مِنۡ أَطۡرَافِهَا ﴾	٤١	٢٠و٣٤و١٥٤
	سورة إبراهيم		
-٣٨٦	﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ ﴾	١	١٦٥
-٣٨٧	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم ﴾	١٣	٢٤٠
-٣٨٨	﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ﴾	٢٢	٢٤٠
-٣٨٩	﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾	٣٢	٨٠و٢٥٦
-٣٩٠	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ ﴾	٣٣	٨٠و٢٥٦
-٣٩١	﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ ﴾	٣٤	٢٥٦

-٣٩٢	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا ﴾	٣٥	٨٦
	سورة الحجر		
-٣٩٣	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾	١٠	٨٣و١٦٤
-٣٩٤	﴿ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا ﴾	١٩	٨٠و١٠٨
-٣٩٥	﴿ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴾	٢٠	٨٠و١٠٨
-٣٩٦	﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾	٢١	٨٠و١٠٨
-٣٩٧	﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ ﴾	٢٢	٨٠و١٠٨
-٣٩٨	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾	٢٦	١٢٨
-٣٩٩	﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴾	٢٧	١٢٨
-٤٠٠	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا ﴾	٢٨	١٢٨
-٤٠١	﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾	٢٩	١٢٨
-٤٠٢	﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾	٣٠	١٢٨
-٤٠٣	﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾	٣١	١٢٨
-٤٠٤	﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴾	٤٦	٩٠
-٤٠٥	﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾	٨٥	٣٨٣
-٤٠٦	﴿ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ ﴾	٨٨	١٦٩و٣١٣
	سورة النحل		
-٤٠٧	﴿ وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ ﴾	٥	٨٠
-٤٠٨	﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾	٦	٨٠
-٤٠٩	﴿ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ﴾	٧	٨٠
-٤١٠	﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ﴾	٨	٨٠
-٤١١	﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ ﴾	٩	٨٠
-٤١٢	﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ۖ لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ ﴾	١٠	٨٠
-٤١٣	﴿ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ ﴾	١١	٨٠و٢١٠

٤١٤-	﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ ﴾	١٢	٨٠و٢١٠
٤١٥-	﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓ ﴾	١٣	٨٠
٤١٦-	﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا ﴾	١٤	٨٠و١٧٧
٤١٧-	﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾	٣٦	٩٩
٤١٨-	﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ ﴾	٤٣	٢١٢و٢٨٠
٤١٩-	﴿ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ ﴾	٤٤	١٩٥
٤٢٠-	﴿ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ ﴾	٥١	٢٦٣
٤٢١-	﴿ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِي ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ ﴾	٦٤	١٩٥
٤٢٢-	﴿ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ ﴾	٦٥	١٠٨
٤٢٣-	﴿ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ ﴾	٦٦	١٠٨
٤٢٤-	﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ ﴾	٦٧	١٠٨و٢٨٥
٤٢٥-	﴿ وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا ﴾	٦٨	١٠٨
٤٢٦-	﴿ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗا ﴾	٦٩	١٠٨
٤٢٧-	﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ ﴾	٧٢	٧٤و١٢٩
٤٢٨-	﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلَيۡنِ أَحَدُهُمَآ أَبۡكَمُ ﴾	٧٦	٢٣٤
٤٢٩-	﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾	٧٨	٢٥٦
٤٣٠-	﴿ وَيَوۡمَ نَبۡعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٖ شَهِيدًا عَلَيۡهِم مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ وَجِئۡنَا ﴾	٨٩	٢و١٥و١٦٢و١٧٩و٢٦٨و٢٨٣
٤٣١-	﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ ﴾	٩٠	٨٩و١٠٤و٢٣٥و٢٩٣
٤٣٢-	﴿ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلۡأَيۡمَٰنَ ﴾	٩١	٣٧٨
٤٣٣-	﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ ﴾	٩٧	٨٩
٤٣٤-	﴿ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾	١٠٥	٣٠٢
٤٣٥-	﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ ﴾	١١٢	٨٧
٤٣٦-	﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلۡسِنَتُكُمُ ٱلۡكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٞ ﴾	١١٦	١١٠
٤٣٧-	﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾	١٢٥	٦١و٢٦٥و٣٢٩

-٤٣٨	﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ ﴾	١٢٦	٢٨١و٣٤٥
	سورة الإسراء		
-٤٣٩	﴿ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ ﴾	٧	٢٣٦
-٤٤٠	﴿ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا ﴾	٨	٢٣٦
-٤٤١	﴿ إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾	٩	٤و٧٩و١٦٤و٢٣٦
-٤٤٢	﴿ مَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ﴾	١٥	١٧٦
-٤٤٣	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾	٢٣	٤٣
-٤٤٤	﴿ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ ﴾	٢٦	٨٣و١١١و٣٣٣
-٤٤٥	﴿ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ۖ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ ﴾	٢٧	١١١و٣٣٣
-٤٤٦	﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾	٢٩	٨٣و١١١و٣٣٣
-٤٤٧	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ ﴾	٣١	٦٤و١١٧و٣٥١
-٤٤٨	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا ۖ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾	٣٢	٧٥و٩٣و١١٧و٣٥١
-٤٤٩	﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾	٣٣	١١٧و٣٥١
-٤٥٠	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ ﴾	٣٤	٩٠و١١٧و٣٥١و٣٧٨
-٤٥١	﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾	٣٥	٨٣و٢٣٨و٣٥١
-٤٥٢	﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ ﴾	٣٦	٧٢و٣٥١
-٤٥٣	﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ ﴾	٣٧	٣٥١
-٤٥٤	﴿ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴾	٣٨	٣٥١
-٤٥٥	﴿ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾	٣٩	٣٥١
-٤٥٦	﴿ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴾	٤٠	٣٥١
-٤٥٧	﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾	٤١	٣٥١
-٤٥٨	﴿ قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴾	٤٢	٣٥١
-٤٥٩	﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾	٤٣	٣٥١
-٤٦٠	﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾	٤٤	٣٥١

-٤٦١	﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ ﴾	٤٥	٣٥١
-٤٦٢	﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ ﴾	٤٦	٣٥١
-٤٦٣	﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ ﴾	٤٧	٣٥١
-٤٦٤	﴿ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ ﴾	٤٨	٣٥١
-٤٦٥	﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٥٥	١٦٧
-٤٦٦	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴾	٧٠	٢٥٣و٣٤٦
-٤٦٧	﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ﴾	٧٧	١٨٤
-٤٦٨	﴿ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ ﴾	٨٠	٣٠٠
-٤٦٩	﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ ﴾	٨٢	١٦٥
-٤٧٠	﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى ﴾	٨٥	٧٣
-٤٧١	﴿ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾	١٠٥	١٨٠
	سورة الكهف		
-٤٧٢	﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٢٦	٢٠
-٤٧٣	﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم ﴾	٢٨	٢٢٤
-٤٧٤	﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن ﴾	٢٩	٦٢و٢٦١
-٤٧٥	﴿ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ ﴾	٧٧	٣٦٩
-٤٧٦	﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ﴾	٨٣	٣٣٩
-٤٧٧	﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴾	٨٤	٣٣٩
-٤٧٨	﴿ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴾	٨٥	٣٣٩
-٤٧٩	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ ﴾	٨٦	٣٣٩
-٤٨٠	﴿ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ ﴾	٨٧	٣٣٩
-٤٨١	﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ ﴾	٨٨	٣٣٩
-٤٨٢	﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾	٨٩	٣٣٩
-٤٨٣	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ ﴾	٩٠	٣٣٩

-٤٨٤	﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾	٩١	٣٣٩
-٤٨٥	﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾	٩٢	٣٣٩
-٤٨٦	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا ﴾	٩٣	٣٣٩
-٤٨٧	﴿ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٩٤	٣٣٩
-٤٨٨	﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾	٩٥	٣٣٩
-٤٨٩	﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ ﴾	٩٦	٣٣٩
-٤٩٠	﴿ فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾	٩٧	٣٣٩
-٤٩١	﴿ قَالَ هَـٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ﴾	٩٨	٣٣٩
	سورة طه		
-٤٩٢	﴿ وَٱجْعَل لِّى وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِى ﴾	٢٩	٣٤٦
-٤٩٣	﴿ هَـٰرُونَ أَخِى ﴾	٣٠	٣٤٦
-٤٩٤	﴿ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴾	٣١	٣٤٦
-٤٩٥	﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ ﴾	٥٣	٦٩
-٤٩٦	﴿ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴾	٥٤	٦٩
-٤٩٧	﴿ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾	٩٨	٢٦٨
-٤٩٨	﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾	١١٠	٧٣
-٤٩٩	﴿ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ ﴾	١١٤	٦٨
-٥٠٠	﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾	١١٥	١٢٩
-٥٠١	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴾	١١٦	١٢٩
-٥٠٢	﴿ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا ﴾	١١٧	١٢٩
-٥٠٣	﴿ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴾	١١٨	١٢٩
-٥٠٤	﴿ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴾	١١٩	١٢٩
-٥٠٥	﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ ﴾	١٢٠	١٢٩
-٥٠٦	﴿ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾	١٢١	١٢٩

-٥٠٧	﴿ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴾	١٢٢	١٢٩
-٥٠٨	﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ﴾	١٢٣	٥٥و١٢٦و١٢٩و١٦٥و٢٨٤
-٥٠٩	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ ﴾	١٢٤	٥٥و١٢٦و١٢٩و٢٨٤
-٥١٠	﴿ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾	١٢٥	٥٥و١٢٦و١٢٩
-٥١١	﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾	١٢٦	٥٥و١٢٦و١٢٩
	سورة الأنبياء		
-٥١٢	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾	٧	٢١٢
-٥١٣	﴿ لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ﴾	١٠	١٨٣
-٥١٤	﴿ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾	١٩	١٦٦
-٥١٥	﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾	٢٠	١٦٦
-٥١٦	﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴾	٢١	٧٠و٢٨٤
-٥١٧	﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ ﴾	٢٢	٧٠و٢٨٤
-٥١٨	﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ ۖ هَٰذَا ذِكْرُ ﴾	٢٤	٢٦٥
-٥١٩	﴿ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	٥٩	٣٥٩
-٥٢٠	﴿ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾	٦٠	٣٥٩
-٥٢١	﴿ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾	٦١	٣٥٩
-٥٢٢	﴿ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾	٦٢	٣٥٩
-٥٢٣	﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ ﴾	٦٣	٣٥٩
-٥٢٤	﴿ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾	٦٤	٣٥٩
-٥٢٥	﴿ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴾	٦٥	٣٥٩
-٥٢٦	﴿ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ ﴾	٦٦	٣٥٩
-٥٢٧	﴿ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	٦٧	٣٥٩
-٥٢٨	﴿ قَالُوا۟ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓا۟ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾	٦٨	٣٥٩
-٥٢٩	﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾	٦٩	٣٥٩

-٥٣٠	﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ ﴾	٧٣	٤٥و١١٥
-٥٣١	﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ ﴾	٧٨	٢١٢و٣٥٧
-٥٣٢	﴿ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾	٧٩	٢١٢و٣١٠و٣٥٧
-٥٣٣	﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ ﴾	٨٠	٣٣٧
-٥٣٤	﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾	٩٢	٢٦٩و٣٨٠
-٥٣٥	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾	١٠٧	٣٢٦و٣٣٠و٣٤٩ و٤١٧و٤٢٠
	سورة الحج		
-٥٣٦	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ ﴾	١	٣٧٩
-٥٣٧	﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾	٣٠	٣٠٢
-٥٣٨	﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾	٣٢	١٠٣
-٥٣٩	﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ ﴾	٣٩	٦٢و١١٩و٣٨٤
-٥٤٠	﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ﴾	٤٠	٦٢و١١٩و٣٨٤
-٥٤١	﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ﴾	٤١	١٠٠و٣١٨
-٥٤٢	﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ ﴾	٤٦	٧١
-٥٤٣	﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ﴾	٥٢	٣٨
-٥٤٤	﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ ﴾	٦٥	٢١٠
-٥٤٥	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ ﴾	٧٧	١٠٣و١١٥
	سورة المؤمنون		
-٥٤٦	﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾	١٢	٢١٠و٢١٣
-٥٤٧	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾	١٣	٢١٠و٢١٣
-٥٤٨	﴿ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً ﴾	١٤	٢١٠و٢١٣
-٥٤٩	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾	٥١	١٠٩
-٥٥٠	﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾	٥٢	٢٦٩و٣٨٠
-٥٥١	﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	٨٤	١٦٩

-٥٥٢	﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾	٨٥	١٦٩
-٥٥٣	﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾	٨٦	١٦٩
-٥٥٤	﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾	٨٧	١٦٩
-٥٥٥	﴿ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾	٨٨	١٦٩
-٥٥٦	﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴾	٨٩	١٦٩
-٥٥٧	﴿ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾	٩٠	١٦٩
-٥٥٨	﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ﴾	٩١	٧٠
	سورة النور		
-٥٥٩	﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِاْئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا ﴾	٢	٧٦و٩٣و١٧٤و٣١٩
-٥٦٠	﴿ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ﴾	٣	٧٧و٩٣و٢٢٩و٣١٩
-٥٦١	﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ ﴾	٤	٧٦و٩٣و١٧٤و٢١٩
-٥٦٢	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا ﴾	١١	٢٨٦
-٥٦٣	﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا ﴾	١٢	٢٨٦
-٥٦٤	﴿ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾	١٣	١٧٥و٢٨٦
-٥٦٥	﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾	١٤	٢٨٦
-٥٦٦	﴿ إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم ﴾	١٥	٢٨٦
-٥٦٧	﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا ﴾	١٦	٢٨٦
-٥٦٨	﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	١٧	٢٨٦
-٥٦٩	﴿ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾	١٨	٢٨٦
-٥٧٠	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾	١٩	٧٧
-٥٧١	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾	٢٣	٧٨
-٥٧٢	﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	٢٤	٧٨
-٥٧٣	﴿ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴾	٢٥	٧٨
-٥٧٤	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾	٢٧	٧٦

-٥٧٥	﴿ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾	٢٨	٧٦
-٥٧٦	﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ ﴾	٢٩	٧٦
-٥٧٧	﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ﴾	٣٠	٧٥
-٥٧٨	﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴾	٣١	٧٥
-٥٧٩	﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ ﴾	٣٢	١٧٢
-٥٨٠	﴿ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾	٤٨	١٩٣
-٥٨١	﴿ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴾	٤٩	١٩٣
-٥٨٢	﴿ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾	٥٠	١٩٣
-٥٨٣	﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ ﴾	٥٤	١٨٩و١٩٠و١٩٧
-٥٨٤	﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ﴾	٥٥	٨٩و١٠١
-٥٨٥	﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾	٥٦	١٧٠و١٨٩و١٩٤و٣١٨
-٥٨٦	﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ ﴾	٦١	٦٩
-٥٨٧	﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾	٦٢	١٨٧
-٥٨٨	﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ﴾	٦٣	١٩٢
	سورة الفرقان		
-٥٨٩	﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا ﴾	٦٣	١١٠و١٣٥و١٦٩و٣١٣و٣٥١
-٥٩٠	﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾	٦٤	١١٠و١٣٥و٣٥١
-٥٩١	﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ﴾	٦٥	١١٠و١٣٥و٣٥١
-٥٩٢	﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾	٦٦	١١٠و١٣٥و٣٥١
-٥٩٣	﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ ﴾	٦٧	٨٣و١١٠و١٣٥و٢٨٠و٣٥١
-٥٩٤	﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا ﴾	٧٢	١٦٩و٣٩٣و٣٥١
-٥٩٥	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا۟ ﴾	٧٥	١٣٥
-٥٩٦	﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾	٧٦	١٣٥
	سورة الشعراء		

-٥٩٧	﴿ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي ﴾	٢١	٣٩
-٥٩٨	﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾	٢٢	٢٤٧و٢٦٠
-٥٩٩	﴿ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴾	٣٠	٢٤٧
-٦٠٠	﴿ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾	٣١	٢٤٧
-٦٠١	﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾	٣٢	٢٤٧
-٦٠٢	﴿ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴾	٣٣	٢٤٧
-٦٠٣	﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴾	٣٤	٢٤٧
-٦٠٤	﴿ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴾	٣٥	٢٤٧
-٦٠٥	﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾	١٠٧	٨٩و٣١١و٣٤٨
-٦٠٦	﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾	١٠٨	٨٩
-٦٠٧	﴿ قَالُوا أَنُؤْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ ﴾	١١١	٢٢١و٢٢٧
-٦٠٨	﴿ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾	١١٢	٢٢١
-٦٠٩	﴿ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴾	١١٣	٢٢١
-٦١٠	﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ ﴾	١٢٣	١٣٣
-٦١١	﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾	١٢٤	١٣٣
-٦١٢	﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾	١٢٥	١٣٣
-٦١٣	﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾	١٢٦	١٣٣
-٦١٤	﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	١٢٧	١٣٣
-٦١٥	﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴾	١٢٨	١١١و١٣٣
-٦١٦	﴿ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾	١٢٩	١١١و١٣٣
-٦١٧	﴿ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾	١٣٠	١١١و١٣٣
-٦١٨	﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾	١٣١	١٣٣
-٦١٩	﴿ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴾	١٣٢	١٣٣
-٦٢٠	﴿ أَمَدَّكُم بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ﴾	١٣٣	١٣٣

-٦٢١	﴿ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾	١٣٤	١٣٣
-٦٢٢	﴿ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾	١٣٥	١٣٣
-٦٢٣	﴿ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴾	١٤٦	٨٨
-٦٢٤	﴿ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴾	١٤٧	٨٨
-٦٢٥	﴿ وَزُرُوعٖ وَنَخۡلٖ طَلۡعُهَا هَضِيمٞ ﴾	١٤٨	٨٨
-٦٢٦	﴿ وَتَنۡحِتُونَ مِنَ ٱلۡجِبَالِ بُيُوتٗا فَٰرِهِينَ ﴾	١٤٩	٨٨
-٦٢٧	﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴾	١٥٠	٨٨
-٦٢٨	﴿ وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴾	١٥١	٨٨و٣٣٣
-٦٢٩	﴿ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴾	١٥٢	٨٨و٣٣٣
-٦٣٠	﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	٢١٥	٣١٣
	سورة النمل		
-٦٣١	﴿ وَوَرِثَ سُلَيۡمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ ﴾	١٦	٣١٣و٣٣٨
-٦٣٢	﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيۡمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ وَٱلطَّيۡرِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ﴾	١٧	٣٣٨
-٦٣٣	﴿ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ ﴾	٢٠	٢٩٨و٢١٤
-٦٣٤	﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي ﴾	٢١	٢٩٨و٢١٤
-٦٣٥	﴿ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ ﴾	٢٢	٣١٣
-٦٣٦	﴿ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ ﴾	٢٣	٤٢
-٦٣٧	﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾	٢٧	٣١٣و٣٣٨
-٦٣٨	﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴾	٢٨	٣٣٨
-٦٣٩	﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ ﴾	٢٩	١٥٧و٢٤٦و٣٣٨
-٦٤٠	﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾	٣٠	١٥٧و٢٤٦و٣٣٨
-٦٤١	﴿ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ﴾	٣١	١٥٧و٢٤٦و٣٣٨
-٦٤٢	﴿ قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمۡرًا ﴾	٣٢	١٥٧و٢٤٦
-٦٤٣	﴿ قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي ﴾	٣٣	١٥٧و٢٤٦

-٦٤٤	﴿ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا ﴾	٣٤	١٥٧و٢٤٦
-٦٤٥	﴿ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾	٣٥	٢٤٦
-٦٤٦	﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ ﴾	٣٦	٣١٤
-٦٤٧	﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴾	٣٧	٣١٤
-٦٤٨	﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ﴾	٣٩	٣١١و٣٨٤
-٦٤٩	﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾	٤٨	١١٧
-٦٥٠	﴿ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ﴾	٤٩	١١٧
-٦٥١	﴿ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾	٥٠	١١٧
-٦٥٢	﴿ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ ﴾	٥١	١١٧
-٦٥٣	﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾	٥٢	١١٧و٣٣٦
-٦٥٤	﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾	٦٢	٤٤و٢٥٥
-٦٥٥	﴿ أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ ﴾	٦٤	٧٠
-٦٥٦	﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾	٦٥	٧١
	سورة القصص		
-٦٥٧	﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ ﴾	٤	٢٢٢و٢٦٠و٣٣٥
-٦٥٨	﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ ﴾	٥	٤٥و٢٢٢
-٦٥٩	﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ ﴾	٢٦	٨٩و٣١٠و٣٤٨و٣٦٩
-٦٦٠	﴿ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ﴾	٢٧	١٠٦و٣٦٩
-٦٦١	﴿ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ ﴾	٢٨	١٠٦و٣٦٩
-٦٦٢	﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم ﴾	٣٨	٣٣٥
-٦٦٣	﴿ وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا ﴾	٣٩	٣٣٥
-٦٦٤	﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ ﴾	٤٠	١١٨و٣٣٥
-٦٦٥	﴿ وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ﴾	٥٧	٨٥و٣٢٠
-٦٦٦	﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا ﴾	٥٩	٢٤٢

-٦٦٧	﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ ﴾	٧٠	٢٠
-٦٦٨	﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا ﴾	٧٢	٤٩
-٦٦٩	﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ ﴾	٧٦	١١٢و١٣٤
-٦٧٠	﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ ﴾	٧٧	١١٢و١٣٤و٢٨١
-٦٧١	﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ ﴾	٧٨	١١٢و١٣٤
-٦٧٢	﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ﴾	٧٩	١١٢
-٦٧٣	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ ﴾	٨٠	١١٢
-٦٧٤	﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ ﴾	٨١	١١٢و١٣٤
-٦٧٥	﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ ﴾	٨٢	١١٢
-٦٧٦	﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٨٣	١١٢
	سورة العنكبوت		
-٦٧٧	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ﴾	١٩	٧٢
-٦٧٨	﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ﴾	٢٠	٧٢و٢٠٩
-٦٧٩	﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ ﴾	٢٨	١٣٣
-٦٨٠	﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ ﴾	٢٩	١٣٣
-٦٨١	﴿ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾	٣٠	١٣٣
-٦٨٢	﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ﴾	٣٨	١٠١
-٦٨٣	﴿ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ ﴾	٣٩	١٠١
-٦٨٤	﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ﴾	٤٠	١٠١
-٦٨٥	﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾	٤٦	٢٦٦
-٦٨٦	﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ ﴾	٦٧	٨٥
-٦٨٧	﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ ﴾	٦٨	٣٠٢
	سورة الروم		
-٦٨٨	﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾	٨	٢٠٩و٢٥٧

٦٨٩-	﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ ﴾	٢٠	٢٢٥
٦٩٠-	﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ ﴾	٢١	٧٤و١٢٩
٦٩١-	﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	٢٢	٢٢٥و١٢٩و٢٨٢و٣٧٨
٦٩٢-	﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ ﴾	٣٠	٥٨و٢٥٥
٦٩٣-	﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾	٣١	١٥٠
٦٩٤-	﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ﴾	٣٢	١٥٠
٦٩٥-	﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ﴾	٣٩	٨٢
٦٩٦-	﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ﴾	٦٠	٣٨٣
	سورة لقمان		
٦٩٧-	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَـٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَـٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ﴾	١٣	١٩٧
٦٩٨-	﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ﴾	١٨	١٠٥
٦٩٩-	﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ ﴾	١٩	١٠٥
٧٠٠-	﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ ﴾	٢٠	٢١٠و٢٥٦
	سورة الأحزاب		
٧٠١-	﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	٢١	١٨٨
٧٠٢-	﴿ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ ﴾	٢٤	٣٠١
٧٠٣-	﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾	٢٦	٣٨٧
٧٠٤-	﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ﴾	٢٧	٣٨٧
٧٠٥-	﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ ﴾	٣٢	٧٦
٧٠٦-	﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ﴾	٣٣	١٩٠
٧٠٧-	﴿ إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَـٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ ﴾	٣٥	٢٢٨
٧٠٨-	﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ ﴾	٣٦	١٧و١٩٢و٢٧٧
٧٠٩-	﴿ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ﴾	٣٨	٢٢٩
٧١٠-	﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾	٤٠	٣٧٢

-٧١١	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	٥٩	٧٦
-٧١٢	﴿ يَوۡمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيۡتَنَآ ﴾	٦٦	٢٢٢
-٧١٣	﴿ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾	٦٧	٢٢٢
	سورة سبأ		
-٧١٤	﴿ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضۡلٗاۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ ﴾	١٠	١٠٦
-٧١٥	﴿ أَنِ ٱعۡمَلۡ سَٰبِغَٰتٖ وَقَدِّرۡ فِي ٱلسَّرۡدِۖ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾	١١	١٠٦
-٧١٦	﴿ لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖ ﴾	١٥	١٣٣
-٧١٧	﴿ فَأَعۡرَضُواْ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ﴾	١٦	١٣٣
-٧١٨	﴿ ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ﴾	١٧	١٣٣
-٧١٩	﴿ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ ٱلۡقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَا قُرٗى ظَٰهِرَةٗ ﴾	١٨	٨٧
-٧٢٠	﴿ فَقَالُواْ رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾	١٩	٨٧
-٧٢١	﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾	٢٨	٣٧٢
-٧٢٢	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ ﴾	٣١	٢٢٢
-٧٢٣	﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ ﴾	٣٢	٢٢٢
-٧٢٤	﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ ﴾	٣٣	٢٢٢
-٧٢٥	﴿ وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾	٣٥	٢٢٢و٢٢٧
-٧٢٦	﴿ وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ ﴾	٣٧	٢٢٧
	سورة فاطر		
-٧٢٧	﴿ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ وَإِن تَدۡعُ مُثۡقَلَةٌ إِلَىٰ حِمۡلِهَا ﴾	١٨	١٧٦
-٧٢٨	﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ﴾	٢٧	٢٨٢
-٧٢٩	﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ ﴾	٢٨	٢٥٧و٢٨٢
-٧٣٠	﴿ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ ﴾	٤٣	١٨٤
	سورة يس		
-٧٣١	﴿ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا ﴾	٧١	٧٢

-٧٣٢	﴿ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴾	٧٢	٧٢
-٧٣٣	﴿ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴾	٧٣	٧٢
	سورة الصافات		
-٧٣٤	﴿ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴾	٣٠	٤٠
-٧٣٥	﴿ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾	٧١	١٠٢
-٧٣٦	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴾	٧٢	١٠٢
-٧٣٧	﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾	٧٣	١٠٢
-٧٣٨	﴿ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴾	١٦٤	١٦٦
-٧٣٩	﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴾	١٦٥	١٦٦
-٧٤٠	﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴾	١٦٦	١٦٦
	سورة ص		
-٧٤١	﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾	١٧	٣٣٧
-٧٤٢	﴿ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴾	١٨	٣٣٧
-٧٤٣	﴿ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾	١٩	٣٣٧
-٧٤٤	﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴾	٢٠	٣٣٧
-٧٤٥	﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴾	٢١	٣٥٧
-٧٤٦	﴿ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ ﴾	٢٢	٣٥٧
-٧٤٧	﴿ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴾	٢٣	٣٥٧
-٧٤٨	﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ﴾	٢٤	٣٥٧
-٧٤٩	﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾	٢٦	٤٤و٥٣و٩٧و٢٧٦و٣٠٨و٣٣٧و٣٥٦
-٧٥٠	﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾	٢٩	٦٨
-٧٥١	﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾	٣٠	٣٣٨
-٧٥٢	إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ	٣١	٣٣٨
-٧٥٣	فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ	٣٢	٣٣٨

-٧٥٤	رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ	٣٣	٣٣٨
-٧٥٥	وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ	٣٤	٣٣٨
-٧٥٦	قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ	٣٥	٣٣٨
-٧٥٧	﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾	٣٦	٣٣٨
-٧٥٨	وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ	٣٧	٣٣٨
-٧٥٩	وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ	٣٨	٣٣٨
-٧٦٠	هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ	٣٩	٣٣٨
	سورة الزمر		
-٧٦١	﴿ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا	٦	٢٢٥
-٧٦٢	إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ	٧	١٧٦
-٧٦٣	﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَاءَ الَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ ﴾	٩	٢٢٨
-٧٦٤	﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ ﴾	١٨	١٦٥
-٧٦٥	﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَٰبِهًا ﴾	٢٣	١٦٥
-٧٦٦	﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ ﴾	٣٢	٣٠٠
-٧٦٧	﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۦٓ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾	٣٣	٣٠٠
-٧٦٨	﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾	٣٨	٢٦٤
-٧٦٩	﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ ۖ ﴾	٤١	١٨٠و٢٦٢
	سورة غافر		
-٧٧٠	﴿ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُ ۥٓ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ ۥ كَفَرْتُمْ ۖ ﴾	١٢	١٧
-٧٧١	﴿ وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ ﴾	٤٧	٢٢٩
-٧٧٢	قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا	٤٨	٢٢٩
-٧٧٣	إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا	٥١	٢٤١
-٧٧٤	يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ	٥٢	٢٤١
-٧٧٥	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ ﴾	٥٦	٤٠

-٧٧٦	﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا ﴾	٦٤	٢٥٤
	سورة فصلت		
-٧٧٧	﴿ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ ﴾	٩	١٣٣
-٧٧٨	﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ ﴾	٣٣	٣٢٩
-٧٧٩	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴾	٤١	١٦٤
-٧٨٠	﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾	٤٢	٦و١٦٤
	سورة الشورى		
-٧٨١	﴿ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾	١٠	١٧
-٧٨٢	﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾	١٣	٥٣
-٧٨٣	﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ﴾	١٧	١٨٠
-٧٨٤	﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾	٣٦	١٤١
-٧٨٥	﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾	٣٨	١٤١و١٧٥و٢٤٨و٢٦٧و٢٩١
-٧٨٦	﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴾	٣٩	١٤١
-٧٨٧	﴿ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾	٤٠	١٤١و٢٤١
-٧٨٨	﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾	٤٢	٢٤٠
-٧٨٩	﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ ﴾	٤٥	٢٤٠
-٧٩٠	﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾	٥٢	١٨٦
	سورة الزخرف		
-٧٩١	﴿ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾	٤	١٦٤
-٧٩٢	﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾	٣١	٢٢٧
-٧٩٣	﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴾	٤٤	١٨٣
-٧٩٤	﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾	٤٨	٣٣٦
-٧٩٥	﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴾	٦٠	٤٤
-٧٩٦	﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴾	٨٩	٣٨٣

	سورة الدخان		
-٧٩٧	﴿ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾	٢٥	١٣٤
-٧٩٨	﴿ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴾	٢٦	١٣٤
-٧٩٩	﴿ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴾	٢٧	١٣٤
-٨٠٠	﴿ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴾	٢٨	١٣٤
-٨٠١	﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴾	٥١	٩١
-٨٠٢	﴿ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾	٥٢	٩١
-٨٠٣	﴿ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴾	٥٣	٩١
-٨٠٤	﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾	٥٤	٩١
-٨٠٥	﴿ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴾	٥٥	٩١
	سورة الجاثية		
-٨٠٦	﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ ﴾	١٢	١٠٧
-٨٠٧	﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾	١٣	١٠٧
-٨٠٨	﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾	١٦	٣٩
-٨٠٩	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا ﴾	١٨	١٨و١٨٢
	سورة الأحقاف		
-٨١٠	﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ ﴾	١٦	٣٠١
-٨١١	﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾	٣٥	٣٨٣
	سورة محمد (صلى الله عليه وسلم)		
-٨١٢	﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾	١٩	٦٠
-٨١٣	﴿ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	٢١	٣٠١
-٨١٤	﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٢٢	١١٦
-٨١٥	﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾	٢٤	٦٩
-٨١٦	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾	٣٢	١٩٢

	سورة الفتح		
-٨١٧	﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴾	٨	١٨٨
-٨١٨	﴿ لِّتُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾	٩	١٨٨
-٨١٩	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ ﴾	١٠	٣٢٧
-٨٢٠	﴿ وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ﴾	١٣	١٩٢
-٨٢١	﴿ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّ ﴾	٢٧	٩٠
	سورة الحجرات		
-٨٢٢	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾	١	١٨٨
-٨٢٣	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ ﴾	٣	١٨٨
-٨٢٤	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾	٦	٢٩٨
-٨٢٥	﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ ﴾	٩	٢٣٧
-٨٢٦	﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾	١٠	٨٣و١٤٥و١٧٥و٢٦٩و٣٤٤
-٨٢٧	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا ﴾	١١	١٠٤و١٤٦و١٧٦و٢٥٨
-٨٢٨	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞ ﴾	١٢	١٠٤و١٤٦و٢٥٨
-٨٢٩	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ ﴾	١٣	١١٥و١٣٠و٢٢٧و٢٥٩و٣٧٨
	سورة الذاريات		
-٨٣٠	﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾	٢٢	١٠٧
-٨٣١	﴿ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴾	٢٣	١٠٧
-٨٣٢	﴿ وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ﴾	٥٦	٩٨و٢٦٣
	سورةالطور		
-٨٣٣	﴿ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴾	٤٨	٣٤
	سورة النجم		
-٨٣٤	﴿ وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾	١	١٩٤
-٨٣٥	﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ ﴾	٢	١٩٤

-٨٣٦	﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾	٣	١٩٤
-٨٣٧	﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾	٤	١٩٤
-٨٣٨	﴿ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴾	٣٨	١٧٦
	سورة القمر		
-٨٣٩	﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾	٤٩	١٦٨
	سورة الرحمن		
-٨٤٠	﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴾	٣	٢٥٦
-٨٤١	﴿ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴾	٤	٢٥٦
-٨٤٢	﴿ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴾	٧	٢٣٥
-٨٤٣	﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴾	٨	٢٣٥
-٨٤٤	﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾	٩	٢٣٥
	سورة الحديد		
-٨٤٥	﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	١	١٠٣
-٨٤٦	﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾	٢	١٠٣
-٨٤٧	﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾	٣	١٠٣
-٨٤٨	﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾	٤	١٠٣
-٨٤٩	﴿ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾	٥	١٠٣
-٨٥٠	﴿ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾	٦	١٠٣
-٨٥١	﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾	٧	١٨٧
-٨٥٢	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ﴾	٢٥	١٦و٥٤و٢٣٢و٢٣٦و٢٧٦
	سورة المجادلة		
-٨٥٣	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾	٥	١٩٣
-٨٥٤	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ ﴾	١١	٦٨
-٨٥٥	﴿ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ ۚ ﴾	١٣	١٩٠

-٨٥٦	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴾	٢٠	١٩٣
-٨٥٧	﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾	٢١	١٠٢
-٨٥٨	﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾	٢٢	١٦٩
	سورة الحشر		
-٨٥٩	﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ ﴾	٢	٣٨٧
-٨٦٠	﴿ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾	٣	٢١١و٣٨٧
-٨٦١	﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ﴾	٤	١٩٢و٣٨٧
-٨٦٢	﴿ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ ﴾	٦	٣٢٣
-٨٦٣	﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾	٧	١٩٠و٣٢٣و٣٦٧
-٨٦٤	﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾	٩	٨١
-٨٦٥	﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ﴾	١٣	٢٠٩
-٨٦٦	﴿ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ﴾	١٧	٢٤١
	سورة الممتحنة		
-٨٦٧	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾	١	١٤٧و٣٤٥
-٨٦٨	﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾	٨	١٧٧و٢٨١و٣٤٥
-٨٦٩	﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ ﴾	٩	١٧٧و٢٨١و٣٤٥
-٨٧٠	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ ﴾	١٠	٣٦
	سورة الجمعة		
-٨٧١	﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ﴾	٢	١٨٦
-٨٧٢	﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ ﴾	٥	٢٤١
-٨٧٣	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ ﴾	٩	٣٧٠
-٨٧٤	﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ ﴾	١٠	٧٩و١٠٦و٢٦٤و٣٧٠
	سورة التغابن		
-٨٧٥	﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ﴾	٣	٢٥٤

-٨٧٦	﴿ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴾	٨	١٦٥و١٨٧
-٨٧٧	﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ ﴾	١١	١٦٨
-٨٧٨	﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ ﴾	١٢	١٨٩
	سورة الطلاق		
-٨٧٩	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ﴾	١	٣٦٣
-٨٨٠	﴿ فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ ﴾	٢	٢٣٨و٣٠٩و٣٦٣
-٨٨١	﴿ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ ﴾	٣	٣٦٣
-٨٨٢	﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ﴾	٤	٣٦٣
-٨٨٣	﴿ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ ﴾	٥	٣٦٣
-٨٨٤	﴿ أَسۡكِنُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ سَكَنتُم مِّن وُجۡدِكُمۡ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ ﴾	٦	٣٦٣
-٨٨٥	﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيۡهِ رِزۡقُهُۥ فَلۡيُنفِقۡ ﴾	٧	٣٦٣
-٨٨٦	﴿ رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ ﴾	١١	١٣٦
	سورة التحريم		
-٨٨٧	﴿ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ ﴾	٤	١٦٦
-٨٨٨	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ ﴾	٦	١٦٦
	سورة المُلك		
-٨٨٩	﴿ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾	١٤	١٧و١١٢
-٨٩٠	﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ ذَلُولٗا فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ ﴾	١٥	٦٥و٧٩و١٠٦و١٧٧و٢٦٤
	سورة القلم		
-٨٩١	﴿ فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴾	٤٨	٣٤
	سورة المعارج		
-٨٩٢	﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴾	٢٩	١٧٠
-٨٩٣	﴿ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴾	٣٠	١٧٠
-٨٩٤	﴿ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴾	٣١	١٧٠

-٨٩٥	﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ﴾	٣٢	١٧٠
-٨٩٦	﴿ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ﴾	٣٣	١٧٠
	سورة نوح		
-٨٩٧	﴿ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴾	٣	٩٩
	سورة الجن		
-٨٩٨	﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ﴾	٣	٧١
-٨٩٩	﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا ﴾	٤	٧١
-٩٠٠	﴿ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾	٥	٧١
-٩٠١	﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ﴾	٦	٧١
-٩٠٢	﴿ وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ﴾	٧	٧١
-٩٠٣	﴿ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾	٢٣	١٩٢
	سورة المزمل		
-٩٠٤	﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ ﴾	٢٠	٨٢و٢٦٤
	سورة القيامة		
-١	﴿ إِنَّ عَلَيۡنَا جَمۡعَهُۥ وَقُرۡءَانَهُۥ ﴾	١٧	١٦٢
-٨٩٨	﴿ فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ﴾	١٨	١٦٢
	سورة الإنسان		
-٨٩٩	﴿ هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ﴾	١	٢٥٤
-٩٠٠	﴿ إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن نُّطۡفَةٍ أَمۡشَاجٖ نَّبۡتَلِيهِ ﴾	٢	٢٦١
-٩٠١	﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾	٣	٢٦١
-٩٠٢	﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴾	٨	٨١
	سورة النبأ		
-٩٠٣	إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتًا	١٧	١٦٧
-٩٠٤	يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا	١٨	١٦٧

٩٠٥-	وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا	١٩	١٦٧
٩٠٦-	وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابٗا	٢٠	١٦٧
	سورة النازعات		
٩٠٧-	إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى	١٧	٣٣٥
٩٠٨-	ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ	١٨	٣٣٥
٩٠٩-	فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ	١٩	٣٣٥
٩١٠-	وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ	٢٠	٣٣٥
٩١١-	فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ	٢١	٣٣٥
٩١٢-	فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ	٢٢	٣٣٥
٩١٣-	ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ	٢٣	٣٣٥
٩١٤-	فَحَشَرَ فَنَادَىٰ	٢٤	٣٣٥
٩١٥-	فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ	٢٥	٣٣٥
	سورة عبس		
٩١٦-	عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ	١	٢١٣
٩١٧-	أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ	٢	٢١٣
٩١٨-	وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ	٣	٢١٣
٩١٩-	أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ	٤	٢١٣
٩٢٠-	أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ	٥	٢١٣
٩٢١-	فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ	٦	٢١٣
٩٢٢-	وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ	٧	٢١٣
٩٢٣-	وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ	٨	٢١٣
٩٢٤-	وَهُوَ يَخۡشَىٰ	٩	٢١٣
٩٢٥-	فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ	١٠	٢١٣
	سورة التكوير		

-٩٢٦	إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ	١٩	٣٤٩
-٩٢٧	ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ	٢٠	٣٤٩
-٩٢٨	مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ	٢١	٣٤٩
-٩٢٩	﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	٢٩	١٦٨
	سورة المطففين		
-٩٣٠	﴿ وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ﴾	١	٣٦٨
-٩٣١	﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ﴾	٢	٣٦٨
-٩٣٢	﴿ وَإِذَا كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ﴾	٣	٣٦٨
	سورة الأعلى		
-٩٣٤	﴿ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴾	١٩	١٦٧
	سورة الفجر		
-٩٣٥	أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ	٦	١٣٣
-٩٣٦	إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ	٧	١٣٣
-٩٣٧	ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ	٨	١٣٣
-٩٣٨	﴿ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا ﴾	٢٠	٨١
	سورة التين		
-٩٣٩	﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ﴾	٤	٢٥٤
	سورة العلق		
-٩٤٠	ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ	١	٦٨
-٩٤١	خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ	٢	٦٨
-٩٤٢	ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ	٣	٦٨
-٩٤٣	ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ	٤	٦٨
-٩٤٤	عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ	٥	٦٨
	سورة القدر		

	سورة البينة		
-٩٤٥	وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ	٤	٢١٦
-٩٤٦	وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ	٥	٦٠و٢٦٣
	سورة العاديات		
-٩٤٧	﴿ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾	٨	٨١
	سورة القارعة		
-٩٤٨	ٱلْقَارِعَةُ	١	١٦٨
-٩٤٩	مَا ٱلْقَارِعَةُ	٢	١٦٨
-٩٥٠	وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ	٣	١٦٨
-٩٥١	يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ	٤	١٦٨
-٩٥٢	وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ	٥	١٦٨
-٩٥٣	فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ	٦	١٦٨
-٩٥٤	فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ	٧	١٦٨
-٩٥٥	وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ	٨	١٦٨
-٩٥٦	فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ	٩	١٦٨
-٩٥٧	وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ	١٠	١٦٨
-٩٥٨	نَارٌ حَامِيَةٌۢ	١١	١٦٨
	سورة قريش		
-٩٥٩	فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ	٣	٨٥
-٩٦٠	ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ	٤	٨٥

فهرس الأحاديث الواردة بالرسالة

مرتبة أبجدياً

م	طرف الحديث	رقم الصفحة
١.	وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ	٢٤١
٢.	أجل، ولكن يحلون لهم ما حرم الله فيستحلونه	١٨
٣.	ادرءوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم	٣٥٣
٤.	إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران	٢١٤
٥.	إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة	٣٢٠
٦.	أعطيت خمسا لم يعطهن نبي قبلي	٣٢٢و٣٧٢
٧.	أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا ؟ قَالَ : لاَ. قَالَ: فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا	٢٣٩
٨.	أَلاَ إِنِّ أُوتِيتُ الْكِتَابَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ	١٩٤
٩.	إن أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرم فحرم	٢١٧
١٠.	إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة	٣٠٠
١١.	إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ	٢٦١
١٢.	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ	٢٢٦و٣٧٤
١٣.	إن الله لايجمع أمتي على ضلالة، ويد الله مع الجماعة	٢٠٥
١٤.	إنك امرؤ فيك جاهلية	٢٣٥
١٥.	إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها	٣٢٧
١٦.	إِنَّمَا أَهْلَكَ النَّاسَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمْ	٢٣٠
١٧.	إنما البيع عن تراض	٣٥٥

١٨.	إنه ليس بذاك ، ألا تسمعون إلى قول لقمان : ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	١٩٧
١٩.	أَمَّا بَعْدُ فَمَا بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ	٣٤٩
٢٠.	بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله	١٩٥
٢١.	لتأخذوا عني مناسككم	١٩٦
٢٢.	خذوا له عثكالا فيه مائة شمراخ فاضربوه به ضربة واحدة	٣٥٣
٢٣.	خرج النبي – صلى الله عليه وسلم – يوم سار إلي بدر، فجعل يستشير	٢٥١
٢٤.	لَخَلُوف فَمِ الصائم أطيب عند الله من ريح المسك	٩٥
٢٥.	الدين النصيحة. قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله	٣١٧
٢٦.	الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحكم من في السماء	٣١٢و٣٨٢
٢٧.	السمع والطاعة حق ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة	٣١٥
٢٨.	الصلاةَ الصلاةَ	١٤٢
٢٩.	صلوا كما رأيتموني أصلي	١٩٦
٣٠.	عليكم بالجماعة، وإياكم والفرقة، فإن الشيطان مع الواحد	١٥٦و٢٠٥
٣١.	القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة	٢٤٦
٣٢.	كان زكريا عليه السلام نجاراً	١٠٦
٣٣.	كل المسلم على المسلم حرام دمه و ماله وعرضه	٨٤
٣٤.	كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، وينصرانه، ويمجسانه	٥٨
٣٥.	لعن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم آكلَ الربا وموكلَه وكاتبَه	٣٦٠
٣٦.	لقد حكمت فيهم بحكم الله عز وجل	٢١٩
٣٧.	المؤمن للمؤمن، كالبنيان يشد بعضه بعضًا، وشبك بين أصابعه	١٤٦
٣٨.	ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكُل من عمل يديه	٧٩

٣٩.	مثلي ومثل الأنبياء ، كرجل بن دارا ، فأكملها وأحسنها	٣٧٩
٤٠.	من بدل دينه فاقتلوه	٦٣
٤١.	من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه	١٨٥
٤٢.	من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية	١٤٠
٤٣.	من رأى من أميره شيئا فكرهه فليصبر	١٤٠
٤٤.	من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه	١٥١
٤٥.	من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية	٣٣٢
٤٦.	من نزع يدا من طاعة لم تكن له حجة يوم القيامة	١٤٢
٤٧.	نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع الحصاة وعن بيع الغرر	٣٥٤
٤٨.	لا تَبَاغَضُوا وَلا تَحَاسَدُوا ، وَلا تَدَابَرُوا ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا	١٤٥
٤٩.	لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لايضرهم من خذلهم	٢٠٥
٥٠.	لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ	٢٣٠
٥١.	لا يَحِلُّ دَمُ امْرِىءٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ	٦٤
٥٢.	لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة	٢١٥
٥٣.	يا أيها الناس إنما أنا رحمة مهداة	٣١٢
٥٤.	يا رسول الله أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله، ليس لنا أن نتقدمه	٢١٤
٥٥.	يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا	٢٤١

والحمد لله رب العالمين.